مدخل إلى علم اللغة

الدكتور
محمود فهمي حجازي

دار الثقافة للطباعة والنشر
بالقاهرة

مدخل إلى علم اللغة

مدخل إلى علم اللغة

الدكتور
محمود فهمي حجازي

١٩٧٨
طبعة ثانية معدلة

دار الثقافة للطباعة والنشر
بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

هذا كتاب يضم فصولا تمهيدية فى علم اللغة تقرب حقائقه الأساسية للمتخصصين فى العربية واللغات الشرقية . إنه محاولة لايضاح طبيعة اللغة ووظيفتها ولبيان مناهج علم اللغة الحديث ولعرض أسس التحليل اللغوى يهتم الكتاب ــ بصفة خاصة ــ بالأسرات اللغوية ، فيعرض للأسرة الأفرو أسيوية ، وللأسرة الهندية الأوربية والأسرة الأورالية الألتائية ، ثم للأسرات اللغوية الأخرى .

تختلف هذه الطبعة عن الطبعة الأولى (١٩٧٥) فى إعادة تحرير الفصول الخاصة باللغة وبعلم اللغة وبالأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة وبالدلالة ، مع إضافة تفصيلات عن اللغات الأفريقية .

إنها محاولة حسبها أن تقدم المعلومات الأساسية فى هذه الموضوعات بدرجة من الوضوح والتركيز .

والله ولى التوفيق ؟

محمود فهمى حجازى

الفصل الأول

اللغة طبيعتها ووظيفتها

اولا : اللغة والبحث اللغوى :

عرف المجتمع الانسانى اللغة فى أقدم صوره ، فاللغة ظاهرة تميز الانسان عن الكائنات الأخرى واختص بها فأتاحت له أن يكون المجتمع وأن يقيم الحضارة، ولذا فاللغة والمجتمع والحضارة ظواهر متداخلة متكاملة . لقد أثار كثير من المفكرين على مضى القرون قضية أولية اللغة أم المجتمع أم الحضارة ، وأثاروا أيضا قضية اللغة والفكر أيهما سبق الآخر ، ولكن البحث الحديث يحاول أن يبتعد عن هذه الدائرة المفرغة من التساؤلات حول مراحل يصعب الوصول إليها ليثبت تلازم اللغة مع فكر الانسان وضرورة اللغة لقيام المجتمع الانسانى وضرورة وجود مجتمع انسانى يتعاون فى إقامة الحضارة .

إن الانسان مارس اللغة منذ آلاف السنين ، هى عمر الانسان على الأرض ثم فكر الانسان فى أن يدون اللغة ويخلدها بذلك للأجيال التالية ، كان هذا فى مصر والعراق منذ خمسة آلاف سنة فقط، وظلت أكثر الشعوب على مدى العصور لا تكتب . فاللغة قديمة قدم المجتمع الانسانى، وكتابتها ظاهرة حديثة نسبيا ، وهناك شعوب كثيرة لم تدون لغتها إلا فى السنوات الأخيرة،وكثير من أبناء هذه الشعوب أميون وبعضهم لايتصور أن تلك العبارات التى ينطق بها يمكن أن تدون . فاللغة توجد ،سواء أكتبت أم لم تكتب فالانسان يحتاج اللغة فى حياته اليومية ، ولكن تدوين اللغة لايأتى عادة إلا فى مرحلة من الرقى الحضارى .

أما البحث العلمى فى اللغة فهو ظاهرة حديثة نسبيا ، وشبيه بهذا أمر البحث العلمى فى فروع المعرفة المختلفة. فالانسان يتنفس منذ وجد ولكن المعرفة الحقيقية بالجهاز التنفسى وبعملية الشهيق وبعملية الزفير وما يرتبط بهما من عمليات فسيولوجية داخل جسم الانسان تعد من الحقائق التى أتى بها البحث العلمى منذ وقت قريب نسبيا . ان الانسان عرف الماء وأحس به وأفاد منه فى حياته اليومية ، ولكن التحليل العلمى لمكونات الماء وخصائصه ودوره الحيوى فى جسم الانسان عمل علمى لايعرفه بالضرورة كل من يستخدم الماء أو يشربه . وشبيه بهذا أمر اللغة ، فاللغة قديمة قدم المجتمع الانسانى ، ولكن البحث فى اللغة لم ينشأ إلا فى إطار التقدم العلمى ، ولذا فهو أمر حديث نسبيا بالنسبة لتاريخ الانسان .

ثانيا : طبيعة اللغة :

لقد عرف اللغوى العربى ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) اللغة بعبارته : « حد اللغة أصوات يعبر كل قوم عن أغراضهم » . وهذا التعريف يتضمن العناصر الأساسية لتعريف اللغة ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة ، فهو يوضح الطبيعة الصوتية للغة ويؤكد أن اللغة أصوات ، وهو بهذا يستبعد الخطأ الشائع الذى يتوهم أن اللغة فى جوهرها ظاهرة مكتوبة . ويوضح تعريف ابن جنى أيضا أن للغة وظيفة اجتماعية،هى التعبير وأن لها إطاراً اجتماعية ومن ثم فهى تختلف باختلاف الجماعات الانسانية . وبذلك يوضح تعريف اللغة عندابن جنى طبيعة اللغةمنجانب ووظيفتها من الجانب الآخر .

وتوضح التعريفات الحديثة للغة أولا وقبل كل شيء أن اللغة نظام من الرموز، ومعنى هذا أن اللغة تتكون من مجموعة من الرموز تكون نظاماً متكاملا . واللغة أكثر نظم الرموز التى يتعامل بها الانسان تركيبا وتعقيدا ، فاشارات المرور رموز ضوئية ، ولكنها محدودة وبسيطة . والاشارات الضوئية الصادرة من السفن

وأعلام الجيوش والكشافة والفرق الرياضية رموز بسيطة أيضا . أما الصيحات التي تطلقها الحيوانات بأنواعها ولا سيما الطيور فانها أيضا محدودة وبسيطة. ولكن الانسان وحده يتعامل باللغة التي تقوم على عدد محدود من الرموز ولكنها تكون نظاما مركبا معقدا . فالأصوات التي تصدر عن أعضاء النطق عند الانسان محدودة نسبيا ، ولذا فكثير من اللغات تشترك في كثير من الأصوات وأكثر اللغات الانسانية تفيد من عدد من الأصوات يقل عن أربعين صوتا ، ولكن هذه الأصوات المحدودة تتخذ انساقا كثيرة فتكون آلاف الكلمات في اللغة الواحدة ، وتتخذ هذه الكلمات عدة ترتيبات متعارف عليها في البيئة اللغوية فتكون ملايين الجمل ، وتعبر بذلك عن الحضارة الانسانية والفكر الانساني . ولذا فاللغة الانسانية تختلف عن نظم الاتصال الأخرى الموجودة عند الانسان والموجودة عند الحيوان في أن اللغة الانسانية نظام مركب معقد من الرموز .

ان الرموز اللغوية لاتحمل قيمة ذاتية طبيعته تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي فليست هناك أية علاقة بين كلمة «حصان» ومكونات جسم الحصان، والعلاقة كامنة فقط عند الجماعة الانسانية التي اصطلحت على استخدام هذه الكلمة اسما لذلك الحيوان . ومعنى هذا ان قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف أي تقوم على ذلك الاتفاق الكائن بين الأطراف التي تستخدمها في التعامل. ولذا فالرموز اللغوية وسائل اتصال في اطار الجماعة اللغوية الواحدة . وتقوم عملية الكلام على وجود متحدث ومتلق وبينهما وسيلة اتصال . وهذا معناه أن المؤثر والمتلقي متفقان على استخدام هذه الرموز اللغوية المركبة بقيمها العرفية ، وبعبارة اخرى هناك اتفاق على ترجمة هذه الرموز في العقل إلى دلالاتها التي يعنيها المتحدث او الكاتب فيفهمها المستمع او القارىء .

ثالثا : عملية الكلام بين الفرد والمجتمع :

إن عملية الكلام تتم نتيجة وجود مؤثرات خارجية او داخلية مرئية

أو مسموعة ، يستجيب لها الجهاز العصبي للمتكلم فيصدر أوامره إلى أعضاء النطق فترسل بدورها هذه الأوامر على شكل موجات صوتية ، وتمضى هذه الموجات فى الهواء فتتلقاها أعضاء السمع عند المتلقى ناقلة إياها إلى الجهاز العصبي ، وقد يصدر أوامره — بعد ذلك إلى أعضاء النطق ، وهكذا تحدث عملية الكلام . وهناك عدة تخصصات تهتم ببحث عملية الكلام ، فالعمليات العقلية عند المتحدث والمتلقى موضوع بحث فى علم اللغة النفسى ، وهو تخصص جديد آخذ فى الاستقلال . أما علم اللغة فهو يبحث تلك الرموز الصوتية التى نقلت الفكرة من المتحدث إلى المتلقى ويبحث أيضا كيفية تكوين هذه الرموز الصوتية للكلمات فى تلك اللغة ، وكيفية تكوين الكلمات للجمل ، ويربط البحث اللغوى كل هذا بالمعنى الذى تحمله هذه الرموز

وعلى هذا فوجود اللغة يشترط وجود مجتمع ، وهنا يتضح الطابع الاجتماعى للغة ، فليس هناك نظام لغوى يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به فاللغة ليست هدفا فى ذاتها وإنما هى وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الانسانية إن الفرد الواحد يشارك فى عملية الكلام فى مواقف الحياة ، وباختلاف المواقف الكلامية التى يعيشها الفرد تختلف مشاركته فى استخدام اللغة . وهنا يجد الباحث من الضرورى أن يميز بين اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية والاستخدام الفردى لها باعتباره مختلفا باختلاف الأفراد وباختلاف المواقف الكلامية التى يستخدمون فيها اللغة .

لقد ميز اللغوى السويسرى دى سوسير de Saussure بين ثلاثة مصطلحات أساسية فى نظرية اللغة ، وهى مصطلحات Langue ويعنى اللغة الواحدة مثل اللغة العربية أو اللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية إلى آخره و Parole وتعنى الكلام أو الاستخدام الفردى للغة الواحدة عند الفرد ، و Langage وتعنى القدرة اللغوية عند الانسان بصفة عامة . ولهذا التمييز أهمية فى البحث اللغوى المعاصر ، فالبحث اللغوى يتجاوز الاستخدام الفردى للغة إلى ظاهرة اللغة فى أبعادها العامة المشتركة عند

أفراد الجماعة اللغوية ، فالإنسان الواحد مهما أوتى من المهارة اللغوية والقدرة اللسانية والتنوع فى أسلوب الكتابة لايستخدم كل المعجم الذى تعرفه لغته ولا يفيد من كل امكانات البنية اللغوية المتاحة له عندما يتحدث أو يكتب اللغة . ولذا فبحث الاستخدام اللغوى عند الفرد الواحد هو مجرد مرحلة تليها مراحل كثيرة حتى يصل اللغوى إلى التعرف على اللغة موضع البحث. وهناك فرق واضح بين الأداء اللغوى، Performance عند الفرد وهو محدود نسبيا وبين التمكن اللغوى Competence لديه ،فهو يتيح له أن يفهم الآخرين وأن يكون جملا جديدة لم يسمعها من قبل ، ولكنها ممكنة فى إطار البنية اللغوية الكامنة عند أبناء الجماعـــة اللغوية . ولذا لا يكتفى الباحث ببحث الأداء اللغوى عند فرد بعينه وإنما عليه أن يتجاوزه إلى بحث البنية اللغوية الكامنة وراء استخدام آحاد الأفراد . ويعد التمييز بين الآداء اللغوى والتمكن اللغوى فى نظرية اللغة عند شومسكى Chomsky تطويرا لرأى دى سوسير فى اللغة والكلام .

رابعا : وظيفة اللغة ومستويات الاستخدام

أن بحث اللغة لايكتفى بالتعرف على ملامح البنيه اللغوية ، ولابد أن يكتمل بالتعرف على الوظيفة فى إطار المجتمع . ومن هنا يجب فى بحث اللغة أن يحدد مستوى الاستخدام لكل نظام لغوى . لقـــد استقرت فى السنوات الاخيرة مجموعة من المصطلحات للتعبير عن مستويات الاستخدام االغوى ، ويتضح محتوى هذه المصطلحات فى إطار فرع جديد من أفرع علم اللغة هو علم اللغة الاجتماعى. وأهمية هذه المصطلحات أنها تفيد فى وصف العلاقات اللغوية داخل الجماعة اللغوية الواحدة بدرجة عالية من الوضوح .

ومن هذه المصطلحات مجموعة كبيرة تصنف العلاقات االغوية داخل المجتمع الواحد ،وتعد مصطلحات التصنيف اللغوى للمستويات مثل: « اللهجة »و«الفصحى»و

« العامية » أكثر هذه المصطلحات شيوعا . وفى الدول التى لم تتخذ فيها « اللغة الوطنية » حجمها الكامل فى الحياة اللغوية تجد هذه المصطلحات مثار جدل كبير وتستخدم غالبا مصحوبة بشحنات من الانفعال تحول دون التفكير الدقيق .

إن أى نظام لغوى يتكون من أصوات تكون كلمات تؤلف جملا لأداء معنى ومن هذا الجانب نجد أية لغة وأية لهجة داخلة فى هذا الاطار . والشىء الأساسى الذى يجعل نظاما لغويا ما يصنف باعتباره إما لهجة وإما لغة فصيحة هو موقف أبناء الجماعة اللغوية منه ، ومعنى هذا أنه ليس فى بنية اللهجة أو اللغة ما يحتم تصنيفها هذا التصنيف ، ولكن مجالات الاستخدام هى التى تفرض هذا التصنيف . فالنظام اللغوى الذى يستخدم فى مجالات الثقافة والعلم والأدب الرفيع هو بالضرورة ما يصنف اجتماعيا بأنه فصيح ، والنظام اللغوى الذى يقتصر استخدامه على مجالات الحياة اليومية هو بالضرورة ما يصنف اجتماعيا بأنه لهجة أو بأنه « عامية » . وهذه الثنائية ليست وحدها فى الحياة اللغوية فهناك مستويات لغوية كثيرة بين هذه وتلك ، ففى حديث المثقفين نجد « العامية » تقدم عناصر كثيرة فى الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة ، وإلى جانب هذا نجد من « الفصحى » عددا كبيرا من الكلمات أوضحها تلك الكلمات التى تكونت فى المستوى الثقافى واستقرت فى مجالات الثقافة والعلم . وعلى هذا فليس من الصحيح أن تتصور الحياة اللغوية مجرد ثنائية لهجات محلية وفصحى ، فهناك مستويات لغوية كثيرة .

وفى المجتمعات الأوربية الراقية يدور حديث المثقفين بلغة هى الفصحى فى أصواتها وصرفها ومعجمها وإن كانت أبسط منها فى نحوها ، ويحاول كل مثقف الارتفاع عن اللون المحلى فى لهجته ليتوسل فى حديثه باللغة الفصحى . إن مجالات استخدام اللغات الفصحى فى الدول الأوربية أكثر منها فى أكثر دول العالم الثالث

فنى الدول الأوربية الكبرى نجد اللغةالمشتركة فى حديث المثقفين وفى وسائـــل الاعلام وفى الافلام وفى الكتب الثقافية والعلمية وفى الادارة وفى المجالس النيابية ونجدها إلى حد كبير جدا فى التعامل اليومى داخل المتاجر والمؤسسات العامة

وفى بعض العواصم الافريقية يتم التعامل اليومى بلغتين أو أكثر ، كأن يكون مثلا بلغة الهوسا وباللغة الانجليزية فى نيجيريا أو بلغة الولف وباللغة الفرنسية فى السنغال. وفى بعض المجتمعات تستخدم لغة للتعامل اليومى داخل الجماعة ولغة أخرى للتعامل اليومى خارج الجماعة ، وهذه حال أكثر الأقليات اللغوية فى العالم ، فأبناء واحة سيوة فى مصر يتعاملون مع بعضهم البعض بلغتهم السيوية البربرية ويتعاملون مع الآخرين بالعربية وكذلك النوبيون فى جنوب مصر وشمال السودان ، والمهرة فى إحدى محافظات اليمن الجنوبية . وهنا يتحدث الباحثون عن « الازدواج اللغوى » أو « الثنائية اللغوية » ، ولكن مجرد التسمية لاتكفى فلابد من تحديد مجالات استخدام كل مستوى من المستويين .

أن المصطلحات المستخدمة فى هذا المجال كثيرة ، ويدل مصطلح « لغة التعليم » على اللغة التى تستخدم وسيلة للتعليم فى المدارس ، فعندما يدرس علم التاريخ أو الجغرافيا — مثلا — فى إحدى المدارس باللغة الانجليزية فهى هنا لغة التعليم .

وقد تكون هذه اللغة لغة وطنية أو لغة أجنبية . وينبغى هنا ملاحظة أن بعض الدول تميز بين لغة التعليم فى المدارس ولغة التعليم فى الكليات الجامعية ، كما هى الحال فى عدد من الدول العربية التى تدرس بعض كلياتها بلغة أجنبية . وفى بعض الدول نجد التعليم العالى والتعليم العام مشتركين فى لغة التعليم ، بينما نجد البحوث العلمية تكتب بلغة أخرى تكون وسيلة التعامل بالعالم الخارجى ، ففى الدول العربية التى تعلم باللغة العربية فى التعليم العالى وفى عدد من الدول الوطنية

الصغيرة فى أوربا مثل بولندا ورومانيا والمجر نجد اللغة الوطنية هى لغة التعليم فى كل مراحله ونجد إلى جانبها لغة أجنبية تكتب بها كثير من البحوث العلمية .

وهناك عدة مصطلحات تستخدم فى المجال السياسى على المستويين المحلى والدولى أهمها مصطلحات « اللغة الوطنية» و « اللغة الرسمية » و«اللغة الدولية » .

أما « اللغة الوطنية » فهى لغة جماعة كبيرة من المواطنين داخل الدولة الواحدة ، ولا يعنى بالضرورة أنها لغة الأغلبية فهناك دول كثيرة ليست بها أغلبية لغوية بالمعنى الحقيقى للكلمة بل تسودها عدة لغات وطنية ، فى الباكستان نجد اللغات الأردية والبنجابية والسندية ولغة الباشتو واللغة البلوشية جنبا إلى جنب ، وهذه لغات وطنية فى الباكستان وليست هناك لغة من هذه اللغات يمكن أن توصف بأنها لغة الأغلبية ،

أما « اللغة الرسمية » فهى اللغة التى ينص عليها فى الدستور ، وتوجد أنظمة دستورية فى أكثر دول العالم وينص الدستور فى كل دولة من هذه الدول بعد أن يذكر اسم الدولة ونظامها وغير ذلك على تسمية لغة معينة هى « اللغة الرسمية» فى الدولة . والمقصود « باللغة الرسمية » تلك اللغة التى تستخدم فى الادارة وفى المجالس النيابية والتى تصدر بها مراسيم الحكومة وتقدم بها الطلبات إلى الوزارات المختلفة وتتعامل بها المؤسسات والوزارات المختلفة .

وفوق هذا كله ، فهناك لغات محدودة العدد استقرت فى السنوات الأخيرة فى إطار التعامل بين الدول . فى منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة مثل اليونسكو نجد مجموعة لغات توصف بأنها « لغات العمل » لقد كانت لغات العمل فى منظمة الأمم المتحدة عقب انشائها بعد الحرب العالمية الثانية هى اللغات : الانجليزية والفرنسية والروسية والصينية والاسبانية ، ولم يحدث بعد ذلك إلا تعديل واحد وذلك باضافة اللغة العربية إلى تلك اللغات الخمس ،فأصبحت لغات العمل فى الأمم

المتحدة ست لغات . ومعنى هذا أن أى متحدث فيها يستطيع أن يستخدم إحدى هذه اللغات فيترجم كلامه إلى اللغات الخمس الأخرى، ويستطيع أيضا أن يتابع المداولات والمناقشات عن طريق الترجمة العربية .

وهكذا تتنوع مجالات استخدام اللغات ومستوياتها تنوعا كبيراً . وعلم اللغة وإن كان يهدف إلى بحث البنية اللغوية، فان الرؤية الوظيفية للغة تجعل بحث مجالات الاستخدام أمراً ضرورياً .

الفصل الثانى

علم اللغة: مجالاته ومناهجه

علم اللغة Linguistics فى أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمى، ويعنى هذا أن الدراسة اللغوية موضوعية وليست انطباعية ذاتية. وقد أدت هذه الموضوعية المنشودة إلى استقرار كثير من الحقائق وتكوين كثير من المناهج وخلق مناخ علمى يتيح لدى اللغويين، فى كل أنحاء العالم، المتخصصين فى مختلف اللغات درجة عالية من التعاون وتبادل الخبرة.

اولا: مجالات علم اللغة الحديث

يدرس علم اللغة الحديث بنية اللغة من الجوانب التالية:

١ ــ الأصوات Phonetics, Phonology

٢ ــ بناء الكلمة Morphology

٣ ــ بناء الجملة Syntax

٤ ــ الدلالة Semantics

وهذا التقسيم ينطلق من الوحدات الصغيرة فى اللغة إلى الوحدات الأكبر، فاللغة الواحدة تتكون من عدد محدود من الوحدات الصوتية يتراوح عددها فى أكثر اللغات بين الثلاثين والأربعين. بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية يمكن أن تتألف ملايين الكلمات وذلك عن طريق الأنساق المختلفة لهذه الوحدات

الصوتية فى المواقع المختلفة ، فالكلمات (كتب) ، (بكت) ، (تكب ، (بتك) (تبك) ، (كبت) ممكنة من الناحية النظرية ، تتكون من نفس الوحدات الصوتية ولكنها تختلف فى ترتيب هذه الوحدات داخل الكلمة ، وبعض هذه الكلمات موجود فعلا فى واقع العربية والبعض الآخر غير موجود فى الواقع ، مع أنه ممكن من الناحية النظرية . وهكذا نجد العدد المحدود من الوحدات الصوتية فى أية لغة يمكن أن يكون ملايين الكلمات ، ولكن كل لغة من اللغات تختار من هذه الكلمات الممكنة ــ نظريا ــ عدة آلاف فقط .

وهذه الكلمات تنتظم وفق مجموعة من الضوابط الصرفية مثل الأبنية والسوابق واللواحق فتكون لكل مجموعة سماتها البنيوية ومحتواها الدلالى فوزن فاعل يعد فى العربية أحد الأبنية الصرفية وهو يعبر عمّن قام بالشىء . والسوابق مثل الميم فى العربية تؤدى عدة وظائف ، منها مثلا أنها تكون اسم الفاعل من غير الثلاثى مثل : مُكرِم واسم المفعول منه مُكرَم وغير هذا وذلك من الصيغ . واللواحق فى العربية كثيرة ، منها مثلا اللواحق الخاصة بالجمع السالم ، سواء أكان جمعَ مذكر سالما ينتهى (ون) فى الرفع و (ين) فى النصب والجر ، أو جمع مؤنث سالما ينتهى (اتُ) فى الرفع و (اتِ) فى النصب والجر . وهكذا نجد أن عددا محدودا من الأصوات كون مجموعة كبيرة من الأنساق بتغيير المواقع التى تتخذها كل وحدة صوتية داخل المجموعة ، ثم تأتى الأبنية والسوابق واللواحق لتعطى هذه الأصوات إمكانية تكوين ملايين الكلمات .

ولكن بنية اللغة لاتكتفى بمجرد وجود هذه الكلمات ، فالفرق الأساسى بين (ضرب موسى عيسى) ، و(ضرب عيسى موسى) لايرجع إلى اختلاف الكلمات بل إلى اختلاف ترتيب الكلمات داخل نفس النمط من أنماط الجملة . وصيغة الماضى (قرأ) تتجاوز هذا المعنى إذا ما كانت فى الجملة : (إن قرأت هذا الكتاب وجدته سهلا) فالمعنى هنا لايصدق على الماضى بحال من الأحوال بل يتناول أمرين لم يحدثا ، ومع هذا فالفعلان ماضيان . ومعنى هذا أن مجرد بيان أن الصيغة للماضى لايكفى للتعرف على المعنى

ولابد فى هذا السياق من دراسة الأنماط المختلفة التى تتخذها الجملة فى كل لغة من اللغات . وهكذا تتيح الأنماط المختلفة لبناء الجملة أن تعبر اللغة بآلاف الكلمات الموجودة فيها — فعلا — عن ملايين المعانى التى تكاد تصل إلى اللامحدود .

أن الوحدات الصوتية تكون الكلمات ،والكلمات تكون الجمل ، والجمل ينبغى لها أن تحمل دلالات . ولذا يتناول البحث الدلالى كل مايحددمعنى الكلمات والعبارات ، وتعد المعاجم نتيجة تطبيقية للبحث الدلالى .

ترتيب هذه المجالات :الأصوات ، بناء الكلمة،بناء الجملة ، والدلالة ، على هذا النحو متفق عليه عند كثير من اللغويين المحدثين والمعاصرين . وهو ترتيب مخالف لما كان عند سيبويه وجمهور النحاة العرب ، فقدانطلقوا من قضية الجملة والاعراب إلى قضية الأبنية الصرفية إلىقضية الأصوات،أى من الوحدات الأكبر إلى الوحدات الأصغر .وقد ظهرت فىالسنوات الأخيرة اتجاهات عند بعض اللغويين الأمريكيين والأوربيين تنطلق فى التحليل اللغوى من الوحدات الكبيرة إلى الوحدات الأصغر، ولذا فهى تبدأ بتحليل الجملة وتنتهى بالتحليل الصوتى .

ثانيا : مناهج علم اللغة الحديث :

عرف علم اللغة الحديث منذ نشأته فى القرن التاسع عشر إلى اليوم عدة مناهج ، هى على الترتيب :

١ — علم اللغة المقارن Comparative Linguistics

٢ — علم اللغة الوصفى Descriptive Linguistics

٣ — علم اللغة التاريخى Historical Linguistics

٤ — علم اللغة التقابلى Contrastive Linguistics

١ – علم اللغة المقارن :

يتناول علم اللغة المقارن مجموعة لغات تنتمى إلى أسرة لغوية واحدة بالدراسة المقارنة . وعلم اللغة المقارن أقدم مناهج علم اللغة الحديث ، وبه بدأ البحث اللغوى عصر ازدهاره فى القرن التاسع عشر . ويعتمد البحث المقارن على وجود تصنيف واضح للغات إلى أسرات لغوية ، ولم تكن القرابة بين اللغات معروفة على نحو علمى دقيق إلى أن اكتشفت اللغة السنسكريتية فى الهند . لقد قورنت السنسكريتية باليونانية واللاتينية ، وثبت من هذه المقارنات وجود قرابة لغوية بين هذه اللغات وأنها ترجع إلى أصل قديم بائد . وتقدم البحث شيئا فشيئا فقورنت اللغات الأوربية المختلفة واللغات الإيرانية واللغات الهندية ، وثبت بهذه المقارنات أن كثيرا من هذه اللغات تحمل أوجه شبه فى البنية والمعجم ، وبذلك اتضحت معالم أسرة لغوية كبيرة تضم لغات كثيرة فى الهند وإيران وأوربا . وأطلق الباحثون على هذه الأسرة اسم أسرة اللغات الهندية الأوربية ، ويسميها الباحثون الألمان ـ وحدهم ـ سرة اللغات الهندية الجرمانية . وقام الباحثون فى اللغات السامية أيضا بتطبيق المنهج المقارن كما تطور فى مجال اللغات الهندية الأوربية . وبذلك ظهر علم اللغات السامية المقارن الذى يبحث مجموعة اللغات العربية والعبرية والآرامية والأكادية والعربية الجنوبية والحبشية . وقد ازدهر البحث المقارن فى اللغات السامية فى فترة كانت الكشوف الأثرية قد أظهرت لغات قديمة مكتوبة على النقوش ، و... اللغات الأكادية فى العراق والعربية الجنوبية فى اليمن والفينيقية فى ساحل الشام . وأضيف إلى اللغات السامية فى القرن العشرين اللغة الأجريتية التى اكتشفت فى ساحل الشام بالقرب من مدينة رأس شمرا سنة ١٩٢٦ . إن البحث المقارن يتناول أسرة لغوية كاملة أو فرعا من أفرع هذه الأسرة اللغوية ، ولذا يعد علم اللغات الهندية الأوربية المقارن فرعا مستقلا من أفرع البحث اللغوى ، وكذلك يعد علم اللغات السامية المقارن فرعا آخر من أفرع البحث اللغوى .

يتناول علم اللغة المقارن المجالات المذكورة لعلم اللغة، فيبحث من الناحية الصوتية الأصوات الموجودة فى هذه اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة محاولا

التوصل إلى قواعد مطردة تفسر التغيرات الصوتية التى طرأت على مدى الزمن فانقسمت اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات كثيرة انقسمت بدورها إلى لغات أخرى. وقد اتضح فى إطار البحث الصوتى المقارن أن مجموعة من الاصوات مستمرة دون تغير يذكر فى كل لغات الأسرة الواحدة، فكل اللغات السامية مثلا بها صوت الراء دون تغير، وعلى العكس من هذا فهناك أصوات خضعت لتغيرات بعيدة المدى منها مثلا صوت الضاد الذى اختفى بعض الوقت من كل اللغات السامية باستثناء اللغة العربية. وعلى ذلك فالبحث فى أصوات الحلق فى اللغات السامية أو فى أصوات الاطباق فى اللغات السامية أو فى الأصوات الشفوية فى اللغات السامية يعد من قضايا علم الأصوات المقارن فى اللغات السامية، وذلك لأن هذه البحوث فى مجال الأصوات وتعد بمنهج مقارن.

أما من ناحية بناء الكلمة فيتناول علم اللغة المقارن كل ما يتعلق بالأوزان والسوابق واللواحق ووظائفها المختلفة، وعلى هذا فدراسة الضمائر فى اللغات السامية تعد من دراسات علم الصرف المقارن، لأنها فى مجال بنية الكلمة وتتم بمنهج مقارن. وهذه حال البحوث فى أبنية الأفعال فى اللغات السامية، أو: اسم الفاعل فى اللغات السامية أو المصدر فى اللغات السامية، فكل هذه البحوث تدخل فى علم الصرف المقارن للغات السامية.

ويعد البحث المقارن فى بناء الجملة مجالا ثالثا من مجالات البحث فى علم اللغة المقارن. إن دراسة الجملة الخبرية فعلية كانت أو اسمية فى اللغات السامية يعد موضوعا أساسيا من موضوعات البحث. وكل القضايا المتعلقة ببناء الجملة فى اللغات السامية تدخل أيضا فى هذا الاطار. من هذه الموضوعات: الاستفهام فى اللغات السامية، الاستثناء فى اللغات السامية، المطابقة بين الفعل والفاعل فى اللغات السامية، المطابقة بين العدد والمعدود فى اللغات السامية.

ويتناول علم الدلالة المقارن فى اللغات السامية كل ما يتعلق بتاريخ الكلمات

وتأصيلها . فهناك عدد من الكلمات السامية المشتركة نجدها فى كل اللغات السامية تارة بنفس المعنى وأخرى بمعنى مقارب ، وبحث هذه للكلمات مما يدخل فى علم الدلالة المقارن . وهناك كلمات كثيرة فى اللغات السامية تكونت من مواد مشتركة، وبحث هذه الكلمات الجديدة ،والتغير الدلالى الذى طرأ عليها يدخل كذلك فى علم الدلالة المقارن . وأهم جانب تطبيقى لعلم الدلالة المقارن هو تأصيل المواد اللغوية فى المعاجم ، وتأصيل المواد المعجمية العربية ردها إلى أصولها السامية إن وجدت يعد من الاضافات المهمة التى نجدها - مثلا - فى المعجم الكبير الذى يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهذه التأصيلات تقوم على علم الدلالة المقارن للغات السامية .

علم اللغة الوصفى :

يتناول علم اللغة الوصفى بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة فى زمن بعينه أو مكان بعينه . ومعنى هذا أن علم اللغة الوصفى يبحث المستوى اللغوى الواحد . لقد ظل علماء اللغة فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين يبحثون اللغات بالمنهج المقارن ، وكان البحث المقارن هو الشكل الوحيد المتصور للبحث اللغوى . ولكن الباحث السويسرى دى سوسير أثبت بدراسته فى نظرية اللغة إمكان بحث اللغة الواحدة بالتعرف على بنيتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وهذا البحث يرتبط عنده بمستوى لغوى بعينه فى زمن واحد ، ومعنى هذا أن البحث الوصفى لا يجوز له أن يخلط المراحل الزمنية أو يخلط المستويات المختلفة . لقد بدأ الباحثون بعد دى سوسير فى تطوير مناهج البحث فى البنية اللغوية ، وزاد اهتمام الباحثين بالمنهج الوصفى فى الخمسين عاما الماضية ،وتكونت فى هذا الاطار عدة مدارس تختلف فى تقنيات الوصف اللغوى، ولكنها تنطلق من الأساسيات التى تكونت عند دى سوسير وعند من جاءوا بعده . لقد أصبح علم اللغة الوصفى سائدا عند أكثر المشتغلين ببحث اللغة فى العالم ، حتى إن البعض يتحدث عن علم

اللغة الحديث ويمنى علم اللغة الوصفى ، وكأنه هو المنهج الحديث الوحيد فى علم اللغة .

إن كل البحوث التى تتناول مستوى واحداً من مستويات اللغة بالدراسة الشاملة أو الجزئية لأحد جوانبه تعد من موضوعات علم اللغة الوصفى. فدراسة البنية الصوتية للعربية الفصحى فى القرن الثانى الهجرى ، ودراسة البنية الصوتية للعربية المعاصرة، ودراسة المقاطع فى لهجة عمان ، تعد من الدراسات الصوتية الوصفية . أما علم الصرف الوصفى فيبحث موضوعات مثل : أبنية الأفعال فى لهجة القاهرة ، أبنية الأسماء فى العربية الفصحى المعاصرة ، المشتقات فى القرآن الكريم ، المصدر فى الشعر الجاهلى . وهذه أمثلة لدراسات تتناول بناء الكلمة فى مستوى لغوى بعينه من مستويات اللغة . وتدخل قضايا تحليل بناء الجملة أيضا فى علم اللغة الوصفى، ومن أمثلة بناء الجملة بالمنهج الوصفى : الجملة العربية فى الشعر الجاهلى ، الجملة الخبرية فى القرآن الكريم ، الجملة الطلبية فى الأصمعيات ، الجملة الشرطية عند الهذليين ، جملة الاستفهام فى النثر العربى الحديث. وفى الجانب المعجمى - أيضا - مجالات كبيرة لتطبيق المنهج الوصفى . وهناك معاجم أعدت لمستوى لغوى بعينه مثل معجم ألفاظ القرآن الكريم . وتعد الآن فى اطار خطة الرسائل الجامعية فى كلية الآداب جامعة القاهرة معاجم يختص كل منها بشاعر بعينه أو بكاتب بعينه من كتاب العربية ، وهى جهود تهدف إلى تسجيل الواقع المعجمى فى هذه النصوص . وهكذا فان مجالات البحث الوصفى كثيرة ، وأية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية لأحد مستويات العربية قديما أو حديثا تعد دراسة وصفية .

٢ - علم اللغة التاريخى :

يبحث علم اللغة التاريخى تطور اللغة الواحدة عبر القرون ، أو بمعنى أدق التغير فى اللغة الواحدة على مدى الزمن . وهناك باحثون يرفضون كلمة التطور فى هذا

الاطار باعتبارها تحمل دلالة الارتقاء ،أى التغير إلى أفضل، وهذا حكم تقويمى، وهو غير ممكن فى مجال التغير اللغوى ، فليست هناك صيغة أفضل من صيغة وليس هناك صوت أفضل من صوت . ولذا يفضل أكثر الباحثين المعاصرين وصف ما يحدث بأنه تغير . وثمة فرق بين أن يقال بأن اللهجات نتيجة تغير لغوى أو أنها نتيجة تطور لغوى .

لقد كانت البحوث اللغوية المقارنة ذات سمة تاريخية ، ولكنها كانت تحاول أن ترتب المستويات اللغوية واللغات المختلفة المنتمية إلى أسرة واحدة ترتيبا يهتم فى المقام الأول بالصيغ والمستويات المغرقة فى القدم ، والتى يمكن أن يتعرف منها الباحث على الصيغة الأصلية أو الشكل الأقدم الذى خرجت عنه باقى الصيغ ، ولهذا فقد وصف هذا العمل بأنه تاريخى مقارن . وقد ظل بعض الباحثين يتصور أن علم اللغة التاريخى يمكن أن يكتفى بالمراحل المبكرة فى تاريخ كل لغة من اللغات ، أى أقدم المراحل المتاحة وأقربها نسبيا من اللغة الأقدم . ولكن الوضوح المنهجى فى علم اللغة يتيح وجود دراسات وصفية للمستويات اللغوية المختلفة عبر القرون ، ويتيح أيضا أن تتكامل هذه الدراسات الوصفية الكثيرة لتمهد الطريق أمام البحث التاريخى اللغوى بالمعنى الدقيق للكلمة ، أى البحث فى تاريخ اللغة من أقدم نصوصها المدونة إلى وقتنا هذا .

وهناك قضايا كثيرة فى مجالات الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة تدخل فى إطار علم اللغة التاريخى . فدراسة التغير الصوتى فى العربية تعد دراسة صوتية تاريخية ، ودراسة صيغ الجموع فى العربية بتتبع توزيعها ونسبة شيوعها فى المستويات اللغوية المختلفة عبر القرون موضوع من موضوعات علم الصرف التاريخى ، ودراسة جملة الاستفهام فى العربية عبر القرون تعد دراسة نحوية تاريخية، وكذلك الجملة الشرطية فى العربية وجملة الاستثناء فى العربية . وتعد دراسة التغير

الدلالى وما يرتبط بها من اعداد المعاجم التاريخيه من أهم مجالات علم اللغة التاريخى. والمعجم التاريخى هو ذلك المعجم الذى يعطى تاريخ كل كلمة من كلمات اللغة الواحدة ويؤرخ لها ابتداء من أقدم نص وردت به إلى آخر نص ، يتتبع دلالتها وتغيرها . ويعد معجم اكسفورد التاريخى للغة الانجليزية من أهم المعاجم التاريخية للغة من اللغات . وتهدف الدراسات المعجمية الوصفية التى تمد للعربية إلى أن تكون لبنات فى تكوين معجم تاريخى للغة العربية .

هناك مجالات كثيرة للبحث اللغوى التاريخى ، فالتاريخ اللغوى بأبعاده الكاملة من شأنه أن يعطى صورة واضحة لتاريخ الحياة اللغوية . ولا يقتصر هذا البحث على تغير البنية اللغوية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، بل يتناول بالضرورة مستويات الاستخدام اللغوى فى البيئات المختلفة وتغير ذلك عبر الزمن ، كما يتناول الانتشار اللغوى ودخول اللغة إلى مناطق جديدة ويبحث أيضا الانحسار اللغوى عن مناطق بعينها . فالعربية مثلا كان لها على مدى عدة قرون وجود فى الأندلس وفى إيران ، وكانت لغة ثقافة فى شبه القارة الهندية ، ودراسة موجات التعريب من جانب ثم انحسار مجالات استخدام العربية فى بعض هذه المناطق يعد من الدراسات اللغوية التاريخية . وعلى ذلك فالتاريخ اللغوى يتناول دراسة التغير فى البنية اللغوية وبحث التغير فى مستويات الاستخدام .

٤ ـ علم اللغة التقابلى :

علم اللغة التقابلى أحدث فروع علم اللغة ، نشأ بعد الحرب العالمية الثانية . يقوم علم اللغة التقابلى على فكرة بسيطة لا شك أن الكثيرين عن تعلموا لغات أجنبية أو علموها قد أدركوها . فالصعوبات التى تواجه متعلم لغة جديدة ترتبط فى المقام الأول بالاختلافات بين هذه اللغة الاجنبية واللغة الأم . ويطلق مصطلح « اللغة الام » أو « اللغة الاولى » على اللغة التى نشأ عليها الفرد أى اللغة التى اكتسبها فى

طفولته ، فى بيئته وفى علاقاته الاسرية والاجتماعية المحلية . وعلى عكس هذا فان مصطلح اللغة الثانية يعبر عن اللغة التى يكتسبها الانسان بعد ذلك ، ويدخل فى هذا بالضرورة كل اللغات الاجنبية التى يكتسبها الانسان فى المراحل التعليمية المختلفة أو اثناء التعامل المباشر مع أبناء تلك اللغات ، ولذلك يطلق على اللغات الاجنبية — فى البحوث الخاصة بتعليم اللغات — مصطلح اللغة الثانية . وفى المجال التعليمى يطلق مصطلح اللغة المنشوده على اللغة التى يراد تعلمها وذلك على عكس اللغةالمصدر وهى اللغة الام أو اللغة الأولى .

ويقدر الاختلاف بين اللغة الاولى واللغة المنشودة تكمن الصعوبات. فالاصوات التى توجد فى اللغة المنشودة ولا توجد فى اللغة الاولى تشكل بالضرورة صعوبات ينبغى العمل على تذليلها . وموضوع علم اللغة التقابلى هو المقابلة بين نظامين لغويين مختلفين ، هما بالتحديد النظام اللغوى للغة الاولى والنظام اللغوى للغة المنشودة .وقد تجنبنا هنا استخدام كلمة المقارنة لئلا يختلط علم اللغة التقابلى وعلم اللغة المقارن. فعلم اللغة المقارن يقارن اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ويهتم فى المقام الاول بالاستخدام الاقدم فى هذه اللغات للوصول إلى اللغة التى خرجت عنها كل هذه اللغات ، ولذا فعلم اللغة المقارن ذو هدف تاريخى يحاول به كشف جوانب من الماضى البعيد . أما علم اللغة التقابلى فلا شأن له بهذه الاهتمامات التاريخية ، ودراساته ذات هدف تطبيقى فى تعليم اللغات . ولذلك فالدراسة التقابلية ممكنة بين لغتين من أسرة واحدة أو من أسرتين مختلفتين لا بهدف التعرف على الاصل القديم ولكن بهدف التعرف على الفروق الصرفية والنحوية والمعجمية بين النظامين اللغويين فيمكن مثلا أن تتم الدراسة التقابلية بين العربية والتيجرينية — لغة اريتريا — وكلتاهما من اللغات السامية ، ومن الممكن أيضا عمل دراسة تقابلية بين العربية والاردية ، وهما من اسرتين لغويتين مختلفتين .

ولا يقتصر البحث اللغوى التقابلى على دراسة الفروق بين لغتين اثنتين فيمكن أيضا أن يكون بين لهجة محلية واللغة الفصيحة المنشودة ، فالصعوبات الموضوعية التى تواجه أبناء تلك اللهجة فى محاولاتهم اكتساب اللغة الفصيحة تنجم فى المقام الاول عن الفرق بين هذه اللهجة وتلك اللغة . فالصعوبات التى يواجها أبناء مصر فى تعلم الاصوات بين الاسنانية وهى الثاء والذال والظاء فى الفصحى والصعوبات التى يواجهها أبناء العراق والجزيرة العربية فى التمييز بين الضاد والظاء والصعوبات التى يواجهها عدد من الفلسطينيين فى التمييز بين القاف والكاف إنما ترجع إلى الفروق بين اللهجة المحلية واللغة المنشودة .ولا يقتصر البحث اللغوى التقابلى على مجال الاصوات بل يتناول أيضا بناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة ! فالابنية تختلف بين اللغة الام واللغة المنشودة والتراكيب التى تختلف بينهما والكلمات التى تختلف دلالتها بين المستويين يمكن التعرف عليها بالدراسة التقابلية ، فيكون تذليل هذه الصعوبات بمراعاتها فى برامج تعليم اللغات . فإذا كانت اللغة الاولى تفتقد بعض الاصوات التى توجد فى اللغة الثانية وجبت العناية بالتدريب النطق على هذه الاصوات . وإذا كانت بعض الكلمات تستخدم فى اللهجة المحلية بدلالات تخالف اللغة المنشودة كان من الضرورى الاهتمام بالتدريبات التى توضح المعنى الفصيح المنشود . وهكذا يمكن أن تقدم الدراسات التقابلية أساسا لغويا موضوعيا لتذليل الصعوبات فى تعلم اللغات

ثالثا — علم اللغة العام :

يرجع مصطلح علم اللغة العام إلى المحاضرات التى القاها اللغوى السويسرى دى سوسير . لقد حاول دى سوسير أن يتناول طبيعة اللغة ووظيفتها وتحدث تفصيلا عن « علم اللغة الوصفى » أو « التزامنى » ثم تناول « علم اللغة التاريخى» ثم « علم اللغة الجغرافى » ، ثم بعض القضايا التى تربط اللغة بالعلوم الانسانية

وتتابعت مؤلفات كثيرة بعد ذلك تناولت نظرية اللغة من جانب ومناهج التحليل اللغوى من الجانب الآخر، وفى مقدمة هذه الكتب ما كتبه بلومفيلد Bloomfield وجليسون Gleason ، وهوكيت Hockett ،ومارتينيه Martinet ،ويا كوبسون Jakobson ، وشوموسكى Chomsky ، وروبنز Robins ، وليونز Lyons ، وهذه الكتب تصدر عن فكرة أساسية هى أن اللغة ظاهرة انسانية عامة يشترك فيها كل البشر ، وتتألف اللغه من أصوات تصدر من أعضاء النطق وهى مشتركة أيضا بين كل البشر ، ثم تتألف هذه الأصوات فى أنساق مختلفة لتكون الكلمات ثم تتألف الكلمات فى عدة أنساق لتكون الجمل . وهدف علم اللغة العام أن يطور النظرية العامة للغة والوسائل الدقيقة لتحليل الأصوات والكلمات والجمل والدلالة. ويهتم علم اللغة العام أيضا ببيان العلاقة بين علم اللغة والعلوم الانسانية الأخرى .

رابعا : اللغة بين العلوم الانسانية

تشترك العلوم الانسانية فى اهتمامها باللغة بوصفها أهم مظاهر السلوك الانسانى ووسيلة الاتصال المكونة للجماعة الانسانية. وهناك أفكار كثيرة عن اللغة نجدها عند المفكرين اليونان والعرب والهنود ، وكذلك عند علماء الاجتماع من ابن خلدون ودوركايم إلى المدارس الاجتماعية المعاصرة ، وكذلك عند علماء النفس . ولكن النزوع نحو التخصص الدقيق ، فى عصر حدث فيه انفجار للمعرفة فأصبح الاستيعاب الشامل مستحيلا ، جعل من الضرورى أن تنشأ تخصصات جديدة تهتم ببحث اللغة فى مقدمتها علم اللغة الاجتماعى وعلم اللغة النفسى .

يهتم علم اللغة الاجتماعى بقضايا التفاعل بين اللغة والمجتمع وما أكثر القضايا التى تدخل فى هذا الاطار : الازدواج اللغوى ، مستويات الاستخدام ، تعدد اللغات فى المجتمع الواحد وغير ذلك. وهناك مجال كبير للبحوث اللغوية الاجتماعية فى دول العالم الثالث حيث تتعدد اللغات داخل الدولة الواحدة ، مما يفرض على

الباحثين الاهتمام بالمشكلات اللغوية الاجتماعية فى محاولة لفهمها ولايجاد الحلول المناسبة لها فى اطار الجهود الهادفة إلى إقامة الدولة الحديثة .

أما علم اللغة النفسى فيتناول بصفة عامة القضايا التى تتناول العلاقة بين اللغة والقدرات عند الانسان . ويدخل فى هذا : التمكن اللغوى ، واكتساب اللغة ، واللغة والمعرفة ، واللغة والفكر ، وغير ذلك . وكل العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللغة وعند المتلقى عقب صدور اللغة يدخل بحثها فى اطار علم اللغة النفسى .

وفوق هذا كله فان تكامل المعرفة الانسانية ضرورة للنمو العلمى . وعلم اللغة مرتبط بعلمى التشريح والفسيولوجيا من حيث التعرف على أعضاء النطق وأعضاء السمع وقيامها بوظائفهما . وعلم اللغة يفيد أيضا من علم فيزياء الصوت ووسائل التحليل الصوتى المختلفة وفى مقدمتها الأجهزة الدقيقة التى طورها علماء فيزياء الصوت . وعلم اللغة يفيد أيضا من الحاسبات الألكترونية فى الحصول على المعلومات الاحصائية اللغوية وفى مقدمتها احصاءات المفردات . ويشترك علم اللغة مع بعض العلوم الطبية فيما يتعلق بعلم أمراض الكلام . وهكذا أدى تنوع المعرفة الانسانية وانفجار المعرفة إلى زيادة حجم المعلومات المتاحة من جانب وإلى ضرورة التعاون بين اللغويين وغيرهم من الجانب الآخر ، فنشأت تخصصات جديدة .

الفصل الثالث

الأصوات

أولا : الاصوات والكتابة :

هناك خلط غير يسير يقع فيه كثيرون لايميزون الأصوات والكتابة أو بمعنى آخر بين اللغة فى صورتها المسموعة وبين اللغة وقد كتبت بحروف. ويعتقد كثيرون أن الكتابة بصفة عامة صورة صادقة للغة المنطوقة ،وفى هذا نظر .فالمتفق عليه أن اللغة ظاهرة صوتية ، وبمعنى أن الأصل فى اللغة أنها نظام من الرموز الصوتية المنطوقة التى يتعامل بها الانسان . وقد تعامل الانسان باللغة آلاف السنين قبل أن يكتبها . وبعد مرحلة طويلة بدأت المحاولة الأولى لتدوين هذه اللغة المنطوقة المسموعة لتصبح شيئا مقروءا . وهناك لغات كثيرة لايكتبها أبناءها إلى يومنا هذا ، فاللغة المهرية لايكتبها أبناؤها وكذلك النوبية ومئات اللغات الافريقية فضلا عن لغات السكان الاصليين فى أمريكا واستراليا . فاللغة تقوم أساسا على الصوت ، وأما الكتابة فهى ظاهرة حضارية لها أهميتها . ولكن ينبغى الا تختلط بظاهرة أخرى وهى اللغة .

الكتابة فى أفضل صورها محاولة للتعبير عن اللغه المنطوقة ولكن الكتابة العربية بتقاليدها المعروفة والكتابة المستخدمه فى تدوين اللغات الأوربية على النحو المعروف لنا ، وكذلك كل الكتابات المتداولة فى العالم قديما وحديثا هى مجرد

محاولات تقريبية لتسجيل الواقع الصوتى لهذه اللغات .فالقارى العادى لايقرأ الكلمة المكتوبة حرفاحرفا ، ولكنه ينظر الرموز المكتوب فيتذكر الكلمة فينطلق لسانه بها ، ولو كان القارىء العربى مثلا يقرأ الكلمة المدونة حرفا حرفا لما استطاع أحد قراءة كلمة عربية غير مضبوطة بالحركات ، بل لما استطاع الاقدمون قراءة كلمة مدونة دون نقط ، وفى كل هذه الحالات يكفى الرمز المكتوب لأن يذكر القارىء الصورة الصوتية الكلمة المدونة ، ويبلغ الاختلاف بين اللغة المنطوقة ومحاولة تدوينها بالكتابة فى بعض اللغات الأوروبية المعاصرة مدى بعيدا ، فنى الكلمات الانجليزية التالية نجد ثلاثة أصوات مختلفة والحرف واحد ، والكلمات هى : Sir,in, I ، فالأصوات مختلفة والحرف واحد . وعلى العكس من هذا نجد الصوت الواحد يدون بأكثر من رمز ، فنى تدوين اللغة الانجليزية نجد فى الكلمتين for,Photo صوتا معينا تبدأ به كلتا الكلمين ، ورغم هذا فتدوين هذا الصوت يختلف فى كلتا الكلمتين ، ويرجع هذا الاختلاف إلى تاريخ كلتا الكلمتين ، فكلمة for فى الانجليزية كلمة أصيلة موروثة ، ولكن كلمة Photo دخلت الانجليزية من اللغة اليونانية ، فالكتابة فى حالات كثيرة لاتمثل النطق تمثيلا مباشرا ، ولكنها تعكس جوانب من تاريخ الكلمة . والمقصود هنا بالتمثيل المباشر أن يكون لكل صوت من أصوات اللغة رمز واحد يكتب به ، والايعبر هذا الرمز الواحد الا عن ذلك الصوت المنطوق . ولكن كل الكتابات المستخدمة فى تدوين اللغات الحديثة تختلف من هذا الجانب اختلافا بعيدا فى بعض الأحوال ومحدودا فى أحوال أخرى ويخفف من هذه الحقيقة كون القارىء لايقرأ الحروف المكتوبة حرفا حرفا ، إلا أن كان طفلا يتعلم القراءة .

إذا نظرنا فى الخط العربى كما نكتبه اليوم محاولين معرفة مدى اختلافه عن الواقع المنطوق وجدنا عددا كبيرا من الامثلة . فالخط العربى يقوم أساسا على

كتابة الكلمة مفردة ، ومعنى هذا اننا عندما نكتب كلمة « ابن » نكتب الالف كما لو كانت هذه الكلمة مستقلة قائمة برأسها فى النطق ، ويصدق هذا أن كانت هذه الكلمه فى أول الكلام ، أما إذا سبقت بحركة فلا مبرر لهذه الالف من الناحية الصوتية . وليعد القارىء بسمعه إلى نطقنا لهذه الكلمة مسبوقة بحرف الفاء «فابن» وهنا نلاحظ أننا نطقنا بالفاء ثم بفتحة ثم بالباء ... الخ . ومعنى هذا أن ما بين الفاء وباء الكلمة ليس الفا بحال من الأحوال ،ان هى إلا فتحة فقط . وهنا نذكر ادراك النحاة العرب فى القرن الثانى الهجرى لهذه الظاهرة ، فقد أطلقوا على الألف التى لا تظهر فى سياق الكلام مصطلح « ألف الوصل » تمييزا لها عن همزة القطع ، وهى الهمزة المنطوقة الثابتة التى لا تختفى وتظل دائما فى الكلمة العربية طالما كان الانسان ينطق بالعربية الفصحى . ولذا هناك فرق بين نطقنا لعبارة (قال أحمد) ، وعبارة (قال اخرج) ففى العبارة الاولى نلاحظ أننا نطقنا بكلمة (قال) التى تنتهى بحركة قصيرة هى الفتحة ، ثم جئنا بعد ذلك بكلمة (أحمد) ونطقنا بالهمزه باعتبارها أول أصوات هذه الكلمة . وعلى العكس من هذا قولنا (قال اخرج) فالنطق الفصيح لهذه العبارة يجعلنا ننطق بعد اللام والفتحة التالية لها صوت الخاء مباشرة ، أى دون أن ننطق بالألف ،وهذا معناه أن هذه الالف بدورها ألف وصل ، أى لا تنطق فى السياق. ورب معترض يقول منا بأن الخط العربى التقليدى يفرق بين همزة القطع وألف الوصل بجعل علامة الهمزة تستقر فوق الالف للدلالة على همزة القطع ويجعل علامة الوصل ، فوق الألف للدلالة على الوصل .وهذا صحيح ويصدق على واقع الخط العربى منذ قرون، فهذه العلامات الاضافية زيدت فى مرحلة تالية فى تاريخ الخط العربى فى محاولة لابراز هذا النطق .ومع هذا فوجود الألف فى كلمة (ابن) يرجع إلى أن هذه الكلمة اتخذت شكلها المكتوب كما لو كانت مستقلة .

ولنلق نظرة ثانية إلى ما يسمى بأداة التعريف العربية : « أل » لنلاحظ أن اللام تظهر فى النطق أحيانا ، وتختفى مدغمة فى أحيان أخرى . فنحن نقول : الجامعة ، الاعلام ، الكتاب ، فننطق لام التعريف واضحة . ونقول : الشمس، فلا ننطق إلا بشين مشددة . وفى كلتا الحالتين تكتب اللام . ولكن نطق هذه اللام أو ادغامها يخضع لضوابط ، فقد بحث اللغويون العرب هذه الظاهرة وعرفوا لها اسم الادغام تعبيرا عن كون الصوت الناتج مشددا ، وهو هنا الشين المشددة ، كما نقول : الرجل والسيارة بادغام يظهر فى تشديد الراء وتشديد السين . ولكى لا نمضى طويلا متوسلين بمصطلحات الخط لا بمصطلحات الأصوات ، نشير إلى أن مصطلح التشديد أو التضعيف يعبر من ناحية الكتابة عن العلامة التى توضع فوق الحرف لتفيد تكراره، أما من ناحية النطق وهو الأساس — يعنى مصطلح التشديد أو التضعيف أن الصوت المعنى يستغرق حوالى ضعف الزمن الذى يستغرقه نفس الصوت دون تشديد، وكأن الصوت المشدد يعبر عن صوتين متتاليين من نفس النوع .

ولكى نوضح ما بين الخط العربى والنطق العربى من جوانب اختلاف واتفاق نذكر شيئا آخر . فنحن نكتب بعد واو الجماعة فى الفعل الماضى ألفا ، مثل خرجوا ، ذهبوا . وليس لهذه الألف أى مبرر صوتى ، وقد دونت لعوامل لا تتعلق بالنطق . وعلى العكس من هذا نجد فى أمثلة كثيرة اختلافا بين النطق والكتابة على نحو مغاير . ويكفى أن ننظر فى صفحة واحدة من المصحف لنجد فيها عشرات الكلمات المكتوبة دون تدوين حروف دالة على الفتحة الطويلة أى دون تدوين مد الالف . ولرسم المصحف أهمية كبرى فى دراسة تاريخ الخط العربى ، فهو أكبر وثيقة تتضح منها خصائص الخط العربى فى صدر الاسلام وفيه نجد الكلمات (الرحمن ، طه ، اسماعيل ، اسحق ، هرون، سليمن) مكتوبة دون حروف مد . وتنعكس طريقة كتابة هذه الاسماء النهج العربى القديم فى تدوين

الصوامت فقط وعدم تدوين الحركات الطويلة والقصيرة . ولكن كتابة هذه الأسماء على هذا النحو لا تعكس كيفية نطقها فهذه الاسماء لم تكن تنطق آنذاك إلا كما وصلت الينا فى القراءات القرآنية ، أى أن هذه الاسماء كانت تنطق كما ننطقها اليوم ونحن نكتب بعض هذه الاسماء اليوم فى العربية الفصحى الحديثة كتابة أقرب إلى النطق من الخط الذى عرفه العرب وقت كتابة المصحف العثمانى ، مثل اسم العلم اسحق يكتب اليوم اسحاق ، غير أن عددا منها لايزال يحتفظ برسمه القديم .

وإذا كانت ثمة أقاصيص بأن زيدا ضرب عمراً لان عمرا سرق واو داود، فالعلم الحديث لا يتعامل بمثل هذا فاسم العلم داود كتب فى العربية بواو واحدة ، لانه يكتب فى كل اللغات السامية التى عرفتها منطقة الشام بواو واحدة ، وعندما تعلم العرب الخط من الآراميين أخذوا كتابة بعض الكلمات عنهم أيضا وكتبوها بنفس تتابع الحروف ولم يطابقوها مع النطق العربى . فاذا كان الكنعانيون والآراميون قد كتبوا هذا الاسم بواو واحدة فقد فعل العرب نفس الشىء ، فكتابة هذا الاسم على هذا النحو إرث تاريخى . أما عمرو فلم يكتب اسمه بواو لعلاقته الحسنة أو السيئة مع أحد، بل للتمييز بينه وبين عمر ، ولذا يكتب اسم عمرو هكذا بالواو فى حالتى الرفع والجر أما فى حالة النصب فيكتب « عَمْراً » ، لان وجود الالف معناه أنه معرب منون على عكس عمر . فهو ممنوع من الصرف ، ولذا تكون صيغته فى حالة النصب : عُمَرَ . وهكذا نلاحظ للكتابة ضوابطها فى التمييز بين الكلمات ، وهى ضوابط لاتطابق الواقع الصوتى فى حالات كثيرة ، ولذا لا نعتمد فى الدراسة الصوتية على الكلمة برسمها المكتوب ، بل نبحثها وفق مكوناتها الصوتية الحقيقية .

ثانيا : أعضاء النطق وعملية الكلام :

يعتمد تصنيف الاصوات اللغوية من الناحية الفسيولوجية أو النطقية على المعرفة الدقيقة بأعضاء النطق وعلى الفهم العلمى لعملية الكلام . ولذا يفيد البحث الصوتى

من علم التشريح فى التعريف بأعضاء النطق ومن علم الفسيولوجيا فى معرفة وظائف هذه الأعضاء وكيفية قيامها بهذه الوظائف لقد اصطلح الباحثون فى علم اللغة على تسمية الأعضاء التى تشترك فى عملية النطق باسم أعضاء النطق أو أعضاء الكلام أو الجهاز الصوتى وهذه الأعضاء تقوم بأداء هذه الوظيفة عند الانسان فقط ، ولها وظائفها الأساسية الأولى التى نجدها عند الانسان وعند الكائنات الحيوانية الأخرى. ان الوظيفة الفسيولوجية الأساسية للاسنان ليست تكوين الأصوات بل هى المضغ ، ووظيفة اللسان الأساسية هى التذوق ، كما أن هواء الزفير المكون للأصوات اللغوية يخرج من الرئتين فى إطار عملية التنفس . وهى عملية فسيولوجية أساسية لا يستغنى عنها الكائن الحى ، فأعضاء النطق تقوم — إذن — بوظائف أساسية ، أضيفت إليها عند الانسان وظيفة ثانوية هى تكوين الأصوات اللغوية .

يتكون الصوت اللغوى على نحو يشبه حدوث الأصوات فى آلات النفخ مثل الناى والمزمار . ووجه الشبه بين حدوث الصوت اللغوى من جانب وصوت آلات النفخ من الجانب الآخر أن كليهما يصدر بأن يتحرك عمود من الهواء فى اتجاه محدد خلال ممر مغلق ، فتحدث له فى طريقة درجات مختلفة من الايقاف أو الاعتراض فى مواضع مختلفة فيتنوع الصوت تبعا لذلك . ولذا يتكون الصوت اللغوى فى ظل ثلاثة شروط .

١ — وجود عمود هواء متحرك

٢ — وجود ممر مغلق .

٣ — ايقاف أو اعتراض مؤقت لحركة عمود الهواء .

وفى نطق الأصوات اللغوية، فإن عمود الهواء هو ذلك الهواء الذى تطرده الرئتان فى عملية الزفير . وكل الأصوات العربية وأصوات اللغات الكبرى المعروفة تنطق عن طريق هواء الزفير . يمضى عمود الهواء خلال فراغ أو ممر مغلق، يتكون من الحلق ثم التجويف

الحلق ثم الفم أو الأنف . وتتنوع الأصوات اللغوية لأن عمود الهواء لا يخرج دون أن يعترض سيره فى نقاط محددة مختلفة فى حين يتغير شكل الممر المغلق وفقا لنظام محدد ، وبذلك يصدر كل صوت لغوى وفق أوضاع معينة تتخذها أعضاء النطق .

وهناك عدد من أعضاء النطق تستطيع بحكم تكوينها أن تتحرك ، فاللسان من أعضاء النطق المتحركة لأنه يتحرك إلى أعلى وإلى أسفل ويتحرك كذلك إلى الأمام أو إلى الخلف ، وحركيته جزء أساسى فى تكوين الأصوات اللغوية . وعلى العكس من هذا فهناك أعضاء نطق ثابتة منها الأسنان العليا . ويوصف الصوت اللغوى وفق عدة معايير تقوم أساسا على بيان عضو النطق المتحرك الذى يشترك فى تكوين الصوت وكذلك على تحـــديد النقطة التى يتحرك فى اتجاهها عضو النطق المتحرك .

تتكون الأصوات عند المتحدث فى منطقة معينة توجد فيها أعضاء النطق ، وترتبط عملية النطق بعمليات فسيولوجية أخرى . فالصوت يتكون من هواء الزفير ولذا لابد أن يوجد تيار الهواء خارجا من الرئتين عبر القصبة الهوائية لكى يتم النطق . وعندما يمضى تيار الهواء خلال أعضاء النطق تحدث عدة عمليات تؤدى إلى تمييز صوت عن آخر ، فيتأثر تيار الهواء بتوتر الوترين الصوتيين أو عدم توترهما ، وينتج عن وجود هذا التوتر أو عدم وجوده تمييز بين الاصوات اللغوية. ويتحدد نطق أكثر الاصوات اللغوية وفق وضع اللسان فلكل صوت وضع خاص يتخذه اللسان فى الفم . وتختلف الاصوات أيضا باختلاف وضع الشفتين ، ففى نطق بعض الاصوات تكون الشفتان فى وضع استدارة مثل نطق الضمة ، وفى نطق اصوات أخرى تكون الشفتان منبسطتين مثل نطق الكسرة .

وعملية النطق عملية مركبة بمعنى أن الصوت لايتكون إلا بعدة عمليات

متكاملة ، فلا تكفى استدارة الشفتين لنطق الصوت ، ومجرد وضع اللسان فى أى موضع من الفم لايكفى لنطق أى صوت . ولذا فهناك مقومات أساسية لنطق الأصوات اللغوية. إذا كانت عملية الزفير تمد عملية النطق بتيار الهواء فان الاعضاء النطقية من الحنجرة إلى الشفتين والانف تكون هذا الممر الضيق، أما الاعضاء النطقية المتحركة وأهمها اللسان ثم اللهاة ثم الوتران الصوتيان فتقوم باعتراض تيار الهواء الخارج بكيفيات مختلفة فتتميز الاصوات اللغوية . فلكل صوت خصائصه النطقية التى تفهم بدراسة الجهاز الصوتى وفسيولوجية الكلام .

وعندما يصدر الصوت اللغوى يمضى فى الهواء فيحدث ذبذبات وتكون له عدة خصائص فيزيائية . وهنا مجال لدراسة ذلك الصوت اللغوى بأجهزة القياس الصوتى التى يتعامل بها المختصون فى فيزياء الصوت . وما ان يصل الصوت اللغوى إلى أذن المتلقى حتى تتلقاه الاذن وباقى أجزاء الجهاز السمعى وهنا أيضا مجال لدراسة الصوت من حيث وقعه على أعضاء السمع . فلكل صوت خصائصه النطقية و خصائصه الفيزيائية وخصائصه السمعية . ولذا يميز الباحثون ثلاثة مداخل لدراسة الصوت اللغوى :

(ا) علم الاصوات النطقى

(ب) علم الاصوات الفيزيائى .

(جـ) علم الاصوات السمعى .

ويفيد البحث الصوتى من نتائج علوم التشريح والفسيولوجيا من ناحية علم الاصوات النطقى وعلم الاصوات السمعى ، كما يفيد من علم فيزياء الصوت من ناحية علم الأصوات الفيزيائى .

ثالثا : التحليل الفونولوجى

يتناول التحليل الفونولوجى أصوات اللغة باعتبارها عناصر رمزية تتكون

منها اللغة . فلا يهتم علم الفونولوجى بالخصائص النطقية والفيزيائية والسمعية للاصوات باعتبارها هدفا فى ذاتها ، بل يهتم بها باعتبارها مجرد وسيلة لتحديد الصوت اللغوى فى اطار اللغة الواحدة . يتضح الفرق بين البحث الصوتى والبحث الفونولوجى من الفرق بين ماتسجله أجهزة القياس وما يؤثر فى المعنى. فالكاف فى العربية لاتنطق نفس النطق فى كل سياق صوتى ، فالكاف التى بعدها كسرة فى كلمة « كتاب » يخلف مخرجها عن الكاف المضمومة فى كلمة « كل » ولكن هذا الاختلاف ليس بذى دلالة فى تغير المعنى ، وكذلك اللام العربية فانها تنطق تارة بالترقيق فى كلمة « بالله » وأخرى بالتفخيم فى كلمة « والله » .

إن البحث الصوتى بوسائله العملية التجريبية يكشف فى اللغة العربية عن عدد كبير جدا من الأصوات ، فالكاف التى بعدها كسرة صوت يختلف عن الكاف التى بعدها ضمة واللام المرققة صوت يختلف عن اللام المفخمة . وهناك باء مفخمة وباء مرققة ، وهناك واو مفخمة وواو مرققة . واذا كان ثمة خلاف بين المتحدث الواحد على نحو ما ذكرنا فان الاختلاف يزيد بتعدد الاشخاص فلا ينطق كل انسان مثل الآخر ، فلكل فرد خصوصيته فى النطق . ولذا يصعب الاعتماد على الاجهزة لتحديد الاصوات المكونة للغة من اللغات ، لان هذه الاجهزة تقدم لنا بتنوع مئات من الاصوات فى كل لغة من اللغات . ويزيد الامر تعقيدا أن الانتقال من نطق صوت لآخر ليس انتقالا مباشرا أو واضح الحدود، بل تتابع الاصوات المنطوقة فى سلسلة بين كل عنصر من عناصرها مرحلة انتقال. فأعضاء النطق لاتنطق فى الكلام العادى كل صوت مستقلا، بل يتأثر نطق الصوت الواحد بالاصوات السابقة عليه والتالية له . وتستطيع الدراسة الصوتية المعملية التمييز بين الخصائص الفيزيائية لكل صوت ينطق ، ولهذا يكون عدد الاصوات بلا حدود .

ولكن اللغة باعتبارها مجموعة من الرموز المحددة الحاملة للمعانى لا يمكن أن

تتكون من عدد غير محدود من الاصوات، فكل نظام من الرموز لابد وأن تكون عناصره الخاصة محددة حتى يكون فعالا عند مستخدمى هذا النظام .

يهدف البحث الفونولوجى إلى تحديد العناصر المكونة للنظام اللغوى فى ضوء التمييز الموضوعى بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية المختلفة . وترجع فكرة التمييز الموضوعى بين الوحدات الصوتية وصورها الصوتية المختلفة إلى مدرسة براغ فى البحث الفونولوجى وأهم أعلام هذه المدرسة اللغوى الروسى تروبتسكوى واللغوى البولندى الامريكى ياكوبسون ، وقد بدأت آراؤهما المنهجية تتضح بعد سنة ١٩٢٩ . ويقـــوم التمييز بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية فى التحليل الفونولوجى عند تروبتسكوى على أساس التقابل الدلالى . فاذا ما اختلف صوتان من ناحية الخصائص النطقية أو الفيزيائية أو السمعية فان هذا الاختلاف يمكن أن يكون مؤثرا فى تغيير الدلالة ويمكن ألا يكون كذلك. فاذا قارنا كلمتين تشتركان فى كل الأصوات عدا صوتا واحد ، على نحو الكلمتين العربيتين (سائر ، صائر) فاننا نلاحظ أن معنى الأولى يخالف معنى الثانية، والعنصر الرمزى الصوتى الذى جعل دلالة الكلمة الاولى تختلف عن الثانية هو وجود صوت السين فى احداهما والصاد فى الاخرى . ومعنى هذا أن احلال احدهما محل الآخر يعنى تغيير المعنى ، ومن ثم نقول بأن السين وحدة صوتية والصاد وحـــدة صوتية أخرى . وقد استخدمنا هنا مصطلح الوحدة الصوتية ترجمة لما يطلق عليه فى اللغات الاوروبية Phonem ، وهكذا حددنا عن طريق التقابل الدلالى وجود السين كوحدة صوتية متميزة ووجود الصاد كوحدة صوتية متميزة أخرى فى العربية . وبذلك تحدد هذا التمييز على أساس المعنى ،والمعنى أمر مرتبط بالنظام الواحد ، فالكلمة لا تؤدى معناها إلا فى لغتها . ومعنى هذا ان تمييز النظام اللغوى للعربية بين السين والصاد ليس ملزما لجميع اللغات. و التمييز بين التاء والطاء فى اللغة العربية شبيه بهذا .فاذا قارنا الكلمتين (تين وطين) لاحظنا أن اختلافهما

فى المعنى يقوم على اختلاف الكلمتين فى الصوت الاول فقط . ومعنى هذا أن ابدال احدهما محل الآخر يغير المعنى ، لان ذلك يؤدى إلى تكوين كلمة أخرى بمعنى مغاير . ولو قال أحد الناس تين وهو يريد الطين أو العكس لحدث لبس فى الفهم. ومن هنا نقول بأن التاء فى العربية وحدة صوتية مستقلة والطاء وحدة صوتية مستقلة أخرى . ليس معنى هذا أن نطق كل الأفراد لصوت التاء هو نفس النطق تماما، وليس معنى هذا أن نطق كل الأفراد لصوت الطاء متفق اتفاقا كاملا ، فأجهزة القياس الصوتى تسجل درجات من الاختلاف فى نطق التاء. وكذلك فى نطق الطاء . ولكن الحد الفاصل بين التاء والطاء موضوعى، بمعنى أنه يقوم على معيار لايختلف باختلاف الافراد . والتقابل الدلالى معيار موضوعى لان أبناء الجماعة اللغوية الواحدة متفقون على استخدام كلمة (تين) بمعنى يغاير كلمة (طين) واستخدام كلمة (سائر) بمعنى يغاير كلمة (صائر) . ولذلك فاختلافات الافراد والاختلافات السياقية فى نطق التاء لاتؤثر فى المعنى، وتظل لذلك مجرد صور صوتية لنطق وحدة صوتية واحدة — وكذلك الاختلافات الفردية والسياقية فى نطق الصاد والطاء والسين .

ويتضح الفرق بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتيه عند العرب المعاصرين فى نطق اللام والراء والباء وغير ذلك من الاصوات . فنحن نقول : (والله) فننطق ما لامفخمة ، ونقول (بالله) فننطق ما لا مرققة ونحس فى وضوح بالفرق النطق بين اللام المفخمة واللام المرققة ، ولكن اللامين صورتان صوتيتان لوحدة صوتية واحدة . ولا يمكن اعتبارهما على الرغم من وضوح الفرق النطق بينهما وحدتين صوتيتين متميزتين ، وذلك لاننا لو جربنا بأنفسنا وجعلنا احدنا ينطق اللام فى (بالله) دون ترقيق فان الباقين يضحكون من نطقه فهذا النطق غير مألوف فى العربية ، ولكن المعنى يظل مفهوما لان ابدال صورة صوتية محل أخرى لايغير المعنى .

. يختلف تحديد الوحدات الصوتية من لغة لأخرى . وقد أوضحنا فكرة الوحدة الصوتية بأمثلة عربية لانها تناسب هذا الكتاب، ولو ألف لغوى شارحا نفس الفكرة بأمثلة يابانية لكان الامر مختلفا . فما نسميه بالعربية لاما يكون مع ما نسميه بالعربية راء وحدة صوتية واحدة فى اللغة اليابانية، ومن ثم يجد أبناء اليابان صعوبة فى تمييز الراء عن اللام فى اللغات التى تميز بينهما . فكل الأصوات التى يمكن تصنيفها — لو كانت فى العربية — إلى راء مرققة وراء مفخمة ولام مرققة ولام مفخمة تدخل فى العربية فى اطار وحدتين صوتيتين ، ولكن كل هذه الاصوات تدخل فى اليابانية فى اطار وحدة صوتية واحدة . وإذا كانت الراء بكل صورها الصوتية تكون وحدة صوتية فى العربية فان عدداً من اللغات الاوروبية لا تميز الراء عن الغين من الناحية الفونيمية . ولذا يجد أبناء اللغة الالمانية مثلا صعوبة فى التمييز بين الراء والغين عند تعلمهم اللغة العربية ، ويصعب هذا الامر لو التقى الصوتان فى كلمة واحدة مثل كلمة (مغرب) فتسمع هذه الكلمة عند كثير منهم كما لو كانت بغين مشددة . فكل انسان يسمع وفق مجموع عاداته الصوتية المكتسبة ولكل لغة نظامها فى الوحدات الصوتية وهذه الوحدات رموز كامنة فى ذهن أبناء البيئة اللغوية الواحدة ، ولذا فمن واجب البحث الصوتى تحديد الوحدات الصوتية المكونة لكل لغة من اللغات موضع البحث ، ثم عليه بعد ذلك أن يوضح الفروق النطقية والفيزيائية والسمعية بين الوحدة الصوتية وغيرها من الوحدات فى نفس اللغة . يقوم بحث الصور الصوتية على الأساس الصوتى، وتتحدد علاقات الوحدات الصوتية فى اللغة الواحدة على أساس التقابل الدلالى .

رابعا : تصنيف الاصوات اللغوية :

هناك عدة معايير لتصنيف الأصوات اللغوية ، أكثرها استخداما تلك المعايير التى تقوم على علم الأصوات النطقى ، فهو أقدم فروع البحث الصوتى ، ولذا

فمصطلحاته فى الوصف والتصنيف هى أكثر المصطلحات شيوعا . وتصنف الأصوات اللغوية وفق المعايير الآتية :

١ — الصوامت والحركات :

تقسم الأصوات اللغوية إلى صوامت وحركات . ويرجع الفرق بينهما إلى كيفية تكون الصوت فى أعضاء النطق . فعند النطق يندفع هواء الزفير من الرئتين بتأثير الحجاب الحاجز على القفص الصدرى ويمضى هواء الزفير محاولا الخروج، وعند النطق بالصوامت Consonants يحدث نوع من الاعتراض يعوق خروج هواء الزفير ، قد يكون هذا الاعتراض كاملا أو جزئيا . ففى كل حالات النطق بالصوامت يحدث هذا الاعتراض ، ومن الطبيعى أن يظل هذا الاعتراض لوقت قصير جدا ثم يزول . وتختلف الصوامت أيضا من ناحية النقطة التى يتم فيها الاعتراض أى النقطة التى يصدر فيها الصوت .

أما فى حالة النطق بالحركات Vowels فلا يحدث هذا الاعتراض بل تتحدد طبيعة الحركة عن طريق وضع الشفتين ووضع اللسان ، وهما يشكلان مجرى الهواء على نحو يجعلنا نميز الحركة عن الأخرى ، فالضمة العربية مثلا تنطق بأن تتخذ الشفتان شكل الاستدارة ، وهى بهذا تختلف عن الفتحة والكسرة ففيهما تتخذ الشفتان وضع الانبساط ، وتختلف الفتحة عن الكسرة فى وضع اللسان داخل الفم من ناحية درجة ارتفاعه فعند النطق بالفتحة يكون فى أدنى مستوى له فى الفم وعند النطق بالكسرة يكون فى أعلى مستوى له فى الفم . وهناك عدة حركات تختلف باختلاف درجة ارتفاع اللسان فى الفم ، وباختلاف المنطقة التى يتم فيها هذا الارتفاع داخل الفم فى مقدمه أو فى وسطه أو فى آخره .

٢ — المخارج :

وتوصف النقطة التى يتم عندها الاعتراض فى مجرى الهواء والتى يصدر الصوت فيها بمصطلح « المخرج » Point of Articulation . ولذا توصف الباء بأنها صوت

شفوى وتوصف الفاء بأنها صوت شفوى أسنانى . ولكل صوت وفق هذا الاعتبار مخرجه الخاص به . وقد صنف الخليل بن أحمد فى القرن الثانى الهجرى الأصوات العربية وفق مخارجها ، ونجد هذا أيضا عند تلميذه سيبويه، ويتفق البحث الصوتى الحديث مع البحث الصوتى فى التراث العربى فى اعتماد المخارج أساسا من أسس التصنيف، وإن اختلف التعبير عن هذه المخارج باختلاف مدارس اللغويين . فصوت الدال - مثلا - ينطق فى العربية بالتقاء كامل بين طرف اللسان والأسنان العليا ،ولذا يوصف عند بعض اللغويين بأنه صوت طرفى نسبة إلى طرف اللسان ويوصف عند غيرهم بأنه صوت أسنانى نسبة إلى الأسنان العليا . وتختلف الأصوات التى تبدو لأول وهله متقاربة المخارج بين لغة وأخرى ، فالثاء والذال والظاء فى العربية أصوات بين أسنانية مخرجها طرف اللسان بين الأسنان العليا والأسنان السفلى ، وهو مخرج ليس له وجود فى نطق الأصوات الانجليزية الشبيهة .

٣ — طريقه النطق :

تختلف الأصوات من ناحية كيفية نطقها والمقصود بهذا حالة ممر الهواء عند النطق بها ، فهناك أصوات توصف بأنها انفجارية ، وصفها سيبويه بأنها شديدة منها مثلا صوت الباء والكاف والقاف والطاء . ويتكون الصوت الانفجارى بحدوث حبس تام لمجرى الهواء فى نقطة المخرج ، وينتج عن هذا الحبس أن يضغط الهواء ثم يحدث انفراج فيندفع الهواء محدثا ذلك الصوت الانفجارى . وهذا الاعتراض يتم عند النطق بالباء فى الشفتين ولذا فالباء صوت شفوى انفجارى ، وما يحدث عند النطق بالباء فى الشفتين يحدث عند النطق بالكاف بين أقصى اللسان وأقصى الحنك الأعلى (الحنك اللين) ، ويحدث عند النطق بالتاء بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا (أصول الأسنان العليا) .

وهناك أصوات كثيرة لاتدخل ضمن الأصوات الانفجارية ، منها الأصوات الاحتكاكية التى تنطق بأن يضيق مجرى الهواء فى موضع من المواضع فيحدث

خروجه احتكاكا مسموعا كما يحدث فى نطق الفاء بين الشفة السفلى والأسنان العليا وفى نطق الثاء والذال والظاء فى مخرجها بين الأسنانى .

٣ – الهمس والجهر :

يهتز الوتران الصوتيان اهتزازا شديداً عند النطق ببعض الأصوات ولا يهتزان عند النطق بالبعض الآخر . والوتران الصوتيان شفتان تتكون كل منهما من مجموعة عضلات غاية فى الدقة ولذا يفضل كثير من الباحثين وصفهما باسم الشفتين الصوتيتين Vocal Lips. أما وصفهما بالعربية بأنهما الأحبال الصوتية فيقوم أساساً على خطأ فى الترجمة ، لأن اللغة الانجليزية لا تعرف صيغة للمثنى وتعبر عنهما بصيغة الجمع Vocal Cords. ويوجد الوتران الصوتيان أو الشفتان الصوتيتان فى الحنجرة . وعندما يمر هواء الزفير محاولا الخروج فان الوترين الصوتيين قد يتوتران بشدة فيحدث ذلك الصوت الذى يحسه الناطق بأن يضع يديه على أذنيه وهو ينطق بصوت مثل (ز) العربية ويطلق على الصوت الذى ينطق بهذا التوتر الشديد فى الوترين الصوتيين اسم الصوت المجهور . وتشترك الزاى والسين فى كل الخصائص النطقية المذكورة فى تصنيف الصوامت ، فكلاهما صامت ، وكلاهما من نفس المخرج وكلاهما ينطق بنفس درجة الاعتراض ولكنهما يختلفان فقط من ناحية الهمس والجهر . ويمكن معرفة ذلك بأن يضع الانسان يديه على أذنيه ويجرب نطق الزاى ثم السين ، فيحس فى نطق السين باختفاء ذلك الصوت الناجم من الوترين الصوتين عند النطق بالزاى .

والفرق بين الثاء والذال يتعلق فقط بالهمس والجهر ، فالثاء صوت مهموس والذال صوت مجهور . ولا يختلف الصوتان إلا من هذا الجانب . فكلاهما من نفس المخرج وينطق بنفس درجة الاعتراض . والفرق بين الثاء والدال أن التاء صوت مهموس والدال صوت مجهور ، وكلاهما ينطق من نفس المخرج وبنفس درجة الاعتراض . وهكذا تتراص الوحدات الصوتية فى اللغة العربية واللغات الأخرى فى ثنائيات تقابل تميز المجهور عن المهموس .

٤ – الاطباق وعدم الاطباق

تميز اللغات السامية ومنها العربية بين ثنائيات من الأصوات تتفق فى مجموع خصائصها النطقية وتختلف فى وضع اللسان داخل الفم من ناحية درجة ارتفاعه. فالفرق بين التاء من جانب والطاء من الجانب الآخر هو أن التاء صوت غير مطبق والطاء صوت مطبق. وفى حالة النطق بالطاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه. وهذا هو الاطباق الذى يلاحظ فى الأصوات العربية الآتية الطاء، الضاد، الصاد، الظاء، وهذه الأصوات لها مقابلات غير مطبقة، فالطاء فى النطق العربى الحالى صوت مطبق يقابل التاء، والضاد فى نطق أبناء مصر صوت مطبق يقابل الدال، والصاد صوت مطبق مقابل السين، والظاء صوت مطبق يقابل الذال.

وتتكون خصائص الصوت الواحد من مجموع خصائصه المستخرجة بالمعايير السابقة، فكل صوت لغوى إما صامت أو حركة، وله بالضرورة مخرج، وله طريقة فى النطق، وهو إما مهموس أو مجهور، وهو إما مطبق أو غير مطبق. ولذا يعد بحث الأصوات من كل هذه المعايير أساسا لتحديد خصائصها.

خامسا : المقاطع والنبر والتنغيم

كان البحث الصوتى فى التراث العربى يركز على بحث الأصوات المفردة وتغيراتها، فأضاف البحث الصوتى الحديث معرفة بحقائق صوتية تتجاوز الأصوات المفردة إلى علاقاتها فى بنية اللغة. ومن أهم هذه الحقائق وجود المقاطع والنبر والتنغيم.

إن الوحدات الصوتية فى اللغة الواحدة يكون لها تتابع تحدده البنية المقطعية، وهى بنية تختلف باختلاف اللغات، فاللغة الفرنسية – مثلا – يمكن أن تبدأ الكلمة فيها بصامتين، وهذا ما نجده مثلا فى كلمة France، والبدء بصامتين غير ممكن فى العربية وعندما دخلت هذه الكلمة اللغة العربية أضيفت حركة بين

الصامت الأول والصامت الثانى ، وهذه الاضافة هادفة إلى التغلب على مشكلة عدم البدء بصامتين فى العربية ، فاللغة العربية تعرف عده أنواع من المقاطع ، وليس من بينها أن يبدأ المقطع بصامتين .

توجد فى العربية الفصحى أنواع المقاطع الآتية :

١ ـ النوع الأول : صامت + حركة قصيرة ، مثل : وَ ، فَ .

٢ ـ النوع الثانى : صامت + حركة طويلة ، مثل : يا ، فى .

٣ ـ النوع الثالث : صامت + حركة قصيرة + صامت ، مثل : بل ، هل .

٤ ـ النوع الرابع : صامت + حركة طويلة + صامت ، مثل : عاش ، حال (بسكون) .

٥ ـ النوع الخامس: صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت، مثل: أَمْرْ (بسكون) .

وتصنف المقاطع السابقة وفق معيارين :

١ ـ طبيعة الصوت الأخير فى المقطع ، وعلى ذلك يكون الاول والثانى من نوع المقطع المفتوح ، على العكس من الثالث والرابع والخامس فهى من نوع المقطع المغلق . المقطع المفتوح هو المقطع المنتهى بحـــركة ، أما المغلق فهو المقطع المنتهى بصامت .

٢ ـ طول المقطع ، وعلى ذلك يكون النوع الاول مقطعاً قصيراً ، وكل مقطع من الثانى والثالث طويلا ، والرابع والخامس مغرقا فى الطول .

وتختلف درجة ارتفاع الصوت عند النطق بين مقطع وآخر فى الكلمة الواحدة أو مايشبه الكلمة ، ويطلق مصطلح النبر Sress على درجة ارتفاع الصوت . ولذا ففى الكلمة المكونة من مقطع واحد لا مجال للحديث عن مقطع منبور وآخر غير منبور ، فالمقطع الواحد منبور دائما . ولكن قواعد النبر تتناول ـ بالتفصيل ـ

الكلمة المكونة بنفسها وبما اتصل بها من أكثر من مقطع ، كأن تكون على مقطعين أو ثلاثة أو أكثر . وهنا تكون قواعد النبر للكلمة مع ما يتصل بها .

وتوجد فى نطق العربية الفصحى عدة قواعد للنبر ، منها :

١ ــ إذا توالت عدة مقاطع مفتوحة يكون الأول منها منبوراً ، ففى كلمة كتب نجد ثلاثة مقاطع من النوع الاول ، أولها منبور .

٢ ــ إذا ضمت الكلمة مقطعاً طويلا واحداً ، يكون النبر على هذا المقطع الطويل ، نجد هذا فى كلمة كتاب ، حيث النبر على المقطع الثانى .

٣ ــ إذا ضمت الكلمة مقطعين طويلين ، يكون النبر على أولهما ، ففى كلمة كاتب نجد مقطعين طويلين أولهما مفتوح والثانى مغلق ، والنبر على المقطع الأول .

وهناك فروق واضحة بين اللهجات العربية فى النبر تجعل السامع يحس بسرعة أن محدثه من أبناء لهجة أخرى .

وأخيراً فإن التنغيم Intonatiom من الحقائق الصوتية فى اللغات المختلفة، والتنغيم مرتبط بالارتفاع والانخفاض فى نطق الكلام نتيجة لدرجة توتر الوترين الصوتيين مما يؤدى إلى اختلاف الوقع السمعى . ومن هنا نجد كلمات كثيرة تتعدد طرق تنغيمها لتؤدى وظائف دلالية مختلفة ، فاذا كانت (نعم) للاجابة اختلف تنغيمها عنها للاستفسار . والتنغيم لا يقتصر على الكلمة الواحدة ، بل يتجاوزها إلى التركيب فالتحية (سلام عليكم) لها تنغيم يختلف عن التنغيم فى حالة الغضب .

خامسا : التغيرات الصوتية

هناك نوعان من التغيرات الصوتية ، أولها تلك التغيرات الصوتية غير المشروطة وهى التغيرات المطردة فى أصوات المستوى اللغوى الواحد بغض النظر عن السياق الصرفى . ومعنى هذا أنها تغيرات غير مشروطة بسياق صوتى معين ، وإنما هى عامة فى المستوى اللغوى الواحد . ومن هذه التغيرات تلك القوانين التى توضح

المقابلات الصوتية بين العربية الفصحى واللهجات العربية ، ونوضح هذا بتناول الأصوات بين الأسنانية فى الفصحى ومايقابلها فى لهجة القاهرة .

فلهجة القاهرة لاتعرف الاصوات العربية التى تصنف فى مجموعة الاصوات بين الاسنانية ، وهى أصوات الثاء والذال والظاء . تتفق هذه الاصوات العربية الفصيحه فى المخرج ، فهذه الاصوات أصوات بين أسنانية بمعنى أن مخرجها يكون بوضع ذلق اللسان بين الاسنان العليا والاسنان السفلى . وتختلف هذه الأصوات وفق معايير أخرى ، فالثاء مهموسة والذال مجهورة ، وهما غير مطبقتين على خلاف الظاء المطبقة .

الاصوات بين الاسنانية فى العربية

	مهموس	مجهور
غير مطبق	ث ṯ	ذ ḏ
مطبق		ظ ḏ̣

وقد تحولت مجموعة الاصوات بين الاسنانية المذكورة فى عدد من اللهجات العربية ، منها لهجة القاهرة إلى مجموعة الاصوات الاسنانية . وينطبق هذه القانون على كل الالفاظ الاساسية فى اللهجة ، فالعدد اثنان ينطق فى هذا اللهجات بالتاء ، وكلمة «ثعلب» تنطق بالتاء أيضا . وقد تحولت الظاء إلى ضاد ، نجد هذا فى الكلمات «ظل» وقد تحولت إلى «ضل» وكذلك «ظهر» وقد تحولت إلى «ضهر» . ويلاحظ فى هذا التحول أن صوتا تحول إلى صوت آخر يتفق معه فى الخصائص النطقية الأخرى . ويتضح هذا من الجدول التالى :

الاصوات الأسنانية

	مهموس	مجهور
غير مطبق	ت t	د d
مطبق	ط ṭ	ض ḍ

وهكذا تحولت مجموعة الأصوات بين الاسنانية الثاء والذال والظاء إلى مجموعة الأصوات الاسنانية التاء والدال والطاء على التوالى . وقد تحولت الثاء إلى تاء لاتفاقهما فى الهمس وعدم الاطباق ، كما تحولت الذال إلى دال لاتفاقهما فى الجهر وعدم الاطباق ، وتحولت الظاء إلى ضاد لاتفاقهما فى الجهر والاطباق . أما الظاء المذكورة فى الجدول فليست امتدادا لأى صوت بين اسنانى ، فليس لها فى جدول الأصوات بين الاسنانية أى مقابل .

يرتبط أى قانون صوتى بمستوى لغوى بعينه ، ويؤثر كل مستوى لغوى ويتأثر بالمستويات اللغوية الأخرى فى الجماعة اللغوية الواحدة . فالتغير الصوتى يتم كاملا فى كل كلمات المستوى اللغوى الذى حدث فيه التغير ، فاذا انتقلت بعد حدوث التغير كلمات جديدة إلى ذلك المستوى عوملت معاملة جديدة . ومن ثم يلتقى فى اللهجة الواحدة مستويان أو أكثر . ويرجع كل مستوى منهما إلى تغير تاريخى معين أو إلى مرحلة تاريخية محددة . فالكلمات الهابطة من الفصحى إلى اللهجة تحتفظ بظواهرها الصوتية وتخضع لتغيرات صوتية تخالف الالفاظ الأساسية فى اللهجة . فعلى الرغم من وجود القانون الصوتى الخاص بتحول الثاء إلى تاء فى لهجة القاهرة ، لا أحد يقول « التورة » بالتاء بل تنطق هذه الكلمة فى تلك اللهجة كما لو كانت بالسين أو بالصاد . وكذلك كلمة « الثروة » وكلمة « ثانية » بمعنى ١/٦٠

من الدقيقة . فهذه الكلمات ليست من الالفاظ الاساسية فى اللهجة القاهرية ، ولذا لم يسر عليها قانون تحول الثاء إلى تاء . وهذه الكلمات هابطة من المستوى الفصيح إلى المستوى العامى فى وقت لم تكن اللهجة المحلية تعرف الأصوات بين الاسنانية . ومن ثم لم تحتفظ هذه الكلمات بالثاء وانما حلت محلها السين فى محاولة غير كاملة لمحاكاة الفصحى ، ولكن هذه المحاكاة غير الكاملة تتخذ أيضا شكل النظام المتكامل إذ حلت مجموعة الأصوات الصفيرية أو أصوات الصفير وهى السين والزاى مع صوت ليس له فى الفصحى مقابل هو الزاى المطبقة محل الثاء والذال والظاء على التوالى .

وتوضح القوانين الصوتية تنوع المصادر التى مدت اللهجة الواحدة بمفرداتها ، فالألفاظ الاساسية تخضع لقوانين ، والالفاظ الهابطة من الفصحى أو الدخيلة من لغات آخرى تخضع لقوانينها الصوتية الخاصة بها .

والنوع الثانى من التغيرات الصوتية يحدده السياق ، ولذا فهى تغيرات صوتية مشروطة . ليست بتغيرات تاريخية ، بل هى هى تغيرات تحددها طبيعة الأصوات المحيطة بالصوت موضع التغير . ومن أهم هذه التغيرات .

(١) المماثلة

لاحظ سيبويه أن بناء وزن افتعل من الفعل ضرب، لايكون « * اضترب » كما هو القياس ، بل « اضطرب » وكذلك وزن افتعل من المادة « صبر » لايكون « * اصتبر » بل « اصطبر » وقد فسر سيبويه هذه الظاهرة تفسيرا يستقيم فى مجموعه مع البحث اللغوى الحديث . وإذا نظرنا فى العناصر الحاسمة فى هذا التغير لاحظنا أن الضاد والصاد وكذلك الطاء من أصوات الاطباق . تشترك الطاء مع التاء فى كل خصائصها النطقية ، إلا أن التاء غير مطبقة والطاء مطبقة، فالتحول الذى حدث يتلخص اذن فى المعادلة التالية :

(ص+ت) ← (ص+ط)

(ض+ت) ← (ض+ط)

أى : (مطبق+ غير مطبق) ← (مطبق + مطبق)

ويمكن بيان عدد من التغيرات الصوتية فى بنية الكلمة بمعادلات مماثلة . فمثلا كلمة « ازدهر » هى وزن افتعل من المادة « زهر » وما حدث يمكن ايضاحه ببحث خصائص الزاى والدال والتاء من ناحية الهمس والجهر . فالسمة الحاسمة هنا أن الزاى صوت مجهور ، أى أن الوترين الصوتيين يهتزان بشدة عند النطق به . أما التاء التى كنا نتوقعها فى وزن افتعل من المادة « زهر » ليكون الفعل « ازتهر » فهى صوت مهموس ، أى لايتوتر الوتران الصوتيان عند نطقها . وماحدث يتلخص فى أن توتر الوترين الصوتيين فى نطق الزاى استمر بعد المدة الوجيزة جدا التى ينطق فيها صوت الزاى ، فاعضاء النطق عند الانسان دقيقة ، ولكن لدقتها حدود . لقد استمر توتر الوترين الصوتيين عند النطق بما كان يظن أنه سيخرج تاء . وهنا نطقت الدال . وبعبارة أخرى إذا أضفنا إلى التاء بكل خصائصها الصوتية توترا فى الوترين الصوتيين نطقنا دالا . فالتاء صوت لايختلف عن الدال إلا من هذا الجانب ويمكننا تلخيص هذا التغير فى المعادلة التالية :

(ز + ت) ← (ز + د)

أى : (مجهور + مهموس) ← (مجهور + مجهور)

وهكذا يمكن تفسير أبنية (افتعل) من الأفعال التى تبدأ بصوت مطبق أو بصوت مجهور وفق المعادلتين المذكورتين ، كلتا المعادلتين تدخل فى اطار ظاهرة المماثلة ، وذلك لأن الصوتين الناتجين أقرب إلى بعضهما من الصوتين السابقين على التغير .

توصف المماثلة بين الحركات بأنها التوافق الحركى Vocalic Harmony ومعناه أن حركات المقاطع المتتابعة تتماثل بشكل ما ، وتعد ظاهرة التوافق الحركى من السمات الأساسية لبنية عدد كبير من اللغات ، منها اللغة التركية . واللغةالتركية لغة إلصاقية تظهر وحداتها الصرفية على شكللواصق تلحقوفق نظامخاص بالكلمة الاساسية ، ولذا تتخذ اللاحقة الواحدة عدة أشكال ، لحرف الجر (إلى) فىاللغة العربية يؤدى فى اللغة التركية عن طريقلاحقة ، هى عبارة عن وحدة صرفيةمقيدة. ويتضح هذا فى اللغة التركية من مثال اللاحقة الدالة على معنى (إلى) ، فهى إما(e) مثل eve إلى المنزل ، أو (a) مثل ormana إلى الغابة ، فالحركة الأساسية فى الكلمة حددت الصورة المناسبة لها فى اللاحقة .

(ب) المغايرة .

المغايرة نقيض المماثلة ، تؤدى المغايرة إلى أنتصبح الأصوات المكونة مختلفة بعد أن كانت متفقة أو متقاربة .

وتتضح المغايرة من الأمثلة الآتية :

ـ عنوان ← علوان	نن ← لن
ـ لعل ← لعن	لل ← لن
(كرسار Corsar) ← قرصان	رر ← رن

وكل هذه الأمثلة توضحأنالصوتين الناتجين متباعدان عن الصوتين الموجودين فى الكلمة الأساسية ، ولذا فالتغير الحادث مغايرة .

(حـ) القلب المكانى :

القلب المكانى ظاهرة صوتية تعنى تبادل صوتين لمكانيهما ، بأن حل كل منهما محل الآخر .

وهناك ثنائيات كلمات مألوفة لنا فى اللهجة المصرية تعطى أمثلة للقلب المكانى منها : أرانب ← أنارب ، ملاعق ← معالق ، مسرح ← مرسح .

وهناك أمثلة للقلب المكانى فى التراث العربى ، ولكن واقع الحياة اليومية يعطى أمثلة أكثر .

الفصل الرابع

بناء الكلمة

تتكون كل لغة من اللغات من عدد محدود من الوحدات الصوتية ، وتعبر اللغة بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية عن الجوانب المتنوعة من الحياة والفكر ، والبنية اللغوية لا تتكون من الوحدات الصوتية مفردة ، بل تتألف اللغة من الوحدات الصوتية مركبة في جذور وفي أبنية مختلفة . فالصوامت (ك + ت + ب) يمكن أن تتخذ عدة ترتيبات ، وهي (ك ت ب ، ك ب ت ، ب ت ك ، ت ك ب ، ب ك ت ، ت ب ك) . وقد أفادت اللغة العربية من عدد من هذه الترتيبات المتاحة ، وعندما بحث الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري أصوات اللغة العربية وحدد المواد اللغوية الممكنة ــ نظرياً ــ لاحظ أن كثيراً منها ليس له استخدام في الواقع اللغوي العربي ، فأطلق عليه مصطلح «المهمل» أما المواد اللغوية الموجودة ــ فعلا ــ فكانت عنده هي «المستعمل» . إن المادة اللغوية الواحدة ــ مثل (ك ت ب) ــ ليس لها وجود مباشر ، فليست هناك كلمة واحدة في العربية تتألف من هذه الصوامت وحدها دون إضافات . فالفعل (كتب) يتكون من تتابع الكاف والفتحة والتاء والفتحة والباء والفتحة . وبقية كلمات هذه المادة تتكون بإضافات إلى صوامتها . وهذه الإضافات تكون في مواقع مختلفة من الكلمة ، كأن تكون في الأول وتسمى السوابق Prefixes أو في الوسط وتسمى الدواخل infixes أو في الآخر وتسمى اللواحق Suffixes وقد تتكون أبنية صرفية بأكثر من إضافة كما نجد في كلمتي : مكتوب ، وكتابة

ومجال البحث فى الصرف أو بناء الكلمة هو دراسة الوسائل التى تتخذها كل لغة من اللغات لتكوين الكلمات من الوحدات الصرفية المتاحة فى تلك اللغة .

أولا : الوحدات الصرفية

المصطلح الأساسى فى التحليل الصرفى الحديث هو مصطلح المورفيم Morpheme أى الوحدة الصرفية . إن الباحث اللغوى يحاول تقسيم السلسلة الكلامية إلى عناصرها المكونة ثم يصنف هذه العناصر ،كانت المرحلة الأولى فى هذا التقسيم على مستوى التحليل الصوتى ، وبذلك أمكن التعرف على الوحدات الصوتية المكونة للسلسلة الكلامية . والمرحلة التالية فى التقسيم تهدف إلى التعرف على الوحدات الصرفية . وهناك تعريفات كثيرة للمورفيم عند مدارس البحث اللغوى الحديث ، غير أنها تتفق فى أنها تعد الوحدة الصرفية أصغر وحدة فى بنية الكلمة تحمل معنى أو وظيفة نحوية فى بنية الكلمة .

لقد عرف اللغوى بلومفيلد المورفيم بأنه « صيغة لغوية لا تحمل أى شبه جزئى فى التتابع الصوتى والمحتوى الدلالى مع أية صيغة أخرى » ، ومعنى هذا أن الباحث فى تقسيمه للسلسلة الكلامية يقسم الكلمة إلى أجزائها الحاملة للمعنى أوللوظيفة النحوية ، وهذه الأجزاء الحامله للمعنى أو للوظيفةالنحويه لايمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر منها ذات معنى أو وظيفة نحوية . وحتى نوضح رأى بلومفيلد فى الفونيم يمكن النظر فى الكلمات الانجليزية :

read , reads , reading , sing sings singing

لنلاحظ العلاقة بين الكلمات الثلاث الأولى فى وجود read وبين الكلمات الثلاث الأخرى فى وجود sing ، ثم نجد بعد هذا أن كلمتى reads , sings تنتهيان نهاية صوتية واحدة لأداء نفس الوظيفة النحوية ، وبالمثل نجد كلمتى reading , singing تنتهيان نهاية واحدة لأداء نفس الوظيفة النحوية . ومعنى هذا أن اللغة الإنجليزية تعرف هذه العناصر الصغيرة باعتبارها حاملة للوظائف

النحوية ، وهى المورفيمات أو الوحدات الصرفية . والوحدات الصرفية هى أصغر وحدات حاملة للمعنى ، فإذا حاولنا أن نقسم ing إلى عناصرها المكونة لما عرفنا لكل وحدة صوتية من وحداتها المكونة أى معنى نحوى فى إطار بنية اللغة الانجليزية .

إن فكرة التقسيم المباشر على النحو السابق مناسبة بشكل واضح عندما يكون الباحث بصدد تحليل اللغات الالصاقية agglutinative languages ، وهى كثيرة فى العالم المعاصر. فإذا نظرنا فى المثال التركى evdedir (ويعنى : هو فى المنزل) أمكننا بالطريقة السابقة أن نتعرف على الوحدات الصرفية الآتية : ev بمعنى منزل ، de, وهى اللاحقة المكانية ، dir, وهى اللاحقة الخاصة بالوجود . ولكن مشكلة التقسيم المباشر تتعقد للباحث وهو يحاول تطبيقها فى اللغات الأخرى ، ويبدو التقسيم المباشر متعذراً فى اللغات المعربة inflectional languages ، ولهذا ظهرت فكرة الوحدات الصرفية والصور الصرفية .

إن امكان وجود الوحدات الصرفية على نحو غير مباشر ، فى حين تظهر لنا صورها الصرفية على نحو مباشر — تعد من الحقائق التى تنطلق منها نظريات حديثة فى التحليل الصرفى . ويكفى لايضاح هذا أن نقارن نهاية الجمع فى الانجليزية فى الأمثلة الآتية لنجد نهايات مختلفة لأداء نفس الوظيفة النحوية ، الأمثلة المقصورة هى :

glasses(iz) , pens (z) , books (s)

أما المعنى الذى تحمله هذه النهايات فهو معنى الجمع ، ويمكن التعرف على الوقع الصوتى لهذه النهايات بمقارنة الكلمات المذكورة بصيغها فى المفرد . إن هذه النهايات المختلفة تدور فى اطار واحد من الناحية الصوتية ، فالفرق بين (s) ، (z) أن الصوت الأول مهموس والثانى مجهور ، وكأننا بهذا قد فسرنا بالجوار الصوتى

تعدد هذه النهايات . توزيع هذه النهايات على النحو التالى : بعد مجموعتى الأصوات المعروفة باسم الأصوات السيفرية sibilants مثل (s),(sh) والأصوات المركبة الاحتكاكية مثل (ch) , (g!) تأتى فى الجمع النهاية (iz) . وبعد بقية الأصوات المجهورة تأتى النهاية (z)، وبعد بقية الأصوات المهموسة تأتى النهاية (s) والنهايتان الأخيرتان فيهما درجة من المماثلة ، فإلى جوار الصوت المهموس جاءت النهاية (s) ، وإلى جوار الصوت المجهور جاءت النهاية (z) ، ولكن كل هذه النهايات المختلفة والتى يمكن تفسير اختلافها صوتيا تؤدى وظيفة واحدة فى بنية الانجليزية ، وعلى هذا فهى صور صرفية مختلفة لوحدة صرفية واحدة .الصور الصرفية allomorphes لها وجود مباشر منطوق مسموع ، أما الوحدة الصرفية الجامعة لها فلاشك أنها موجودة ، ولكنه وجود غير مباشر .

ويمكن ايضاح نفس الفكرة بمثال عربى ، فالفرق بين (ضرب) واضطرب) من ناحية البنية الصرفية هو الفرق بين (قرب) و (اقترب) . ولكنا لانجد التغير واحداً من الناحية الصوتية على الرغم من اتحاد الوظيفة فى بنية اللغة ، ومعنى هذا أن التاء تأتى هنا فى جوار صوتى بعينه وتأتى الطاء فى جوار صوتى آخر . وشبيه بهذا أمر التاء والدال فى (قرب) و (اقترب) من جانب ، و (زهر) (وازدهر) من الجانب الآخر ، فالتاء فى جوار بعينه والدال فى جوار صوتى آخر . ومعنى هذا أن (التاء) و (الدال) ، (الطاء) تدخل احداها فى هذه البنية ، ويؤدى هذا إلى القول بوجود ثلاث صور صرفية لوحدة صرفية واحدة .

ثانيا : أنواع الوحدات الصرفية

هناك عدة اتجاهات فى تصنيف الوحدات الصرفية ، منها التصنيف الشكلى إلى وحدات صرفية حرة free morphsmes ووحدات صرفية مقيدة

bound morphemes . والفرق بينهما أن الوحدات الصرفية الحرة يمكن أن توجد مستقلة أى منفصلة على عكس الوحدات الصرفية المقيدة التى لا توجد إلا مرتبطة أى متصلة . ومثال هذا فى العربية الضمائر ، فيها المنفصل وفيها المتصل . ويمكن أن نجد فى الكلمة الواحدة وحدات صرفية حرة ومقيدة فكلمة (مصريون مصريين) تتكون من وحدة صرفية حرة (مصر) ووحدة صرفية مقيدة مكونة من الكسرة والياء المشددة (iyy) ولها وظيفة نحوية وهى النسب ، ثم تأتى بعد ذلك وحدة مقيدة أخرى هى الضمة الطويلة فى الحالة الأولى والكسرة الطويلة فى الحالة الثانية ، ولكل وحدة صرفية منهما وظيفة إعرابية . وبعد هذا كله تنتهى الكلمتان بوحدة صرفية مقيدة (na) تشير إلى كون الكلمة غير مضافة . ومن هذا كله نخرج بأن فى الكلمتين المذكورتين وحدة صرفية حرة واحدة ، وعدة وحدات صرفية مقيدة ، لها وظائف النسب ، والجمع المرفوع ، والجمع المنصوب والمجرور ، وحالة عدم الإضافة . وتقسيم سلاسل كلامية مختلفة ومتنوعة فى اللغة العربية من شأنه أن يعطينا بقية الوحدات الصرفية فى العربية وتوزيعها أى مواضع استخدامها من الجانب الآخر ، فالوحدات الصرفية فى كل لغة من اللغات تتخذ مواقع خاصة بها ، فلا تأتى وحدة إلا فى مكانها الذى تحدده لها بنية اللغة .

وثمة تصنيف آخر للوحدات الصرفية قد يكون أقرب إلى طبيعة الأوزان فى العربية ، وهو تقسيم الوحدات الصرفية إلى تتابعية وغير تتابعية . الوحدات الصرفية التتابعية Sequential morphemes . هى الوحدات الصرفية التى تتتابع مكوناتها الصوتية من الصوامت والحركات دون فاصل يفصل بين هذه المكونات ، وهذا النوع ما نجده فى الضمائر وفى الوحدات الصرفية المقيدة فى المثال العربى السابق ، وكذلك فى المثال التركى المذكور ، وأيضا فى المثال الانجليزى السابق . أما الوحـــدات الصرفية غير التتابعية non — Seqeuntial morphemes فهى الوحدات الصرفية التى تتتابع مكوناتها الصوتية من الصوامت والحركات على نحو غير متصل ، ومعنى هذا أن

الوحدات الصوتية المكونة لها تقطعها وحدات صوتية مكونة لوحدة صرفية أخرى. مثال هذا كل ما يتعلق بالأوزان فى العربية، فكلمة (كاتب) تتكون من وحدتين صرفيتين غير تابعيتين. تتكون الأولى من الحروف الأصول (ك+ت+ب) وهى وحدة صرفية غير تابعية لأن أصواتها لا تكون تابعاً متصلا فى أية كلمة عربية، وتتكون الثانية من فتحة طويلة + كسرة) وهى كذلك وحدة صرفية غير تابعية لأن أصواتها لا تكون تابعاً متصلا فى أية كلمة عربية. وبذلك تعد الحروف الأصول وحدات صرفية غير تابعية، وتعد الأوزان أيضا وحدات صرفية غير تابعية أيضاً.

ثالثا: الانماط الصرفية:

من الحقائق التى أبرزها علم اللغة الحديث أن لكل لغة ولكل لهجة نمطها الخاص بها، وتختلف اللغات فى بنية مفرداتها وقابليتها للتغير الداخلى والتغير الاعرابى اختلافا بينا. كل لغة وكل لهجة تعرف الكلمات، لكن أنماط هذه الكلمات تختلف من لغة لأخرى ومن لهجة لأخرى، وهنا يهتم علم اللغة الحديث بدراسة الأنماط التى تتخذها كل لغة لمفرداتها دون أن ينظر إليها بمعيار الحسن أو القبح، بل يحدد أو يحاول تحديد وسائل بناء الكلمة فى كل لغة هادفا إلى تقرير الحقائق دون قدح أو مدح. وإذا كان البعض قد لاحظ وجود التغير الاعرابى فى العربية الفصحى وعدم وجود أكثر ظواهره فى اللهجات العربية، واعتبر وجود التغير الاعرابى فضلا يجعل للفصحى مكانة فوق اللهجات، فالواقع أن مستويات الاستخدام اللغوى لا تستمد مكانتها من البنية بل من استخدامها ومكانة المتعاملين بها ومستويات التعامل بها ومجالات إستخدامها، ولا دخل فى هذا لوجود الاعراب أو عدم وجوده. فلا فضل لاسم على فعل، ولا لفعل على اسم، ولا لاعراب على بناء، ولا لبناء على إعراب. وكل هذه تصنيفات عرفتها العربية وتخلو منها لغات كثيرة، فلكل لغة نمطها الخاص فى بناء المفردات ووسائل تصنيفها.

ويمكننا أن نوضح فكرة النمط الصرفي واختلافه بين اللغات وتنوعه بمثال بسيط من لغة تختلف بنيتها عن اللغات السامية واللغات الأوروبية التي يعرفها كثير القراء ، فاللغة السواحلية رغم كون اسمها مشتقاً من كلمة عربية ورغم كثرة عدد الألفاظ الدخيلة فيها من اللغة العربية ، لغة من مجموعة البانتو التي تختلف في خصائصها عن اللغات السامية واللغات الأوروبية من جوانب كثيرة ، تصنف اللغة السواحلية الأسماء وفق السوابق ، فيها مثلا المجموعة التي تبدأ في المفرد بالصوت m وفي الجمع بالمقطع wa ،فوجود هذه الميم في أول الاسم المندرج في هذه المجموعة دليل على كونه مفرداً ، ووجود المقطع wa علامة على كونه جمعا ، وعلى هذا فكلمة mtoto تعني طفلا ، وكلمة watoto تعني أطفالا ، وهنا نلاحظ أن الأصل toto هو مجرد صيغة ذهنية مفترضة ليس لها وجود مباشر ، أما الصيغ الحقيقية المدركة فتظهر من هذا الأصل مصحوبة بالسابقة الدالة .

ولننظر في مجموعة أخرى من الأسماء في اللغة السواحلية أيضاً ، فيها أسماء تبدأ في المفرد بالمقطع ki وفي الجمع بالمقطع vi ، فوجود ki في أول اسم منها دليل على كونه للجمع ،وعلى هذا فكلمة ki-tu تعني بالعربية « شيئا » ، وأما أشياء فهي vi - tu ،هكذا نلاحظ أن السواحلية تتوسل هنا بالسوابق أداة للتمييز ، وينبغي أن نقف قليلا عند الأمثلة السابقة لنوضح فكرة « الوحدة الصرفية » أو المورفيم ،فعندما نستبدل السابقة m بالسابقة wa في المثال الأول ، أو السابقة ki بالمقطع vi في المثال الثاني نكون قد عبرنا عن دلالة جديدة هي الجمع ، وبهذا يصبح إحلال علامة محل أخرى تغييراً للمعنى بوسيلة صرفية ، وهنا نتحدث عن السواحلية قائلين أن m , wa ، ki مورفيمات أو وحدات صرفية .

ولننظر بعد هذا في العربية لنلاحظ مثلا وجود وحدات صرفية تدل على التعريف

والتنكير ،فاذا قلنا «الولد» ثم قلنا « ولد» كنا قد دللنا على التعريف بالسابقة « ال » وعلى التنكير بنون التنوين ،ويتصور البعض أن تصنيف الاسماء إلى نكرة ومعرفة يعكس قسمة عقلية وحكمة سماوية لا تستقيم أمور اللغة بدونها ،وفي هذا نظر ، فهناك لغات لا تعرف تمييزا بين نكرة ومعرفة منها مثلا اللغة التركية،فكلمة ev تعنى المنزل أو منزل دون دليل فيها على تنكير أو تعريف . وقد يجد البعض من المنطق عقلا وبداهة أن تكون للتعريف أداة واحدة هي مثلا « ال » في العربية و the في الانجليزية . ولكن لننظر مثلا في اللغة الألمانية لنجد وحدات متعددة تدل على التعريف أو على التنكير ، فالتعريف يظهر في الرفع بإحدى الأدوات التالية der للمذكر das للمحايد die للمؤنث ، die للجمع ، ولو شئنا الجدول كاملا لذكرنا أدوات أخرى للمنصوب ومجموعة ثالثة للمجرور بحرف ومجموعة رابعة للمجرور بالإضافة ،وليس في هذا دليل سمو أو ضعة . فعلم اللغة يقرر الحقائق في هدوء ودون أحكام جمالية أو أحكام تقويمية ،ولا شك أن تنوع أدوات التعريف والتنكير في الألمانية يسبب ضيقا شديداً لمن استقر في ذهنه النمط العربي لأداة التعريف العربية ، فهي واحدة لا تتغير بغض النظر عن كون الاسم مذكراً أم مؤنثاً ، مفرداً أم مثنى أم جمعا ، مرفوعا أم منصوبا أم مجروراً ، وهذا فرق بين نمطين متغايرين للغتين مختلفتين .

وتختلف اللغات في التغير الاعرابي إيجاباً وسلبا ، فهناك لغات كثيرة تفرق بين ثلاث حالات مثل العربية والأكادية في العراق القديم ، وقد أطلق النحاة على هذه الحالات الثلاث اسم المرفوع والمنصوب والمجرور ، وهناك لغات تفرق بين أربع حالات إعرابية مثل الألمانية ،وقد أطلق النحاة على هذه الحالات أسماء مختلفة

تقابل فى العربية الرفع Nominativ والنصب Akkusativ والجر Dativ والإضافة Genetiv ، نقول هذا ونتحفظ فى الترجمة إذ أن النصب هنا لا يقابل دائماً النصب فى العربية ، ويمكن مثلا أن نسمى هذه الحالات : الحالة الأولى . الحالة الثانية ، الحالة الثالثة ، الحالة الرابعة ، فنتجنب بذلك إيحاءات غير دقيقة . وهناك لغات تعرف حالات أكثر تنوعا ، فالتركية مثلا تعرف الحالة المكانية Lokativ وتعبر عما نعبر عنه فى العربية بالجار والمجرور ، فثلا ev معناها منزل ، evde تعنى « فى المنزل » . فهل نقول بأن هذا النمط يفضل ذلك النمط أم العكس ؟ واللغة الانجليزية لا تعرف تمييزا بين حالات إعرابية ، ولو جاز لنا أن نخلع سمات من النمط العربى على الانجليزية لقلنا بأن الانجليزية لا تعرف نصبا ولا رفعا ولا جرا. وفى اللهجات العربية الحديثة نجد حالة النصب فى تعبيرات بعينها ، مثل دائما ، شكراً ، أهلا ، ولا نجد تمييزاً فى المفرد بين المرفوع والمجرور ، أما فى الجمع المذكر فقد استقر الأمر بضياع التمييز بين المرفوع والمنصوب والمجرور .

رابعا : التغيرات الصرفية الصوتية :

يطلق مصطلح التغيرات الصرفية الصوتية Morphophonemic changes على التغيرات التى تطرأ على البنية الصرفية لاعتبارات صوتية ، ولعل فكرة تحويل المقطع المغرق فى الطول إلى مقطع طويل توضح لنا فى العربية طبيعة هذه التغيرات. يتكون المقطع المغرق فى الطول من صامت + حركة طويلة + صامت . وهذا الضرب من المقاطع نادر فى العربية الفصحى ، وتميل اللغة العربية إلى هجره كلما أوتيت إلى ذلك سبيلا . ومن هذا الجانب تختلف العربية الفصحى عن بعض اللهجات العربية التى تعرف المقطع المغرق فى الطول على نحو أكثر شيوعا . فاذا كان القاهرى يقول آمراً : «بيع» فالفصحى « بع » ويقول : « عيش » والفصحى « عش » ، فالفرق بين الصيغة العامية والصيغة الفصحى هنا أن الصيغة العامية

تتكون من مقطع مغرق فى الطول بينما تتكون الصيغة الفصيحة من مقطع طويل .

وتميل اللغة الفصحى إلى هجر المقاطع المغرقة فى الطول والتى كان من الممكن أن توجد قياسا ، يتضح هذا أيضا من صيغة الفعل المضارع الأجوف فى حالة الجزم . فصيغة الجزم تتكون من المضارع بحذف النهاية الموجودة فى حالتى الرفع والنصب . ويكفى هنا أن نقارن : « يكتب » بالضمة فى الرفع ، « يكتب » بالفتحة فى النصب ، « يكتب » دون حركة نهائية فى الجزم . وقياسا على هذا : « يعيش » بالضمة فى الرفع ، « يعيش » بالفتحة فى النصب ، والصيغة القياسية المفترضة فى حالة الجزم : * يعيش دون حركة نهائية ، وهى صيغة لا توجد إلا فى العامية . أما الصيغة الفصيحة فتتكون بتغير داخل الفعل يتم بتحويل المقطع المغرق فى الطول إلى مقطع طويل ، وهكذا تحولت : يعيش ← يعش

وإذا طبقنا نفس القانون وجدناه مفسرا لأبنية أخرى فى العربية . فالفرق بين صيغة المفرد المذكر « كتب » وصيغة المفرد المؤنث « كتبت » هو التاء أضيفت إلى صيغة المذكر لتكون صيغة المؤنث . ولنطبق هذه القاعدة على أفعال مثل : سعى رمى ، دعا ، وهذه أفعال تنتهى بحركة طويلة هى الفتحة الطويلة . وآخر مقطع فى كل منها مكون من صامت وحركة طويلة . فلو أضفنا إلى هذا المقطع الطويل المفتوح تاء التأنيث لأصبح هذا المقطع مغرقا فى الطول ، وهذا ما تجنبته الفصحى بأن حولت هذا المقطع المغرق فى الطول إلى مقطع طويل . وبذلك ظهرت الصيغة المعروفة : رمت ، سعت ، دعت .

وبها تفسر فكرة المقاطع وأنواعها جوانب من التغير فى بنية الكلمة العربية . وهى تغيرات صوتية صرفية .

الفصل الخامس

بناء الجملة

ولنحاول الآن إبراز مجال دراسة بناء الجملة مفرقين بينه وبين بناء الكلمة، فبناء الكلمة يعنى بوسائل تكوين الكلمات من الوحدات الصرفية المختلفة، وبناء الجملة يدرس كيفية تكوين الجمل من الكلمات المختلفة، فعندما نقارن مثلا الجمل التالية : قام محمد، قام الفتى، قامت سلوى، قامت هند، قام هانز، نلاحظ أن الاسم التالى للفعل قام فى نفس الموقع فى الجملة، وهو كما يقول النحاة فاعل الجملة، فهو من هذه الناحية فى موضع بعينه ليؤدى وظيفة بعينها فى الجملة هى الفاعلية، ولكنا نلاحظ اختلافا بينا فى النهايات الاعرابية لهذه الأسماء ؟ ففى قام محمد نجد الفاعل بضمة وتنوين، وفى قام الفتى نجد الفاعل بدون ضمة وبدون تنوين ونفس هذا فى كلمة سلوى، أما هند رغم كونها لعلم مؤنث مثل سلوى، فتنتهى هنا بضمة دون تنوين، وأما هانز فهو علم أجنبي ولا ينتهى هنا بضمة، فما الذى أحدث هذا التباين فى هذه النهايات ؟.

إن الاختلاف فى النهايات الإعرابية يفسر بمحورين، المحور الأول بناء الكلمة والمحور الثانى الموقع فى بناء الجملة. وإذا كنا قد لاحظنا أن الموقع فى الأمثلة المذكورة لم يتغير، فلا شك أن التغير هنا يفسر ببناء الكلمة، وهذا صحيح، فكلمة « الفتى » وكلمة « سلوى » من المقصور، وهذا الضرب من الأسماء يلزم حالة واحدة فلا تتغير نهايته الاعرابية فى الرفع أو فى النصب أو فى الجر فعدم التغير هنا يرجع إلى البنية الصرفية أى بنية الكلمة، أما كلمة « هند » فأدرجها النحاة بين ما يطلق عليه الممنوع من الصرف، والصرف هو التنوين أى أن هذه

الكلمة تدخل فى ذلك الضرب من الأسماء التى لاتنون ، ومن ثم كانت فى التركيب المذكور بضمة دون تنوين ، أما هانز فهو كما نعلم اسم لعلم أجنبي ، وهذا الاسم شائع فى ألمانيا والبلاد المحيطة بها وعندما يستخدم هذا الاسم فى قراءة الأخبار أو فى التقارير العلمية المدونة بالعربية لا يفكر أحد فى إلحاق ضمة أو كسرة أو فتحة به ، ولو فعل قارىء هذا لضحك منه مستمعوه ، وهكذا نلاحظ أن هذا الاسم يلزم حالة واحدة لا تتغير ولا تظهر فيها علامة إعراب ، فالعامل الحاسم فى الاختلاف فى النهايات بين كلمات فى نفس الموقع النحوى لا يكمن إلا فى البنية الصرفية أى فى بنية الكلمة .

وكى نستطيع إبراز الفرق بين مجال بناء الكلمة وبناء الجملة نورد مثالا آخر فعندما نقول : جاء محمد ، التقيت بمحمد ، نلاحظ اختلافا فى النهايات الإعرابية فاذا اتفقنا على جعل دراسة إمكانية التغير فى النهايات من بناء الكلمة خرجنا مثلا من دراسة البنية الصرفيه لكلمة « محمد » أنها تظهر فى ثلاثة أشكال مختلفة ، محمدٌ ، محمداً ، محمد ، وهنا نسأل ما الذى يحدد استخدام هذه الكلمة — بهذه النهاية دون تلك ، وهنا يأتى دور بناء الجملة ، فنقول مثلا : إن هذا الاسم فى : جاء « محمد » ورد مرفوعا ويؤدى وظيفة الفاعلية ، وفى : رأيت محمدا جاء منصوبا لانه مفعول به ، وأما فى : التقيت بمحمد ، فهو تال لحرف جرا فجاء مجرورا . فتحديد الوظائف المختلفة فى الجملة والتغيرات المصاحبة لها من مجال دراسة بناء الجملة.

اولا : الجملة بين النحاة والبلاغيين :

ورب قائل يقول : أليس هذا هو جهد النحاة العرب ؟ وهنا نقول بأن البحث الحديث يفيد من كل الجهود العلمية السابقة ويتجاوزها نحو مزيد من الدقة والتفسير فللنحاة العرب جهد مشكور فى دراسة بناء الجملة ، ويكفى أن ننظر فى كتاب سيبويه صاحب أقدم مؤلف وصل إلينا فى النحو العربى من القرن الثانى الهجرى لنجد دراسات قيمة فى بناء الجملة العربية .

ولكن أهم فرق يميز البحث الحديث فى بناء الجملة عن البحث العربى يكمن فى أن الجهد العربى دار حول محور نظرية «العامل» بينما يضع البحث الحديث هدفه دراسة التركيب الشكلى لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن « معنى » . ومن ثم يعد المعنى عنصراً مهماً فى دراسة بناء الجملة . ونوضح هذا بالنظر فى بحث النحاة للفعل المضارع بعد « حتى » فقد لاحظوا أنه فعل منصوب ، تقول مثلا : حتى أدخل ، أو حتى أخرج أو : حتى نعمل . . الخ وهنا يمكن أن نقول على نحو وصفى مباشر إن هذا التركيب يتكون من : « حتى + فعل مضارع منصوب » ولكن النحاة طرحوا بعد ذلك السؤال التقليدى عن العامل فى كون هذا الفعل المضارع منصوبا. ورب قائل يقول : العامل هو كلمة : « حتى » فيرفض أكثر النحاة مقررين خطأ هذه المقولة ، ويعلل النحاة هذا برأيهم فى « العامل » فالعامل عندهم لا يعمل إلا مختصا ، فللأفعال عواملها وللاسماء عواملها ، وليس ثمة عوامل تعمل فى الأفعال والأسماء وهنا يتساءل النحاة : هل « حتى » من عوامل الأسماء أم من عوامل الأفعال ، فيقول أكثرهم : انها من عوامل الأسماء فهى تجر الاسم مثل : (حتى مطلع الفجر) وإذا كانت كذلك فلا بد من كونها مختصة بالأسماء ، أى أنها لا تؤثر إلا فى الأسماء ، ولا بد أن يكون ما بعدها اسما،وهنا يقول أكثر النحاة : إن التركيب « حتى + فعل مضارع منصوب » ينبغى أن يفسر تقديراً لشىء لا وجود له فى التركيب استدعته النهاية وهذا ما يتحفظ علم اللغة الحديث فى القول به ، فهو يعنى بالتركيب الموجود فعلا واصفا له محددا وظيفته ، أما التساؤل حول « العامل » وتخصيصه وتقديره وما شاكل ذلك فيتجاوز النطاق الذى رسمه علم اللغة الحديث مجالا لبحثه . إن علم اللغة الحديث يدرس التركيب واصفا له محللا له فى اللغة الواحدة أو مقارنا إياه فى المجموعة اللغوية ، وهنا نقول أن تعميق البحث يتم بأدوات تختلف عن الجدل المنطقى فى نظرية العامل والاختصاص .

ولنوضح طبيعة جدل النحاة فى موضوع العامل بمثال آخر فقد لاحظوا

ورود الفعل المضارع منصوبا بعد : كي ، لكي ، كي لا ، لكي لا ، كي ما . وكان من الممكن الاكتفاء في وصف هذا بمعادلات بسيطة على غرار : « كي + فعل مضارع منصوب » ، ولكنهم طرحوا السؤال حول العامل ، والعامل لابد أن يكون واحداً ولا يجوز أن يتعدد ، فقام النحاة بعملية تحليلية معقدة ففي الآية (لكي لايكون على المؤمنين حرج) ، حللوا « لكي » فجعلوا اللام حرف جر وجعلوا كي والفعل بعدها مصدراً مجروراً باللام ، إن مثل هذه الظواهر يبحثها علم اللغة الحديث بأسلوب معادلات تشبه المعادلات الرياضية بتساؤل دائم حول الوظيفة والمعنى والغرض ، وفعالية التركيب في التعبير عن معنى .

هذا وقد أدى اختلاف نظرة اللغويين المحدثين للجملة عنها عند النحاة العرب إلى مباحث لم تنل حقها من الاهتمام في كتب النحو التقليدية ، فالشرط مثلا ، أو بمعنى أدق «جملة الشرط» عرفها النحاة لا كأسلوب قائم برأسه متنوع الانماط مختلف الدلالات ، بل تناولوها ضمن مباحث « جزم المضارع » فاقتصروا في بحثهم لها على بحث العامل ، فإذا كان التركيب : (إن تكتب أكتب) دار بحثهم حول العامل في ذلك الجزم الذي حل بالفعل الأول وبالفعل الثاني ، واختلفوا في هذا اختلافا جزئيا لايخرج عن هذا الإطار ، ولكن أهذا كل ما يمكن أن يبحث في جملة الشرط العربية ؟ هناك جمل شرط لاعلاقة لها بالمضارع ولا علاقة لها بالجزم . فما مكانها في نظرية العامل التي دار حولها البحث في بناء الجملة عند النحاة العرب ؟ ، فنحن نقول : «إن كتبت كتبت» ، فلا نستخدم فعلا مضارعا بل فعلين ماضيين ، وجملة كهذه لامكان لها بين أنماط جملة الشرط في كتب النحو العربي ، لا لأن هذا التركيب حديث في العربية بل لأن النظرة إلى جملة الشرط في تكاملها في البنية والدلالة نظرة حديثة معمقة ، وقد سجل اللغويون المحدثون أنماطاً مختلفة من جملة الشرط العربية ، وبعض هذه الانماط لم يكن موضع اهتمام النحاة العرب ، وذلك مثل : (إن + جملة فعلية ذات فعل ماض + جملة فعلية ذات فعل ماض) نحو . (إن قاتلونا قاتلناهم) ، أو : (إن + جملة فعلية ذات فعل

ماض + لم + جملة فعلية ذات فعل مضارع) . مثل : « إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبداً » .

ويزداد الأمر تنوعاً إذا لاحظنا الأزمنة المركبة واستخدامها فى جملة الشرط ، وذلك مثل : (إن كنت أصبت فى . . فقد أخطأت فى . .) أما الشرط باستخدام « إذا » و « لو » فلم يدرس عند النحاة العرب كأسلوب قائم برأسه بتركيبه وعلاقاته ودلالاته بحثا مفصلا ، وكان حسبهم هنا ضروبا من التقدير ، ففى الجملة (إذا السماء انشقت) قدروا لاعتبارات نظرية بحتة فعلا بين إذا والفاعل ، وانصرف اهتمامهم إلى الاعراب والعامل وتقديره وعمله ،

ومن الأخطاء الشائعة عن اللغة العربية أنها لاتعرف مقابلا لما يطلق عليه فى اللغات الأوربية اسم الأزمنة المركبة ، والواقع أن النحاة العرب لم يدرسوا هذه الظاهرة رغم وجودها فى أشكال مختلفة فى اللغة العربية ونحن اليوم نفرق بين (كتبت) (وكنت كتبت) ، (وكنت قد كتبت) ، لكل تركيب معناه الخاص به .

والاهتمام بالمعنى يؤدى إلى المباحث التى عرفت عند القدماء باسم «علم المعانى» ، أى : معانى النحو . ويكفى أن ننظر فيها لنجد فصولا فى بناء الجملة فهم يفرقون مثلا بين الخبر والطلب تفريقا بارعا ، ولو طبقنا هذا لاتضح لنا مدى خطأ رأى النحاة فى تقدير فعل عامل فى المنادى . فقد قدروا فى تركيب مثل : (يا كبير القضاة) ، (أنادى كبير القضاة) ورغم كل المحاولات النظرية لتفسير هذا ، فالثابت أن التركيبين مختلفان أساسا ، فالأول طلبى والثانى خبرى كما يقول البلاغيون ، فجهود البلاغيين العرب لها مكانها وتقديرها فى دراسة الجملة العربية وهى المكمل الطبيعى لجهود النحاة فى هذا الميدان .

ولننظر مثلا فى دراسة البلاغيين لصيغ الأمر فى العربية ، نجد عندهم الأمر (اكتب ، اكتبى ، اكتبا ، اكتبوا ، اكتبن) والأمر بالمضارع المقرون بلام

الأمر (لتكتب . لتكتبي . . . الخ) . واسم فعل الأمر (حذار ، صه)والمصدر الغائب عن الفعل الأمر نحو (وبالوالدين احسانا) فدراسة البلاغيين لهذه الإمكانيات التعبيرية للأمر في العربية اسهام طيب لإدراك الوسائل المختلفة التي يعبر بها عن الأمر في العربية . وشبيه بهذا مافعله البلاغيون في دراسة الاستفهام وأساليبه المختلفة ، فهناك استفهام بهل وبالهمزة وباستخدام من وماومتى وكيف وأين . . الخ . ودراسة تكوين الجملة الاستفهامية بأدواتها وعلاقاتها ومعناها مما يدخل في علم اللغة الحديث في دراسة بناء الجملة . وقديما شغل كثير من النحاة بالنهاية الاعرابية وأخذ عليهم البلاغيون عدم الاهتمام بالمعنى ، فتمزق الشكل والمضمون ، فهل لنا أن نأخذ بهما مجتمعين ؟ .

لقد درست كتب النحو الاستثناء مركزة البحث على العامل في المستثنى وكأن النهاية الاعرابية جوهر الأمر ، فأكمل البلاغيون هذا الجهد بمحاولة طيبة لدراسة القصر ، فهناك تراكيب مختلفة للقصر في العربية، منها(لا . . إلا)،و (لم . . إلا)، و (لن . . إلا) ،و(إنما . .) الخ . شغل النحاة هنا بالنهاية الاعرابية لما بعد أداة الاستثناء فاصلين بين أداة النفي المقدمة و أداة الاستثناء التي جاءت بعدها ،والاسهل أن يدرس التركيب كأسلوب قصر ذي أداة مركبة، على نحو ما نجد عند البلاغيين وعند اللغويين المحدثين وعلى نحو مانجده في لغات أخرى كالانجليزية not...but أو الفرنسية ne. . que

وصفوة القول : أن الدراسة الحديثة في بناء الجملة تهتم بترتيب الوحدات الصرفية في الجملة وتراعي الاعراب وتغيره للتعبير عن المعاني المختلفة وهذا ما بحث قديما بين علمي النحو والبلاغة .

ثانيا : المنهج التوليدي التحويلي وبناء الجملة :

اتجه اللغويون منذ سنة ١٩٥٧ بصورة متزايدة إلى بحث بناء الجملة ، فقد

كانت موضوعات الأصوات وبناء الكلمة قد نالت نصيباً كبيراً من الاهتمام على مدى مائة عام ، ولوحظت الثغرات فى دراسة بناء الجملةفانصرف لغويون كثيرون إلى بناء الجملة . وارتبط هذا بالنزوع إلى الإفادة من الأجهزة الالكترونية فى البحث اللغوى لتحقيق مزيد من الدقة والموضوعية . وهنا ظهر النحو فى التحويلى التوليدى generative transformational grammar . والفكرة الأساسية فى النحو التحويلى التوليدى أن الوصف الدقيق للغة من اللغات إنما يعنى تحديد الإمكانيات التعبيرية الكامنة فى هذه اللغة والتى ينتقى منها ويتوسل بها مستخدم اللغة إيجابا وسلبا فوصف الاستخدام اللغوى عند فرد بعينه ليس تحديداً لطاقات اللغة . بل وصف للقدرة اللغوية لهذا الفرد ، ومن هنا تتجاوز فكرة النحو التحويلى التوليدى مجرد الوصف إلى محاولة تحديد « مجموع الامكانيات التعبيرية » فى اللغة قيد الدراسة ، وهذه الإمكانيات كامنة عند مستخدم اللغة حتى أنه يستطيع بالمختزن لديه منها أن يفهم جملا وتعبيرات لم يسبق له أن سمعها أو قرأها .

وهذا هو معنى كون هذا الاتجاه « توليديا » ، أى أنه يبحث امكانات توليد الجمل الجديدة اعتماداً على إمكانات اللغة .

ويوصف هذا المنهج أيضاً بأنه « تحويلى » ، والتحويل هنا وسيلة من وسائل التعرف على طبيعة العلاقات بين الوحدات التى نعرفها باسم الكلمات ، ولننظر مثلا إلى التركيب المكون من : « الاسم + الضمير » . لنجد العلاقات الكامنة بين هذا الاسم وذلك الضمير متنوعة ، ولنقارن بين أشياء تبدو من ناحية الشكل متضمنة لعلاقة واحدة مثل : (كتابى ، أبى ، وطنى ، قيصى ، دورى ، سفرى) فهذه تعبر عن علاقات مختلفة وليس من الصحيح أن نقول : أنها علاقة الملكية ، ولكى توضح تنوع هذه العلاقات نحاول نقل كل تعبير منها مبدلين إياه بتعبير مفسر للعلاقة وسنجد تفسير العلاقة متفاوتاً متنوعا . فكلمة كتابى تعنى الكتاب الذى ألفته أو الكتاب الذى أملكه . وهنا نجد علاقتين تختلفان عن العلاقة الكامنة فى الاسم فى : « أبى » فالأب هو الانسان الكبير الذى أنتمى إليه انتماء بيولوجيا مباشراً ، والعلاقة هنا مختلفة عن العلاقتين

الكامنتين بين الاسم والضمير فى : « معطفى » فهو المعطف الذى أملكه أو ارتديه لو كان المتكلم مثلا يقوم بدور معين ، وهذه العلاقات مختلفة بدورها عن « بلدى» « فالعلاقة هنا علاقة انتماء مواطن إلى وطن صغير أو كبير ، وكل هذا مختلف عن العلاقة بين الاسم والضمير فى « سفرى » ، أى السفر الذى قمت أو أقوم به ، وهنا نلاحظ أن كل هذه الأشياء متفقة شكلا مختلفة فى الدلالة على العلاقات .

فلو كنا بصدد تصميم جهاز للترجمة الآلية لكان على اللغوى أن يزوده بالاشكال الصرفية المتاحة وبالعلاقات القائمة بينها فى اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها حتى يمكن للجهاز اختيار التعبير المقابل ، وهنا تتبين أن أشياء كثيرة تبدو بسيطة ولكنها فى حقيقة الأمر متنوعة ، تحتاج لابراز هذا التنوع إلى إيضاحها بمنهج التحويل حتى يتسنى لنا فهم العلاقات الكامنة بينها .

وهناك أشياء كثيرة لاحظها النحاة ويفيد منها الباحث الحديث بالمنهج التحويلى إذا أراد تحديد العلاقات ، وقد تحدث النحاة العرب موضحين علاقتين كامنتين فى تركيب مثل « قتلُ زيد » فقد يكون زيد هو القاتل وقد يكون هو المقتول ، وبتعبير النحاة قد يكون هذا من قبيل اضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله ، ونستطيع بالمنهج التحويلى إدراك الفرق بينهما بأن نجرب إحلال الفعل محل المصدر، نجد أن « قتل زيد » تقابل : قتل زيد (بفتح القاف) ، أو قتل زيد(بضم القاف) أى أن هذا المصدر يقابل الفعل المبنى المعلوم أو المبنى للمجهول ،وهذا مايفسر كون هذا التركيب فى العربية حاملا لإمكانيتين اثنتين فى التعبير ، وعلى العكس من هذا نجد العلاقة الكامنة بين المصدر والمضاف إليه فى « وصول على » ذادلالة واحدة ، وهنا يرجع كما يقول اللغويون إلى كون مقابل هذا بالمنهج التحويلى فعلا لازما . ونستطيع كذلك بالمنهج التحويلى أيضا إدراك الفرق بين المفعول به الأول والمفعول به الثانى فى الجملة العربية ، ففى الجملة « أعطيت التلميذ كتابا » يتضح الفرق الوظيفى بنقل هذه الجملة إلى المبنى للمجهول ، « أعطى التلميذ كتابا » « أعطى كتاب إلى

التلميذ » ، والمفعول الاول قابل عند التحويل لحرف الجر ولكن المفعول الثانى غير قابل لحرف الجر .

وأخيرا نود أن نقول بأن أصحاب المنهج التحويلى قدموا لنا وسيلة نستطيع بها إبراز اختلافات كامنة فى علاقات الوحدات الصرفية داخل الجملة والسنوات القادمة كفيلة بإبراز مدى جدوى ذلك فى برامج الترجمة الآلية ومدى القصور فى ذلك .

الفصل السادس

الدلالة

لا تقوم البنية اللغوية على مجرد تتابع الاصوت المكونة للابنية الصرفية فى الجملة ، بل لابد أن تكون هذه الرموز حاملة للمعنى . وتعد قضية الدلالة من أقدم قضايا الفكر فى حضارات مختلفة ، أسهم فيها فلاسفة ومناطقة ولغويون وبلاغيون وأصوليون من العرب وغيرهم ، وتقدم البحث الدلالى فى اطار علم اللغة الحديث من جانبين ، فمن الناحية المنهجية حدث تقدم فى نظرية الدلالة ومن الناحية العملية كان التقدم فى اعداد المعاجم ، وفوق هذا كله ، فقد أصبح البحث الدلالى موضع اهتمام المتخصصين فى الفلسفة والعلوم الاجتماعية والانثروبولوجية والنفسية .

اولا : الدلالة : مجالاتها ونسبيتها :

يعد التحليل الدلالى لبنية اللغة أساسا ضروريا لكل الدراسات التاريخية والمقارنة والتقابلية لدلالة الكلمة . ولذا كان من الضرورى البحث عن منهج يتيح تحديد الدلالة فى المستوى اللغوى الواحد على أدق نحو ممكن . وقد عرف علم اللغة الحديث عدة محاولات لوضع منهج يفيد فى التحليل الدلالى الوصفى . وأهم هذه المحاولات مايدخل فى اطار « نظرية المجال الدلالى » عند الباحثين فايسجربر Weisgerber وترير Trier وغيرهما . وتقول هذه النظرية بأن الكلمة تتحدد دلالتها ببحثها مع أقرب الكلمات إليها فى اطار مجموعة دلالية واحدة . وقد ظهرت عدة تصنيفات لهذه المجالات الدلالية ، منها مثلا تصنيف فارتبورج von Wartburg لها إلى ثلاثة مجالات أولها : الكون (السماء والغلاف الجوى ،

والارض والنبات والحيوان) ، وثانيهما : الانسان (جسم الانسان ، الفكر والعقل ، الحياة الاجتماعية)، وثالثها: الإنسان والكون (ويدخل فيه ما يتعلق أيضا بالعلم والصناعة) .وقد أعدت عدة معاجم تقوم على اساس المجالات الدلالية ،أشهرها معجم دورنزايف Dornseiff الألمانى . ولاشك أن دلالة الكلمة لا تتضح الا ببحثها فى مجالها الدلالى . يتضح هذا مثلا من النظر فى تسميات الوظائف مراقب ، مدير ، رئيس قسم ، رئيس جهاز ، رئيس وحدة ، وكيل ، نائب رئيس ، عضو مجلس إدارة ، مستشار عام مفوض ... الخ ، فكل وظيفة من هذه الوظائف ليس لها مكانة محددة ببحثها مفردة ، وإنما تتخذ مكانها بالقياس إلى مافوقها وما فى مستواها ومادونها . وهكذا شأن الكلمات داخل المجموعة الدلالية الواحدة أو المجال الدلالى الواحد ، فدلالة الكلمة نسبيه ، بمعنى أنها تتحدد فى ضوء علاقاتها بالكلمات الأخرى فى نفس المجموعة الدلالية .

ولنتصور كلية جامعية تمنح لطلبتها التقديرات التالية : ممتاز مع الشرف من ١٠٠ إلى ٩٥ ؛ وممتاز من ٩٤ إلى ٩٠ ؛ وجيد جدا من ٨٩ إلى ٨٥ ؛ وجيد من ٨٤ إلى ٧٠ ؛ ومتوسط من ٦٩ إلى ٦٠ ؛ ومقبول من ٥٩ إلى ٥٠ ؛ ولنقارن هذه المسميات بما تمنحه كلية أخرى : ممتاز من ١٠٠ إلى ٨٠ ؛ وجيد من ٧٩ إلى ٦٠ ، وناجح من ٥٩ إلى ٥٠ . فنلاحظ أن دلالة كلمة ممتاز فى النظام الثانى تختلف عنها فى النظام الأول وإن اتفقت معها فى قطاع بعينه (من ٩٥ إلى ٩٠) فكل ممتاز وفق النظام الأول يكون ممتازا وفق النظام الثانى ، وليس العكس صحيحا ، ونلاحظ أن كلمة « جيد » تختلف كذلك فى النظامين . ونلاحظ كذلك عدم وجود مقابل مباشر لكل كلمة فى كلا النظامين .

إن كل كلمة يتحدد معناها فى علاقاتها ، فكلمة « دينار » تعنى فى الكويت شيئا مختلفا عن الدينار اليوغسلافى المتواضع جدا ، والمارك الفنلندى كان إلى عهد

قريب أصغر وحدة نقدية هو كالمليم فى مصر ، والمارك الالمانى له قيمة أكبر بكثير. ومن استخدم كلمة قرش فى مصر وعرف لها معنى مغايرا فى لبنان ، يتأكد لديه أن كل كلمة انما تحدد دلالتها عن طريق علاقتها بأفراد مجموعتها الدلالية . والقاب هيئة التدريس بالجامعة تتحدد كذلك بعلاقاتها ، فالأستاذ المساعد هو درجة وسيطة فى مصر بين المدرس والاستاذ ، وهى فى الجامعات ذات النظام الأمريكى أقل درجات أعضاء هيئة التدريس ، فتقابل المدرس فى مصر . وهكذا تتحدد الدلالة فى اطار بحث الكلمات المنتمية إلى مجموعة دلالية واحدة ، ومن هنا تتحدد الفروق الدلالية بين الكلمات فى المجال الواحد .

وتؤدى نسبية الدلالة إلى صعوبات فى الترجمة ، فكلمة Bezirk فى المانيا الغربية تختلف عنها فى المانيا الشرقية ، تعنى فى الأولى الوحدة الادارية التى تزيد على الدائرة ، فهى تشبه كلمة « مركز » فى الاستخدام المصرى ، ومعنى نفس الكلمة فى المانيا الشرقية ما نسمية فى مصر « محافظة » . ويزيد الامر تعقيدا إذا كانت الكلمة مصحوبة بايحاء مختلف ، فنحن نستخدم كلمة « القومية » دلالة على حركة سياسية تهدف إلى الوحدة العربية ، ولاتضمن هذه الكلمة أى شعور باستعلاء العرب أو احتقارهم للآخرين ، كما يفهم الالمان من كلمة Nationalismus المرتبطة عندهم بالنازية ، ومن ثم فالكلمتان مختلفتان دلاليا .

ثانيا : انواع المعاجم .

١ ــ عرفت الحضارة العربية عدة اتجاهات فى التأليف المعجمى منذ القرن الثانى الهجرى . وأهم هذه الاتجاهات :

(ا) الرسائل اللغوية الموضوعية :

وهذه الرسائل اللغوية ثمرة عمل ميدانى رائد تم فى القرن الثانى الهجرى ، فقد خرج اللغويون إلى البادية لجمع اللغة من القبائل ، فألف الأصمعى فى «خلق الانسان»

و« الابل » ، و« الخيل » و « النبات والشجر » ، وشبيه بهذا ما فعله أبو عبيده فى كتاب « الخيل » وكل هذه الرسائل اللغوية جهد قام على عمل ميدانى للغويين العرب الاوائل فى القرن الثانى الهجرى ، وإذا نظرنا فى هذا العمل لاحظنا أن جمعهم للمادة اللغوية لم يكن شاملا بل انتقائيا ، فلم يدونوا الالفاظ المستخدمة فى كل المنطقة العربية آنذاك ، بل انصرفوا إلى لغة البادية ، أى إلى قطاع معينه من الحياة اللغوية واعرضوا عن الاستخدام اللغوى عند نصف البدو ولم يخرجوا فى جمع اللغة إلى اليمن أو إلى الشام ، والعراق فهؤلاء المتعربون الجدد كانوا بعيدين عن المثل الاعلى للاستخدام اللغوى العربى ، وهكذا كان جهد اللغويين فى عملهم الميدانى انتقائيا .

(ب) معاجم المواد اللغوية :

فقد بدأ تأليف المعاجم العربية فى القرن الثانى الهجرى أيضا ، ألف الخليل بن أحمد (المتوفى حوالى ١٧٠ هـ)، معجمه الرائد كتاب العين ، أو قل شرع الخليل فى تأليف معجمه الذى سمى باسم « كتاب العين » وقد بدأ الخليل معجمه بالكلمات التى بها حرف العين فأطلق على المعجم كله اسم أول الحروف عنده « العين » . ثم تتابعت مدارس المعاجم بعد ذلك ، وألفت عشرات المعاجم بعد القرن الثانى الهجرى ، ولكنها — بصفة عامة — قامت أساسا على تصنيف المادة اللغوية التى جمعت فى القرن الثانى الهجرى . وبعد ظهور معاجم عربية كثيرة ذات ترتيبات متغايرة وسمات مختلفة حاول ابن منظور (ت ٧١١) ضم ما تناثر فى المعاجم ، فحشد فى « لسان العرب » ما وجده فى تهذيب اللغة للازهرى (ت ٣٧٠) والصحاح للجوهرى (ت ٤٠٥) والمحكم لابن سيده (ت ٣٧١) وغير هذا وذلك من المعاجم ، وعلى هذا فلا يمثل « لسان العرب » بأجزائه العشرين كل مادة اللغة العربية حتى عصر المؤلف ، بل يعكس أولا وقبل كل شىء الاستخدام اللغوى فى البادية فى القرن الثانى الهجرى ،

ومن هذه الناحية يعد « لسان العرب » معجماً وقف عند مرحلة بعينها فى تاريخ اللغة العربية .

(ج) المعاجم الموضوعية :

أسهم المؤلفون العرب فى تأليف معاجم لا ترتب الالفاظ وفق موادها اللغوية أو حروفها ، بل وفق الموضوعات . وأشهر هذه المعاجم « المخصص » لابن سيده وهو معجم كبير استوعب ألفاظ العربية مرتبة فى موضوعاتها ، ولذا فهو مبوب على الموضوعات ، وترد الكلمات بعد ذلك داخل كل موضوع . ويعد « المخصص » لابن سيده سابقاً بعدة قرون على المعاجم الموضوعية التى ألفت فى الحضارة الغربية .

٢ - يتحدث اللغويون المعاصرون والمثقفون عن المعاجم التاريخية والمعاجم الاشتقاقية ومعاجم المترادفات والمعاجم المتخصصة وغير ذلك من المعاجم . وكل هذه المعاجم أدوات بحث وأدوات ثقافة وأدوات صقل لغوى ، ولكل منها هدفه ومنهج اعداده وأسلوب عرضه وليسمح لى القارىء الكريم أن أتجاوز حدود الواقع إلى الآمل فأتحدث عن تصور أرجو ألا يطول انتظارنا لتحقيقه .

(ا) المعجم التاريخى :

هو ذلك المعجم الذى يتناول تاريخ حياة كل كلمة من كلمات اللغة ، يسجل لنا مثلا أول نص وردت به الكلمة ، فاذا صح أن كلمة « نمط » قد وردت لأول مرة فى العربية فى معلقة زهير ، فان هذا أقدم شاهد على الكلمة فى العربية وعلى المعجم التاريخى أن يعكس حياة الكلمة منذ أقدم نص وردت به ويمضى معها محددا دلالاتها المتغيرة ومستويات استخدامها، وما أكثر الكلمات التى تغيرت دلالاتها عبر القرون فكلمة (سائر) عرفت فى نصوص عربية قديمة بمعنى الباقى وهذا ما تدل عليه المقارنات السامية كذلك ، وبدأت تستخدم فى القرن الرابع الهجرى بمعنى الجميع ، وسجل الحريرى ذلك فى « درة الغواص » مهاجما الاستخدام الجديد ، ولكن الباحث الحديث لا يهاجم التغير الدلالى بل يسجله معتمدا على النصوص التى يؤرخ لألفاظها فى معجم تاريخى .

والالفاظ كالبشر ، لكل منها ميلاد وحياة ونهاية ، ولكن حياة الالفاظ أكثر تفاوتا من حياة البشر ، فهناك كلمات عاشت آلاف السنين وألفاظ لم يقدر لها طول البقاء ، فعندما حاول الطهطاوى قبيل منتصف القرن الماضى أن يسمى تلك الوثيقة التى تضم شكل الدولة وحقوق الامة ، اطلق عليها اسم « الشرطة » فنقل حروف الكلمة الفرنسية Charte إلى الخط العربى ، ولم تعش هذه الكلمة طويلا وحلت محلها كلمة « دستور » وهنا يكون واجب المعجم التاريخى للغة العربية بأن يسجل ميلاد كل كلمة وحياتها وفناءها ان كانت قد بادت ، ويعد معجم اكسفورد التاريخى للغة الانجليزية من أهم الانجازات فى مجال المعاجم التاريخية .

ب ـــ المعاجم الاشتقاقية :

وهى المعاجم التى تهتم بايضاح الروافد التى مدت اللغة بمفرداتها ، ففى العربية ألفاظ سامية قديمة مثل : ابن ، اخ ، أم ، الخ ، والفاظ دخيلة من الآرامية مثل سكين وناطور وترعة وبالوعة ، والفاظ دخيلة من اللاتينية مثل سراط str..ta (أى طريق) ، واسطبل Stablum ، ومن اليونانية مثل زوج zeugos ، ومن التركية مثل عربة وبمك ، ومن الايطالية مثل لوكاندة locanda ومنى فاتورة manifatura وبريمو primo سكندى secondo وعلى المعجم الاشتقاقى ابراز أصل كل كلمة فى اللغة التى يتناولها المعجم .

حـ ـــ معاجم المترادفات :

هى معاجم تقتصر مادتها اللغوية على مستوى لغوى بعينة ، ولا يجوز الخلط بين المستويات المختلفة فالاستخدام العربى الحديث يعرف مثلا عددا من الالفاظ المترادفة ، وينبغى أن نوضح هنا المعنى الحديث للترادف ، ففى ظل مبدأ نسبية الدلالة يندر أن تكون هناك كلمات تتفق فى ظلال معانيها اتفاقا كاملا ، ومن الممكن أن تتقارب الدلالات لا أكثر ولا أقل فالألفاظ المترادفة هى بهذا المعنى الألفاظ ذات الدلالات المتقاربة ، ومن ثم كان من واجب معجم المترادفات ذكر الالفاظ فى مجموعات مع تحديد علاقاتها وظلال معانيها والفروق بينها .

د — المعاجم المصورة :

وأشهرها معجم Duden الذى ضم صورا للاشياء المادية وتسميات لهذه الأشياء، وقد أعد المعجم للالمانية ثم أخذت الصور ودونت مسمياتها فظهر المعجم بالفرنسية والانجليزية، وهناك معاجم مصورة أصغر من معجم Duden وتمضى بنفس منهجه.

هـ — المعاجم المتخصصة :

ونعنى بها المعاجم التى تضم المصطلحات العلمية لكل فرع من فروع المعرفة ، ولابد أن تكون هذه المعاجم بأقلام متخصصين ذوى حسن لغوى مرهف ولاسيما فى اللغة المترجم إليها ، وبقدر ارتباط هذه المعاجم بالاستخدام الفعلى عند أبناء التخصص يكون نجاح المعجم ، فالمعجم أداة لتسيير التعامل باللغة ، وليس بحال من الأحوال أداة تعسف فردى .

وهكذا تنوعت الاهتمامات المعجمية فى العصر الحديث ، ونرجو ألا يطول انتظار المثقفين لمعاجم للغتنا تفى بحاجة العصر وتسد حاجة الانسان العربى المعاصر.

الفصل الرابع

الأسرة اللغوية الافرو اسيوية

تتكون اللغات الأفرو أسيوية أسرة لغويةواحدةمن أكبر الأسرات اللغوية فى العالم القديم والوسيط والحديث . وتضم هذه الأسرة عدة أفرع لغوية ، هى: الفرع السامى ، والفرع المصرى القديم ، والفرع البربرى ، والفرع التشادى ، والفرع الكوشى . وكان الباحثون قد أدركوا العلاقة بين اللغات المختلفة التى تدخل فى اطار اللغات السامية ، ثم اتضحت أوجه الشبه بين هذه اللغات واللغة المصرية القديمة . واتسع مجال المقارنة فدخلت اللغة البربرية وقورنت مع اللغات السامية وثبتت القرابة أيضا . وامتدت الدراسات المقارنة إلى بعض اللغات الافريقية ذات الصلة البنيوية باللغات السامية فاتضحت أوجه الشبه البنيوية أيضا . وهكذا تكونت لدى الباحثين صورة عن القرابة بين عدد من اللغات فى شمالى وشرق أفريقية وغربى آسيا ، ولذا وصف اللغوى الأمريكى جرينبرج هذه الأسرة بأنها الأسرة الافرو أسيوية .

تقوم وحدة اللغات الأفرو أسيوية على اشتراكها فى عدد من الخصائص البنيوية ، أوضحها ما يأتى:

(١) التمييز بين المذكر والمؤنث فى الصيغ الصرفيةالمختلفة ، ووجود هذهالسمة دليل على انتماء اللغة موضع البحث إلى اللغات الافرو أسيوية ، فاللغات الهندية الأوروبية تميز بين المذكر والمؤنث والمحايد ، وهذا واضح مثلا فى اللغة الألمانية، أما اللغات الأورالية الالتائية فلا تعرف مثل هذا المعيار فى التصنيف ، فليس فيها ما يصنف من المذكر أو المؤنث . ويقوم التصنيف فى عدد من الأسرات اللغوية

الأفريقية وفق معايير أخرى ، ليس من بينها التصنيف وفق الجنس النحوى، فاللغة السواحلية مثلا تصنف الأسماء وفق السابقة التي يبدأ بها الاسم. أما اللغات الأفرو أسيوية فتصنف الكلمات وفق معايير من أهمها التذكير والتأنيث ، أى وفق الجنس النحوى ، وتستخدم التاء فى كل اللغات الأفرو أسيوية لتمييز المؤنث عن المذكر . فاللغات الأفرو أسيوية تتفق من ناحية مبدأ التصنيف ومن ناحية الوحدة الصرفية الدالة على التأنيث .

٢ — استخدام عدد من الوحدات الصرفية بنفس الوظائف النحوية فى اللغات المختلفة ، منها مثلا النون والكاف ، أما النون فتقوم بالربط بين وحدة صرفية للفعل أو للاسم مع وحدة صرفية تعبر عن المتكلم . ومثال هذا فى اللغة العربية نون الوقاية التى تستخدم لربط الفعل بضمير المتكلم ، مثل : كلمنى . أما فى لغة الهاوسا — وهى من اللغات التشادية — نجد هذه النون للربط بين الاسم والضمير المتصل ، فمثلا yaronka تعنى ابنك، وتتكون من (yaro) بمعنى ابن ، و(n) للربط ، (ka)، ويلاحظ فى المثال السابق أيضا استخدام الكاف والفتحة للمخاطب المذكر ، أما فى المؤنث فضمير المخاطبة المؤنثة ki فى لغة الهاوسا وفى اللغة العربية أيضا ، أما التاء فتكون فى اللغات الافرو أسيوية المختلفة صيغا خاصة بالمؤنث ، على نحو ما نعرف فى اللغة العربية .

٣ — هناك لغات كثيرة تدخل فى الاسرة الأفرو آسيوية وتكون صيغ اسم المكان واسم الالة واسم الفاعل بالسابقة m ، نجد هذا مثلا فى اللغات السامية وفى اللغات التشادية ومنها لغة الهاوسا .مثال هذا فى العربية اسم المكان (موضع) من المادة وضع ، واسم الالة (منشار) من المادة نشر واسم الفاعل (مقيم)من الفعل أقام ،وشبيه بهذا أبنية اسم المكان واسم الالة واسم الفاعل فى لغة الهاوسا وغيرها من اللغات التشاديـــة .

أولا : اللغات السامية :

يضم الفرع السامى من اللغات الأفرو أسيوية عددا من اللغات القديمة والحديثة التى لها دور واضح فى الحضارة الانسانية . وتعد اللغات السامية من أقدم اللغات الانسانية التى وصلت إلينا مدونة ، فاللغة الاكادية فى أرض النهرين قد دونت منذ ٢٥٠٠ ق.م . وهى بهذا من أقدم اللغات المدونة . وقد وصلت الينا نصوص مدونة بلغات سامية مختلفة منذ هذا التاريخ المبكر وعبر حوالى خمسة وأربعين قرناً ، كما يعرف العالم الحديث عدة لغات سامية حية ، أهمها العربية والأمهرية ومنها العبرية الحديثة واللهجات الارامية الحديثة والمهرية والتجرية والتجرينية . وكل هذه اللغات قد نشأت عبر مراحل من التغير عن لغة واحدة مشتركة لم تصل الينا نصوص منها ، وهى اللغة التى يسميها الباحثون باسم اللغة السامية الأولى.

١ – الخصائص المشتركة فى اللغات السامية :

تتفق اللغات السامية فى مجموعة من الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . وتظهر هذه الخصائص بشكل أوضح فى اللغات السامية القديمة ، ويمكن تفسير أى خروج عن هذه السمات المشتركة فى أية لغة مفردة بأنها خالفت باقى لغات الأسرة السامية فى أحد الجوانب المذكورة .

وأهم هذه الخصائص المشتركة فى اللغات السامية ما يأتى :

(ا) نجد فى اللغات السامية مجموعة أصوات الحلق : العين والحاء والغين والخاء والهاء والهمزة . وهذه المجموعة موجودة فى شكلها الكامل فى اللغة العربية . وقد حدثت لها بعض تغيرات فى عدد من اللغات السامية أدت إلى تداخل بعض هذه الأصوات ، وهذا واضح مثلا فى اللغة العبرية إذ حل فيها صوت العين محل صوتين اثنين هما العين والغين ، ومعنى هذا أن اللغة السامية الأم كانت تميز بين العين والغين كما تميز العربية بينهما ، ولكن الصوتين تحولا فى العبرية إلى صوت واحد

هو العين . ومعنى هذا أن الكلمات التى توجد فى العبرية بالعين يمكن أن يقابلها فى العربية من الناحية الاشتقاقية كلمات تضم صوت العين أو صوت الغين .

(ب) توجد فى اللغات السامية مجموعة أصوات مطبقة ، تشترك هذه الأصوات من الناحية النطقية فى ارتفاع اللسان درجة أثناء النطق بها مع اتخاذه شكلا مقعرا والأصوات المطبقة فى العربية هى الصاد والطاء والضاد والظاء . وقد عرفت اللغة السامية الام هذه الأصوات المطبقة على نحو وجودها فى العربية ، وفى اللغة العربية الجنوبية القديمة ، وهى أقرب إلى اللغات العربية الشمالية . أما فى اللغات السامية الأخرى فتوجد أصوات الاطباق فى عدد أقل ، فالعبرية مثلا تعرف صوت الصاد — فى نطقه المختلف قليلا عن النطق العربى — مقابلا اشتقاقيا لثلاثة أصوات عربية هى الصاد والضاد والظاء . فأية كلمة عربية بها ضاد أو ظاء أو صاد يكون مقابلها الاشتقاقى فى اللغة العبرية — إن وجد — كلمة تضم الصاد العبرية.

(ج) يقوم بناء الكلمة فى اللغات السامية على أساس الصوامت والوزن . ومعنى هذا أن المعنى الاساسى يرتبط بالصوامت ، فالكلمات : فعلَ وفعلٌ ، وفاعل يرتبط معناها الاساسى بالفاء والعين واللام ، والكلمات : كتب ومكتب وكتابة يرتبط معناها الاساسى بالكاف والتاء والباء ، والكلمات : علم ، عالم ، علم يرتبط معناها الاساسى بالعين واللام والميم . أما الوزن مثل وزن فاعل فيحدد المعنى الدقيق للكلمة بأن يدل مثلا على من قام بالفعل ، وعلى هذا تتفق الكلمات : كاتب ، ضارب ، عامل ، لاتفاق وزنها .

(د) تصنف الصيغ فى اللغات السامية من ناحية الجنس النحوى إلى مذكر

ومؤنث . ومن ناحية العدد إلى مفرد ومثنى وجمع . وهناك لغةسامية هى العبرية قل فيها استخدام المثنى وأصبح مقصورا على الاشياء الموجودة فى الواقع الخارجى فى شكل ثنائى مثل اليدين والرجلين . أما من ناحية النهايات الاعرابية فاللغات السامية القديمة عرفت التمييز بين ثلاث حالات فى اعراب الاسم ، فهناك نهاية للمرفوع وأخرى للمنصوب وثالثة للمجرور ، يتضح هذا بصفة خاصة فى الاكادية والعربية .

(ه) وهناك عدد كبير من المفردات الاساسية المشتركة فى كل اللغات السامية، ويمكن تقسيم هذه المفردات إلى المجموعات التالية :

- ألفاظ خاصة بجسم الانسان (رأس ، عين ، يد ، رجل ، شعر) .
- ألفاظ خاصة بالنبات والحيوان (قمح ، سبنله ، كلب ، ذئب) .
- بعض الأفعال الأساسية (•ولد، مات ، قام ، زرع) .
- الاعداد الاساسية (من اثنين حتى عشرة) .
- حروف الجر الاساسية (من ، على ، فى) .

وفوق هذا فانه من الممكن للباحث فى اللغات السامية التعرف على المواداللغوية المشتركة فى كل هذه اللغات ، والتى قامت اللغات السامية المختلفة بالافادة منها لتكوين كلماتها الكثيرة المتجددة .

ولاشك أن درجة التقارب بين اللغات السامية المختلفه تجعلها تشكل فرعا واحدا فى اطار الاسرة الافروآسيوية . ومعنى هذا أن اللغة العربية أقرب إلى اللغة العبرية أو إلى اللغة الاكادية منها إلى لغة الهوسا فالعربية والعبرية والاكادية من الفرع السامى ،ولغة الهوسا من الفرع التشادى، والفرع السامى والفرع التشادى يدخلان فى الاسرة الأفرو أسيوية .

٢ — الفرع الأكادى

اللغة الاكادية هى أقدم لغة سامية دونت . فقد كتبت أقدم نصوصها حوالى سنة ٢٥٠٠ ق م . والاكاديون هم تلك الجماعات السامية التى هاجرت من مهد الساميين فى جزيرة العرب — على أرجح الآراء — إلى العراق . وتعد هذه الهجرة أقدم الهجرات السامية ، وعندما دخلت هذه الجماعات السامية أرض العراق التقت بشعب متحضر قديم وتعلمت منه الكثير . كان العراق قبل هجرة الساميين اليه مركز حضارة السومريين ، والسومريون شعب لاعلاقة له بالساميين ولغته تختلف اختلافا بعيدا عن اللغات السامية بل وعن اللغات الافرو أسيوية بأسرها .

تعلم الساميون الوافدون من السومريين نظام الكتابة ، وكان السومريون يدونون لغتهم برموز تشبه المسامير وتسمى هذه الكتابة باسم الكتابة المسمارية . وتعتمد هذه الرموز المسمارية — بصفة عامة — على تدوين كل كلمة بعد تقسيمها إلى مقاطع . ولذا فهى كتابة مقطعية من ناحية الاساس العلمى ومسمارية من ناحية الشكل . وهذا الخط المنتقد له من ناحية التعبير عن الواقع المنطوق ميزة واحدة هو أنه يدون الحركات ضمن المقطع ، فالمقطع الواحد يتكون من صامت وحركة على أقل تقدير . فلو كتبت كلمة كلب بالاكادية فان المقطع الأخير يضم الباء والضمة ويدون برمز مسمارى مخالف للرمز الدال على الباء والفتحة ويختلف عن الرمز المسمارى الذى يدل على الباء والكسرة . وهكذا تتعدد الرموز وتكثر مما يجعل الكتابة صعبة التعلم . ولكن هذا الخط مفيد للباحث فى التحليل اللغوى .

احتفظت اللغة الاكادية بعدد من الخصائص المغرقة فى القدم منها ظاهرة الاعراب على نحو ما نعرف فى اعراب الاسماء فى اللغة العربية فهناك نهاية اعرابية للرفع وأخرى للنصب وثالثة للجر . وعلى عكس هذا الجانب المحافظ هناك تغيرات حدثت فى اللغة الاكادية جعلتها تختلف عن باقى اللغات السامية . وأوضح هذه السمات فى

لا كادية عدم التمييز بين أصوات الحلق ، فاختفت أصوات العين والحاء والهاء من الا كادية . وقد فسر بعض الباحثين اختفاء هذه الأصوات بأنه نتيجة تأثير اللغة السومرية فلم تكن السومرية تعرف هذه الأصوات .

لقد دخلت اللغة الا كادية أرض النهرين فى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد تقريبا . وساد المنطقة حوالى ستة قرون ازدواج لغوى بين الا كادية والسومرية وهناك نقوش بكلتا اللغتين من هذه الفترة . ويقسم العلماء النقوش الا كادية المدونة بعد ذلك إلى عدة مستويات لغوية بابلية واشورية . وعندما سقطت آخر الدول الاشورية فى القرن السابع قبل الميلاد كانت اللغة الآرامية تنافس الا كادية فى العراق فقل استخدامها بصورة مطردة فى القرون التالية .

٣ – الفرع الكنعانى

(ا) اللغة الاجريتية :

اللغة الاجريتية هى اللغة السامية الثانية من ناحية تاريخ تدوين أقدم النقوش فقد دونت نقوشها حوالى سنة ١٤٠٠ ق . م . وقد اكتشفت هذه النقوش الاجريتية سنة ١٩٢٩ فى اطلال مدينة قديمة جاء اسمها « أجريت » فى النقوش ، وتوجد بالقرب من رأس شمرا على ساحل الشام . وتمثل اللغة الاجريتية أقدم لغة سامية عرفتها منطقة الشام . فالاجريتية مثلا تميز بين أصوات تداخلت بعد ذلك فى العبرية . فاذا كانت العربية تميز بين الحاء والخاء على نحو ما كان فى اللغة السامية الام فان الاجريتية أيضا تميز بينهما . وقد تحولت الخاء السامية إلى حاء فى العبرية فالتقت فى العبرية الحاء والخاء الساميتان القديمتان فى صوت واحد هو الحاء . وقد دونت الأجريتية بخط أبجدى ، ويعد هذا الخط مرحلة متطورة نقلت نظام الكتابة إلى مستوى بسيط ودقيق إلى حد بعيد . فقد طور الاجريتيون نظام الكتابة إلى أبجدية . وتقوم الكتابة الابجدية على أساس أن يعبر الرمز الواحد أى الحرف

الواحد عن صوت واحد من أصوات اللغة وبهذا يحتاج تدوين اللغة إلى عدد محدود من الرموز ، وبذلك تم عند الاجريتيين تبسيط نظام الكتابة وعنهم أخذت باقى الشعوب فكرة الكتابة الابجدية . أما من ناحية الشكل فقد دون الاجريتيون حروف ابجديتهم برموز تشبه المسامير ولذا تعد الكتابة الاجريتية كتابة مسمارية أبجدية .

(ب) اللغة الفينيقية :

اللغة الفينيقية هى لغة النقوش التى وصلت الينا من ساحل الشام ومن جنوب أوربا وشمال أفريقيا وجزر البحر المتوسط . وهذه النقوش مدونة بخط أبجدى متطور عن الخط الاجريتى . وهو خط أبجدى لكل صوت رمز يكتب به ولكنه يختلف عن الخط الاجريتى من ناحية الشكل ، فالخط الاجريتى مسمارى والخط الفينيقى تتخذ الحروف فيه اشكالا هندسية مختلفة ويشبه إلى حد ما الخط العبرى . وتؤرخ النقوش الفينيقية بالفترة بين سنة ١٢٠٠ ق . م إلى سنة ١٠٠ ميلادية فى منطقة ساحل الشام . وهناك نقوش دونت بعد هذا التاريخ فى شمال أفريقيا ويطلق على النقوش الفينيقية فى شمال أفريقيا اسم النقوش البونية .

(ﺟ) اللغة العبرية :

اللغة العبرية هى إحدى اللهجات الكنعانية ، تعلمتها مجموعة من الآسيويين عندما هاجروا إلى أرض فلسطين فاكتسبوا لهجة كنعانية سائدة فى فلسطين فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد . وقد ظلت العبرية لغة الحياة اليومية فى هذه المنطقة حوالى ستة قرون ، إلى أن حلت محلها لهجات آرامية فى نفس المنطقة . وقد ارتبطت اللغة العبرية بالدين اليهودى حتى بعد أن انتهت من الاستخدام فى الحياة اليومية . وقد دونت أسفار العهد القديم على مدى عدة قرون ، حتى بعد القرن السادس قبل الميلاد ، فبعض الأسفار دون بعد هذا التاريخ باللغة العبرية فضلا عن سفرين دونا

بالآرامية . وتقسم المراحل التى مرت بها اللغة العبرية — اعتمادا على النصوص التى وصلت إلينا — على النحو التالى :

(١) العبرية القديمة :

هى لغة أسفار الكتاب المقدس عند اليهود المكون من أسفار موسى الخمسة أى التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات أى الأسفار الأدبية . ويرمز اليهود إلى هذا الكتاب المقدس بالأحرف الأولى الدالة على أقسامه الثلاث ولذا فيسمى عندهم : ت ن خ . أما عند المسيحيين فيطلق على هذا الكتاب اسم العهد القديم تمييزا له عن العهد الجديد أى الأناجيل . ويكاد يكون العهد القديم المصدر الوحيد للتعرف على العبرية القديمة ، فهناك نقوش قليلة وصلت إلينا بالعبرية القديمة .

٢ - عبرية المشنا :

المشنا هو الكتاب المقدس الثانى عند اليهود وقد دون بعد أن اكتمل تدوين العهد القديم . وقد ألف كتاب المشنا بين أواخر القرن الأول الميلادى ومنتصف القرن الثالث للميلاد بلغة عبرية لم تكن لغة الحياة آنذاك ، فقد كان مؤلفو المشنا يتعاملون بالآرامية فى أمور الحياة ويرتلون الكتاب المقدس بالعبرية ، وكانت العبرية لغة الدين وبها ألفوا المشنا .

٣ — العبرية الوسيطة :

العبرية الوسيطة هى لغة الكتب الدينية وغير الدينية التى ألفت فى العصور الوسطى ، وهناك خلاف بعيد حول تحديد نقطة البداية ونقطة النهاية بالنسبة لهذه المرحلة من تاريخ اللغة العبرية . لقد ازدهرت اللغة العبرية فى إطار الحضارة الاسلامية فى الأندلس فكتبت بها نصوص أدبية فيها محاكاة للادب العربى مثل المقامات وترجمت إلى العبرية كتب عربية كثيرة وكتبت بها بعض المؤلفات الدينية والفلسفية .

٤ — العبرية الحديثة :

العبرية الحديثة هى اللغة الرسمية فى إسرائيل . والعبرية الحديثة هى محاولة لاحياء اللغة العبرية بعناصرها الموروثة مع تطويرها فى إطار الحياة الأوربية لتعبر عن الحضارة الحديثة . ولذا فهناك اختلافات فى بنيه اللغة العبرية الحديثة تعكس تغيرا طرأ على هذه اللغة عبر مراحلها المختلفة ، وهناك مصطلحات كثيرة دخلت إليها من اللغات الأوربية المختلفة . ويعكس نطق اللغة العبرية الحديثة العادات الصوتيه عند أبناء اللغات الأوربية ، ويتضح هذا بصفة خاصة فى عدم نطق أصوات الاطباق وأصوات الحلق بالطريقة المتعارف عليها عند العرب وفى اللغات السامية القديمة .

٤ — الفرع الآرامى :

وصلت إلينا الآرامية فى عدد من المستويات اللغوية منذ القرن العاشر قبل الميلاد إلى اليوم ، ولذا فاللغة الآرامية معروفة على مدى القرون الثلاثين الماضية . وليس هناك لغة آرامية موحدة ، بل تنوعت المستويات اللغوية الآرامية فى كل فترة زمنية تنوعا بعيداً ، وتغيرت خصائص هذه اللهجات بمضى الوقت .

(ا) ارامية الدولة :

وصلت الآرامية إلى مكانة رفيعة فى القرون السابع والسادس والخامس قبل الميلاد عندما أعلنت لغة رسمية للإمبراطورية الايرانية فى عصر الأخمينيين ، ولذا يطلق عليها فى هذه الفترة مصطلح « آرامية الدولة » . وهناك نقوش من هذه الفترة وجدت فى منطقة واسعة من العالم القديم أقصاها شرقا فى منطقة تقع الآن فى الباكستان وأقصاها غربا فى أسوان بمصر . وقد كانت الآرامية فى كل هذه المنطقة لغة التعامل الدولى التى يتوسل بها أبناء اللغات المحلية المختلفة فى تعاملهم مع بعضهم البعض . وقد دونت الآرامية فى كل هذه النقوش بخط إبجدى بسيط كان من أسباب الإقبال على إستخدامها .

(ب) السريانية :

السريانية أهم اللهجات الآرامية من الناحية الحضارية ارتبط تاريخها بالمسيحية ولذا يرغب المسيحيون عن تسميتها بالآرامية باعتبار الارامية لغة وثنية. وكانت السريانية لهجة منطقة محدودة فى الشام وانتشرت مع ظهور المسيحية شيئاً فشيئاً إلى أن أصبحت لغة منطقة كبيرة فى الشام والعراق ولغة ثقافية معروفة. وترجع أهمية اللغة السريانية فى المقام الأول إلى أنها كانت وسيلة نقل التراث اليونانى إلى اللغة العربية. ففى القرون السابقة على الاسلام كان المثقفون المسيحيون السريان يتعلمون اللغة اليونانية ويقرأون تراث اليونان، وعندما دخلت منطقة الشام والعراق بعد الفتح الاسلامى فى اطار الحضارة الاسلامية الناشئة أسهم المسيحيون السريان فى تكوين الحضارة العربية الاسلامية بترجمة ما عندهم من معارف يونانية إلى اللغة العربية. ومن أشهر المترجمين السريان حنين بن اسحق وتلاميذه.

جـ - اللهجات الارامية الآخرى :

هناك عدد كبير من اللهجات الارامية الحديثه. يضم التلمود وهو احد الكتب المقدسة عند اليهود متناً وشرحاً، المتن بالعبرية ويسمى المشنا، أما الشرح فيسمى الجمارا. وهذا الشرح المدون فى العراق باللهجة الارامية البابلية يكون مع المشنا التلمود البابلى. أما الشرح المدون باللهجة الارامية الفلسطينية فيكون مع نفس نص المشنا ما يسمى باسم التلمود الفلسطيني. وهناك لهجات آرامية كثيرة ترجمت إليها أسفار التوراة، وتعرف هذه الترجمات باسم الترجوميم. وفى العهد القديم سفران مدونان بالارامية هما سفر دانيال وسفر عزار. وعند ما كانت اللغة العربية لا تكتب عند أهلها كان النبط وهم شعب عربى عاش فى شمال الحجاز وجنوب الأردن يدون نقوشه بلهجة آرامية. وهناك لهجة آرامية توجد إلى اليوم فى جنوب العراق عند الصابئة، وهم المندعيون الذين احتفظوا بدينهم وبلهجتهم الارامية وبكتابهم المقدس إلى اليوم.

وتوجد اليوم عشرات القرى الارامية فى شمال العراق وإيران وهناك قريتان آراميتان فى سوريا . وهذه القرى الارامية تقع فى مناطق جبلية حافظت على ارتباطها بالمسيحية . ويقدر عدد الناطقين بالارامية فى هذه المناطق بربع المليون .

٥ ـ الفرع الجنوبى

يضم الفرع الجنوبى من اللغات السامية العربية (الشمالية) العربية الجنوبية ، واللغات السامية فى الحبشه .

(أ) العربية الجنوبية :

العربية الجنوبية من مجموعة المستويات ، واللغوية التى وصلت إلينا فى النقوش التى يسميها الباحثون باسم النقوش المعينية والسبئية والحميريه. وتؤرخ هذه النقوش بالفترة من القرن السادس الميلادى تقريبا ، وقد وجدت هذه النقوش فى النصف الجنوبى من جزيرة العرب وعلى طرق التجارة التى كان الجنوبيون يقفون فى محطاتها الموجودة حتى أقصى الشمال . وهذه النقوش مدونة بخط ابجدى بسيط يختلف من ناحية اشكال الحروف عن الخط العربى الشمالى ، ويسمى الخط العربى باسم الخط المسند . وبعد انهيار سد مارب هاجرت قبائل جنوبية إلى الشمال فأخذت تتعرب شيئا فشيئا بلغة الشمال ، وأخذت العربية الشمالية قبيل الاسلام تنتشر فى جنوب الجزيرة العربية ، وزاد معدل التعريب بشكل واضح بعد دخول اليمن فى الاسلام . ولم تبق من العربية الجنوبية إلى اليوم إلا مجموعة من اللغات فى مناطق منعزلة نسبيا أهمها المهرية فى المحافظة السادسة من اليمن الشعبية على حدود عمان ، ويقدر عدد أبناء المهرية بحوالى ربع مليون ، وتوجد لغة جنوبية حديثة فى جزيرة سوقطرة فى بحر العرب . وتسمى باسم اللغة السوقطرية .

ب ـ اللغات السامية فى الحبشه :

نشأت اللغات السامية فى الحبشة نتيجة لهجرة عربية جنوبية من جزيرة العرب

إلى شرق أفريقيا ، ولذا هناك تشابه بين أقدم ما وصل الينا مدونا فى الحبشة وبين ما نعرفه فى النقوش العربية الجنوبية القديمة .

ولغة الجعز أقدم لغة سامية عرفتها الحبشة ، وهى لغة ذات ارتباط مسيحى واضح ، وتشبه من هذا الجانب اللغة السريانية وكذلك اللغة القبطية . وقد ترجمت إلى لغة الجعز فى القرن الرابع الميلادى مجموعة الاسفار المكونة للعهد المقدس لدى المسيحيين ، وقد ظلت لغة الجعز ذات ارتباط كنسى واضح فاكثر ماكتب بها وماترجم إليها نصوص دينية . اعتمدت هذه النصوص على أصول سريانية أو يونانية قبل تعريب مصر ثم على نصوص عربية بعد تعريب كتب الكنيسة القبطية فى مصر . فالاحباش مسيحيون يتبعون الكنيسة القبطية . ولا تزال لغة الجعز لغةالطقوس الدينية فى الحبشة .

وهناك لغات سامية حديثة فى الحبشة، فلغةالجعز ماتت منذ قرون ،ولم يعد لها استخدام فى الحياة اليومية وأكثراللغات السامية استخداما فى الحبشة اليوم هى اللغة الامهرية وهى اللغة الرسمية فى الدولة وبها مؤلفات حديثة وتصدر بها الصحف وتستخدم فى التعليم العام، أمااللغتان التجرينية والتجرية فهما أكثر اللغات انتشارا فى اريتريا .

وتدون اللغات السامية المختلفة الموجودة إلى اليوم فى الحبشة بخط معقد يقوم على نظام المقاطع ، فالحرف الواحد يرمز إلى صوت صامت مع حركة ، والحركات كثيرة فى اللغات السامية فى الحبشة ، ولذا يصل عدد الرموز المستخدمة فى تدوين تلك اللغات إلى حوالى ١٨٠ رمزا . واخيرا فلا بد من الاشارة إلى أن دولةالحبشة تضم جماعات كثيرة العدد لها لغات مختلفة لا تنتمى إلى اللغات السامية وليس ثمة احصائيات لغوية دقيقة توضح لنا نسبة شيوع اللغات المختلفة فى الحبشة .

ثانيا : الافرع اللغوية الاخرى

تضم الاسرة الافرو آسيوية إلى جانب الفرع السامى أربعة أفرع لغوية أخرى ، هى : الفرع المصرى القديم والفرع البربرى والفرع الكوشى والفرع التشادى .

(١) اللغات المصرية القديمة :

اللغة المصرية القديمة من أقدم اللغات الحضارية فى العالم . يرجع أقدم نقوشها إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد تقريبا ، وهى بهذا موازية من ناحية الزمن للغتين السومرية والاكادية . وهناك أوجه شبه كثيرة بين اللغة المصرية القديمة وبين اللغات السامية ،منها مثلا استخدام التاء للدلالة على التانيث والكاف للمخاطب والنون للجمع والياء للنسب . وتصنف اللغة المصرية القديمة واللغات السامية الأسماء من ناحية العدد إلى مفرد و مثنى وجمع ، ومن ناحية الجنس النحوى إلى مذكر ومؤنث

وقد دونت اللغة المصرية القديمة عدة قرون فتغيرت خصائصها اللغوية ، ولذا يمكن تقسيم مراحل تطورها إلى عدة مراحل (مصرى قديم ، مصرى متوسط ، متأخر . . . .) وتعد اللغة القبطية آخر مرحلة من مراحل تاريخ اللغة المصرية القديمة . وقد كتبت اللغه المصرية القديمة بعدة خطوط أقدمها الكتابة الهيروغليفية وتقوم أساسا على تدوين الكلمة بشكل دال على معناها مع الرمز إلى العناصر الصرفية برموز اضافية محددة تشير إلى النطق . وقد بسطت الكتابة فى مراحل تالية واتخذت اشكالا مختصرة ومن أهم هذه النظم المبسطة الخط الهيراطيقى والخط الديموطيقى .

أما اللغة القبطية فقد دونت بخط ابجدى يقوم على الابجدية اليونانية مضافا إليها سبعة أحرف لا توجد فى اليونانية . وقد ارتبطت اللغة القبطية بالمسيحية فى مصر

وكانت تمثل ازدواجا لغويا مع اللغة اليونانية ولذا دخلت القبطية ألفاظ يونانية كثيرة . ومن هذا الجانب تشبه اللغة القبطية اللغتين السريانية والجعزية .

(٢) اللغات البربرية :

هناك نقوش قديمة يزيد عددها عن ألف نقش وجدت فى مناطق مختلفة من شمال أفريقيا وتسمى عند الباحثين باسم النقوش الليبية أو النوميدية . وبعض هذه النقوش مكتوب بلغتين أحداهما هى الليبية والأخرى هى اللاتينية أو اليونانية مما جعل فك الرموز الليبية التى دونت بها هذه النقوش أمرا سهلا . وهناك بضع نقوش ليبية بحروف لاتينية ويونانية . ولم يستطع الباحثون تاريخ أكثر هذه النقوش على نحو دقيق ، وبعضها يرجع إلى سنة ١٣٩ ق . م .

وقد ثبت من الخصائص اللغوية لهذه النقوش قرابتها مع اللغات السامية ، فعد بعض الباحثين اللغة الليبية لغة سامية انفصلت عن باقى المجموعة فى وقت مبكر ويصنفها باحثون معاصرون باعتبارها فرعا داخل الأسرة الافروآسيوية .

تشترك النقوش الليبية القديمة مع اللهجات البربرية التى وصلت الينا نصوص قليلة منها بالخط العربى وبخط بربرى محلى فى خصائص مشتركة ، وتعد المستويات اللغوية البربرية الحديثة امتدادا الليبية القديمة . تقوم بنية الكلمة فى البربرية على الصوامت والاوزان على النحو المعروف فى اللغات السامية . وهناك عدد من الوحدات الصرفية فى البربرية تؤدى نفس الوظائف فى اللغات السامية ، وذلك مثل التاء للتانيث والنون الجمع . وتعرف البربرية أيضا التمييز بين الضمائر المنفصلة والضمائر المتصلة . أما أداة التعريف فهى فى البربرية أل ولكن يبدو أنها مستعارة من العربيه لان اللغات السامية لا تشترك فى أداة التعريف وقد طورت كل لغة لنفسها أداة تعريف خاصة بها . وتوجد اللهجات البربرية فى منطقة شمال أفريقيا التى سادتها اللغة العربية بعد الفتح الاسلامى ، خصوصا بعد منتصف القرن الخامس

الهجرى كلفة ثقافية ، فقد أدت هجرة بنى هلال فى منتصف القرن الخامس الهجرى إلى تعريب مناطق بربرية كبيرة ، وكان الفتح الاسلامى قد عرب عرب منطقة صغيرة على الساحل التونسى . وتوجد اليوم جماعات بربرية قليلة العدد فى ليبيا وتونس ، ولكن أكثر البربر يعيشون فى الجزائر والمغرب وموريتانيا والصحراء ويقدر عددهم بحوالى خمسة ملايين وهناك جماعات بربرية فى دول أفريقية جنوب دول المغرب .

(٣) اللغات الكوشية :

اللغات الكوشية فرع من الأسرة الافرو آسيوية يضم عشرات اللغات تبدأ فى جنوب مصر وتمتد على الساحل الشرقى الافريقى حتى الصومال ، وأهم اللغات التى يضمها هذا الفرع اللغة الصومالية التى تستوعب الحياة اليومية فى الصومال وفى المناطق المتاخمة فى إثيوبيا وكينيا . وكانت دراسة البنية اللغوية لهذه اللغات وراء الفرض القائل بأن اللغات السامية تكون مع اللغات الحامية أسرة واحدة ويتحفظ أكثر الباحثين تجاه مصطلح الحاميين لغموضه ، ويفضلون اعترافا بالقرابة بين هذه اللغات والفروع اللغوية الأخرى جعلها فى اطار ما يعرف باسم الاسرة الافرو آسيوية .

(٤) اللغات التشادية :

تضم اللغات التشادية حوالى ثمانين لغة ، أكثرها أهمية وانتشارا لغة الهوسا وتعد لغة الهوسا أكثر اللغات انتشارا فى افريقيا جنوب الصحراء ، وهى اللغة السائدة فى نيجيريا الشمالية وفى المنطقة المجاورة من جمهورية النيجر . ويقدر عدد أبناء الهوسا بما لايقل عن خمسة عشر مليونا ،ويتعامل بها من غير أبنائها عدد لايقل

عن عشرة ملايين . وهناك جماعات تتعامل بلغة الهوسا فى مواقع مختلفة فى مدن أفريقيا الغربية وأفريقيا الاستوائية . وأكثر المتحدثين بلغة الهوسا من المسلمين ، وقد ارتبطت لغة الهوسا بالثقافة العربية الاسلامية عدة قرون فكتبت بالخط العربى ودخلتها الفاظ عربية كثيرة . وقد عدل نظام الكتابة فى عهد الاستعمار الأوربى وأخذت المدارس الحكومية فى تعليم لغة الهوسا مدونة بالخط اللاتينى .
وتشترك اللغات التشادية مع باقى اللغات الافرو آسيوية فى عدد من الخصائص البنيوية المشتركة ، من أهمها التمييز بين المذكر والمؤنث واستخدام التاء للتأنيث والنون للربط مع الضمير والميم سابقة تكون الصيغ الدالة على اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل مما يشير إلى أن كل هذه اللغات تكون أسرة لغوية واحدة .

الفصل الثامن

اللغات الهندية الأوربية

أثبتت بحوث القرن التاسع عشر أن عددا كبيرا من اللغات القديمة البائدة والوسيطة والحديثة في رقعة جغرافية شاسعة تمتد من الهند إلى أوربا تكون أسرة لغوية واحدة . وقد أطلق اللغويون الألمان على هذه الأسرة اسم اللغات الهندية الجرمانية Indogermanische Sprachen بينما تسمى هذه الأسرة عند غيرهم من الباحثين باسم اللغات الهندية الأوربية Indo-European Languages وقد أخذنا بالتسمية الأخيرة باعتبار أنها تقوم على أساس جغرافي واضح وتشير إلى المنطقة الممتدة من الهند إلى أوربا . وليس معنى هذا أن أسرة اللغات الهندية الأوربية تضم كل اللغات في هذه المنطقة الكبيرة من العالم ، فهناك لغات كثيرة قديمة وحديثة توجد في هذه المنطقة ولا تنتمي إلى الأسرة الهندية الأوربية . فاللغتان العيلامية والسومرية ليستا من اللغات الهندية الأوربية . كانت العيلامية في غرب إيران وكانت السومرية في العراق القديم . وكلتا اللغتين العيلامية والسومرية من اللغات البائدة منذ عصور سحيقة . ولكننا نجد اليوم عدة لغات حية في الهند وأوربا ولا تدخل في أسرة اللغات الهندية الأوربية . ففي جنوب الهند نجـــد مجموعة لغات متقاربة البنية تكون أسرة مستقلة هي أسرة اللغات الدراڤيدية ، وهي أسرة مستقلة لا علاقة لها باللغات الهندية ــ الأوربية . وإذا ما توجهنا من الهند إلى أوربا نلتقي بلغات كثيرة أخرى تصنف في أسرات لغوية كثيرة ، فهناك لغات القوقاز ، ولغات الترك والمجموعة الفنلندية المجرية ، ولغة الباسك وكلها لغات لا علاقة لها بالأسرة الهندية الأوربية . ولذا يقوم

يصنف اللغويين اللغات الهندية الأوربية على الخصائص اللغوية لا على المنطقة الجغرافية .

ترجع اللغات الهندية الأوربية المختلفة إلى أصل واحد لم يصل إلينا على نحو مباشر . ولكن العلماء اتفقوا على تسمية اللغة التى خرجت عنها كل هذه اللغات باسم اللغـــة الهندية الأوربية الأولى . وكانت توجد قبل عام ٢٠٠٠ ق . م . فى مهد اللغات الهندية الأوربية . وعندما هاجرت الجماعات البشرية من هذه المنطقة فى فترات تاريخية متلاحقة أخذت اللغات المختلفة تتكون وتنفصل عن بعضها البعض وتختلف بالتالى عن اللغة الأقدم ، أى أن الباحثين يربطون الهجرات ونشأة اللغات المختلفة . وإذا كان ثمة اختلاف حول مهد اللغة الهندية الأوربية الأولى قبل خروج الهجرات فان كثيرا من الباحثين يميلون إلى افتراض انها كانت فى المنطقة التى توجد فيها الآن جمهورية روسيا إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، ومن هـذه المنطقة خرجت موجات الهجرات جنوبا إلى إيران والهند وفى اتجاه الغرب إلى قلب القارة الأوربية ثم فى إتجاه الجنوب إلى البلقان .

أولا — اللغات المفردة

المقصود باللغات المفردة فى إطار الأسرة الهندية الأوربية تلك اللغات التى يكون كل منها فرعا مستقلا بذاته . اللغة الحيثية أقدم اللغات المفردة فى الأسرة الهندية الأوربية . وقد وجدت النقوش الحيثية فى آسيا الصغرى مكتوبة تارة بالخط المسمارى وتارة بالخط الصورى . لقد تعلم الحيثيون الكتابة المسمارية عن السومريين . والسومريون أصحاب أقدم خط فى العالم ، وكان الحيثيون أول من كتب من أبناء اللغات الهندية الأوربية ، ويبدو أن اللغة الحيثية قد عاشت فى آسيا الصغرى منذ هجرة الحيثيين إلى هذه المنطقة سنة ٢٠٠٠ ق م حتى القرن

الثالث عشر قبل الميلاد ، إلى أن تم اكتشاف عدد كبير من النقوش الحيثية (١٩٠٥) .

واللغة اليونانية أقدم اللغات الهندية الأوروبية الحية منذ ثلاثة آلاف عام . لقد تعلم اليونان الكتابة من الفينيقيين فى القرن التاسع قبل الميلاد ، فكتبوا بخط أبجدى يعبر عن النطق تعبيرا مباشرا . كانت اليونانية قد عرفت لهجات كثيرة فى الفترة التالية لهجرة أبنائها الأوائل من مهد اللغة الهندية الأوروبية الأولى إلى جنوب أوربا ، ولكن اليونانية الكلاسيكية تطورت على أساس لهجة أثينا التى كتب لها السيادة والازدهار بعد انتصار اليونان على الفرس . وترجع أهمية اللغة اليونانية القديمة إلى أنها اللغة التى دونت بها الآثار الأدبية والخطب السياسية والقضائية كما كتبت بها الدراسات الفلسفية . وفى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد كانت اللغة اليونانية القديمة قد أصبحت لغة مشتركة ذات مستوى حضارى راق .

ويطلق على اللغة اليونانية فى عصر الحضارة الهيلينستية مصطلح Koiné أى اللغة المشتركة . وكانت هذه اللغة بعد فتح الاسكندر لمناطق شاسعة من الشرق لغة تعامل بين شعوب كثيرة فى العالم القديم ، ثم كانت اللغة الرسمية فى شرقى الدولة الرومانية . وقد استخدمت هذه اللغة فى أقدم ترجمة للعهد الجديد ، كان سكان الشام فى عهد المسيح يستخدمون الآرامية فى حياتهم اليومية ، وكانت اللغة اليونانية لغة الحضارة والتعامل بين الطبقات المتميزة اجتماعيا وثقافيا فى الشام والعراق ومصر ، وتكونت — أيضا — عدة جزر حضارية يونانية فى مناطق متباعدة حتى حدود الهند . وقد انكمش مجال استخدام اللغة اليونانية المشتركة بعد الفتح الاسلامى من جانب ومع دخول السلاف إلى البلقان فى القرن السابع الميلادى .

أما اللغة اليونانية الحديثه فقد بدأت تتخذ طابعها الحالى فى القرن السابع عشر ، وتدعمت فى القرن التاسع عشر لتكون لغة دولة اليونان والقسم الاكبر من قبرص

لقد كانت اللغة اليونانية فى مرحلتها القديمة وأثناء استخدامها كلغة تعامل حضارى قد حققت لنفسها مكانة دولية وهى اليوم من اللغات الوطنية المحلية .

وتكون اللغة الارمينية أيضا فرعا مستقلا من أفرع الأسرة الهندية الاوربية. لقد دونت فى القرن الخامس الميلادى، ومر تاريخها المدون بمراحل متتابعة، وقد خضعت المنطقة اللغوية الارمينية لدول كبرى مختلفة على مر التاريخ ، فتأثرت بلغات الفرس والرومان والبيزنطيين والعثمانيين ، وأدى هذا إلى تأثر بنية اللغة الارمينية ومعجمها بهذه اللغات الكثيرة التى احتكت بها ، وهى اليوم لغة حوالى أربعة ملايين نسمة ، ويعيش حوالى نصف أبناء اللغة الارمينية فى جمهورية أرمينيا السوفيتية ويعيش الباقون كأقليات لغوية فى مصر ولبنان وسوريا وفرنسا وأمريكا وهم يتعاملون فى هذه الدول بلغاتها ، بالاضافة إلى احتفاظهم باللغة الارمينية واهتمامهم بتعليمها لابنائهم .

واللغة الألبانية آخر لغة أوربية انتظم تدوينها إلى الان ، فقد دونت بعض بعض النصوص باللغة الالبانية فى القرن الخامس عشر الميلادى ثم كتبت بعدة خطوط ، كتبها البعض بالخط اللاتينى وكتبها آخرون بالخط اليونانى، وكتبها المسلمون بالخط العربى . ولم يهتم أبناء اللغة الالبانية بالتأليف فى لغتهم لأنهم كانوا على مر التاريخ مجموعة لغوية صغيرة فى اطار دولة كبرى تتعامل بلغة غير اللغة الالبانية . وفى القرن التاسع عشر بدأت محاولات اصطلاح الخط وتطويره ليكون معبرا عن اللغة الالبانية ، ولم تسفر محاولات الاصلاح ويكتب لها النجاح إلا فى أواخر الحرب العالمية الأولى . واللغة الألبانية لغة حوالى ثلاثة ملايين فى ألبانيا وبعض مناطق يوغسلافيا ، وهناك أقليات البانية صغيرة تعيش فى مناطق مختلفة من جنوب شرق أوربا .

ثانيا : الفرع الهندى :

تضم شبه القارة الهندية عددا كبيرا من اللغات ، ففى جنوب الهند توجد مجموعة لغات تكون أسرة لغوية مستقلة هى الاسرة الدراڤيدية . ولكن المقصود بالفرع الهندى هنا تلك اللغات التى تدخل فى اطار الاسرة الهندية الاوربية . وليس ثمة علاقة بنيوية بين الاسرة الدراڤيدية والاسرة الهندية الاوربية ، فكلتاهما أسرة مستقلة . يبدأ الفرع الهندى تاريخه القديم حوالى سنة ١٧٠٠ ق م فهو بذلك من أقدم الافرع اللغوية للاسرة الهندية الأوربية . وهناك نصوص قديمة نعرفها فى مستويين لغويين ، الڤيدية والسنسكريتية.وقد دونت بالڤيدية والسنسكريتية الأناشيد الدينية الهندية وكتب المعرفة الهندية القديمة .كانت السنسكريتية أقدم لغة من لغات العالم تناولها البحث النحوى ،فاللغوى الهندى بانينى وضع قواعد السنسكريتية حوالى سنة ٤٠٠ق.م ،ولاتزال اللغة السنسكريتية معروفة ـ بطريقة ما ـ عند بعض العلماء الهنود الذين توارثوا المعرفة بها عبر الاجيال ، ولايزال بعض هؤلاء يؤلف باللغة السنسكريتية حتى اليوم .

ومن أهم لغات الفرع الهندى فى العصور الوسطى لغة بالى Pali ، وهى لغة بوذا والبوذية ، وقد دونت اللغة الباليه بخطوط كثيرة فهناك كتب باللغة البالية مدونة بالخط الكمبودى وكتب أخرى مدونة بالخط السيامى ومجموعة ثالثة مدونة بالخط البرمانى ومجموعة رابعة مدونة بالخط السنهاليزى ، ولكن الباحثين الاوربيين يكتبونها بالخط اللاتينى .

وتوجد فى شبه القارة الهندية لغات كثيرة معاصرة . يدخل أكثرها فى إطار الاسرة الهندية الاوربية ، وأهم هذه اللغات الاردية والهندية ،والبنغالية و، البنجابية، والمراثية ،والراجستانية ،والبهارية . والواقع أن الاردية والهندية لغة واحدة آخذة فى الانقسام . يطلق عليها عند المسلمين لغة الاردو ، أى لغة الجيش ، وتسمى عند

الهندوس الهندوستانى . يكتب المسلمون الاردية بالخط العربى ، مما يتيح الافادة من ألفاظ فارسية وعربية كثيرة ، فاللغة الاردية احدى اللغات الاسلامية ، وشأن لغات الامم الاسلامية على مر التاريخ أن تقبل ألفاظاً عربية كثيرة . أما الهندوس فيكتبون اللغة الهندوستانية بالخط الديفانجارى القديم ، ويحاولون التخلص بقدر الامكان من الالفاظ العربية والفارسية واحياء ألفاظ سنسكريتية قديمة أو نحت ألفاظ جديدة بدلا عن الالفاظ العربية والفارسية الدخيلة فى الهندوستانية. وبسبب التنوع اللغوى فى الهند مشكلة كبيرة فى التعامل بين أبناء اللغات المختلفة ، ولم تستطع اللغة المسماة باسم الهندى أن تفرض نفسها كما ينص الدستور الاتحادى الهندى لغة رسمية فى الهند .

أما اللغة البنغالية التى تنتمى أيضا إلى لغات الفرع الهندى ، فتتجاوز أهميتها دولة بنجلاديش إلى داخل الهند ، فهناك ملايين من أبناء اللغة البنغالية داخل الهند .

أما فى الباكستان فالاردية احدى لغات المنطقة الغربية ، وإلى جانب اللغة الأردية توجد فى الباكستان أربع لغات تستوعب مجالات الحياة اليومية ، وهى اللغات السندية فى اقليم السند (كراتشى) والبنجابية فى اقليم البنجاب (لاهور) والباشتو فى اقليم سرحد (بشاور) والبلوشية فى اقليم بلوشستان (كوتا) . واللغتان السندية والبنجابية من الفرع الهندى من اللغات الهندية الاوربية ، أما اللغتان البلوشية والباشتو فهما من الفرع الايرانى للاسرة الهندية الاوربية .

ثالثا : الفرع الايرانى :

تعد اللغات الايرانية فرعا من أفرع الاسرة اللغوية الهندية الاوربية ، وترتبط بوشائج القرابة المباشرة مع لغات الفرع الهندى من اللغات الهندية الاوربية ، فالتاريخ اللغوى للفرعين الايرانى والهندى يعود إلى أصل واحد مشترك ، يطلق

عليه أحيانا اللغة الآرية الاولى . وأقدم ما وصل الينا بهذه اللغة المشتركة التى صدرت عنها اللغات الايرانية واللغات الهندية مجموعة أسماء جاءت فى نقوش ترجع إلى سنة ١٧٠٠ ق م. تقريبا ، ومعنى هذا أن هذه الاسماء يمكن أن تعد هندية بقدر ماهى ايرانية ، أو بالأحرى هى من تلك اللغة الايرانية الهندية الأولى.

وقد اتخذت القبائل والشعوب الايرانية تاريخها المستقل عن الشعوب الهندية عندما انفصلت هذه الجماعات عن تلك ، وبذلك بدأ التاريخ اللغوى للفرع الايرانى. ويمكن تحديد تاريخ هذا الانفصال بحوالى سنة ١٥٠٠ ق م تقريبا ، وهنا يبدأ الفرع الايرانى تاريخه ، وقد صنف الباحثون تلك اللغات الكثيرة التى يضمها الفرع الايرانى تصنيفا زمنيا إلى اللغات الايرانية القديمة واللغات الايرانية الوسيطة واللغات الايرانية الحديثة ، وبداخل كل مجموعة نجد مجموعة من اللغات واللهجات .

١ — الايرانية القديمة :

لقد عرفت الامبراطورية الايرانية فى عهد الاخمينيين (٥٥٩ — ٣٣٣ ق.م.) عدة لغات ، فقد امتد اقليم الدولة فأصبح يضم كل انحاء ايران وأرض النهرين والشام ومصر وقسما من الحبشة . وكانت اللغة الفارسية القديمة لغة الملك ولغة البلاط ولغة الحكام . وإلى جانب هذه اللغة كانت الاكادية لغة التعامل الدولى فى الشرق كله ، وبها دونت نقوش ملكية كثيرة فى كل انحاء الامبراطورية ، وهناك نقوش ملكية أيضا مدونة بالعلامية وهى لغة لاتمت بصلة قرابة إلى الاكادية أو إلى الفارسية القديمة . وهناك نقوش دونت بلغتين بعضها بالفارسية والاكادية ، وبعضها بالفارسية القديمة والعيلامية ، أى بلغة الملك مع لغة أخرى . يضاف إلى كل هذه اللغات أن كثيرا من النقوش دون بلغات اقاليم الدولة ، مثل المصرية القديمة فى مصر والآرامية فى الشام والعراق . وهكذا لم تكن اللغة

الفارسية القديمة وحدها فى امبراطورية ايران، بل نازعتها مكانتها لغة دولية ولغات محلية كثيرة .

إن أكثر النقوش الفارسية القديمة ترجع إلى الفترة بين ٦٠٠و٤٠٠ق م . وقد لاحظ الباحثون حدوث تحول لغوى مهم فى أواخر هذه الفترة ، فقد تحولت اللغة الفارسية من النمط الاعرابى إلى النمط التحليلى . والفرق كبير بين النمطين ، ففى الاعرابى تقوم النهايات الاعرابية بايضاح الوظائف النحوية لعناصر الجملة ،ولكن النمط التحليلى يعتمد على ترتيب الكلمات داخل الجملة وعلى عناصر الربط بين هذه الكلمات . وملامح هذا التحول فى الفارسية القديمة اختفاء النهايات الاعرابية القديمة فأصبح ترتيب الكلمة فى الجملة محدداً للدلالة . لقد حدث هذا التحول من النمط الاعرابى إلى النمط التحليلى بين عامى (٤٨٠—٤٠٠ق م) ، وبذلك نشأت الفارسية الوسيطة ثم الفارسية الحديثة . ويعد هذا التحول من النمط الاعرابى فى الفارسية القديمة إلى النمط التحليلى فى الفارسية الوسيطة السمة الأساسية التى تفرق بين المرحلتين.

٢ ـ الايرانية الوسيطة :

يضم الفرع الايرانى فى المرحلة الوسيطة عددا من اللغات ، وكان الباحثون الأوروبيون حتى أواخر القرن التاسع عشر لا يعرفون من المستويات اللغوية الايرانية الوسيطة سوى لغة واحدة هى الفارسية الوسيطة (البهلوية) ، وقد تقدم البحث فى القرن العشرين تقدما بعيدا ، فأصبحنا نعرف من اللغات واللهجات الايرانية الوسيطة : الفارسية الوسيطة ، ثم الصغدية والخوارزمية .

(ا) الفارسية الوسيطة :

الفارسية الوسيطة امتداد الفارسية القديمة ، ويطلق عليها أيضا اسم البهلوية ، ويرجع هذا الاسم إلى كلمة Pahlaw ومعناها بارثى ، ولذا فكلمة (بهلوى) تعنى لغة البارثيين .

وقد دونت البهلوية بالخط الآرامى على نحو جعل الكتابة معقدة غير واضحة . وترتبط هذه الظاهرة بطبيعة العلاقات اللغوية فى دولة الأخمينيين ، فقد كانت الآرامية اللغة الرسمية فى الدولة ، فكان كبار رجال الدولة يعرفون الآرامية ، وظلت المعرفة بالآرامية هى السمة المميزة لطبقة كبار الموظفين عدة أجيال ، فكانت مصدر فخرهم وسمة انتمائهم . وعندما أرادوا تدوين لغتهم الإيرانية أخذوا فى تدوينها لا بالمكونات الصوتية للكلمة الإيرانية المقصودة ، بل بالفكرة التى تعبر عنها هذه الكلمة . ومعنى كتابة المكونات الصوتية تدوين الكلمة برموز تدل على نطقها الحقيقى ، وهذا مالم يحدث فى تدوين الفارسية الوسيطة ، ولكنهم اعتبروا الكلمة الإيرانية كيانا متكاملا ودونوا هذه الكلمة بحروف الكلمة الآرامية التى تؤدى نفس معنى الكلمة الايرانية .

ويتضح هذا الأمر من المثال الآتى تدل ، كلمة (شاه) فى الفارسية الوسيطة على الملك أو الامبراطور أو رئيس الدولة ، وهذا المعنى يعبر عنه فى الآرامية بكلمة (ملكا) . وفى الكتابات البهلوية كانوا إذا أرادوا تدوين كلمة (شاه) لم يكتبوا هذه الكلمة بطريقة مباشرة بتدوين المكونات الصوتية لهذه الكلمة ، بل كانوا يدونون الكلمة الآرامية المقابلة التى تؤدى نفس المعنى ، وهى كلمة (ملكا) ، ولما كان الخط الآرامى فى ذلك الوقت لا يدون الحركات القصيرة ولا الحركات الطويلة كانت النتيجة أنهم كتبوا (م ل ك) للتعبير عن كلمة (شاه) ، ولا علاقة صوتية بينهما إلا أن كليهما يعبر - دلاليا - عن الملك .

ولكن الكتابة البهلوية تدون - إلى جانب ما ذكرنا - النهايات التصريفية وفق المكونات الصوتية لها ، وهذا على عكس النظام المتبع فى تدوين المفردات الأساسية . ولذا فتدوين البهلوية يقوم على نظامين مختلفين ، نظام التدوين بالمعنى ثم نظام التدوين الصوتى . فان المفردات الأساسية كانت تدون تدوينا لا علاقة له بأصوات الكلمة - على نحو ما مثلنا ، ولكن النهايات التصريفية مثل نهاية الجمع وتكون

من فتحة طويلة ونون (آن) فكان تدوينها يتم برموز توضح مكوناتها النطقيه . وهذا النظام المزدوج المعقد جعل تعلم الكتابة أمراً معقداً مقصوراً على من كابد ذلك وتعلمه ليتاح له مجال الرقى الوظيفى والاجتماعى ، وخصوصا فى عهد الساسانيين (٢٢٦ - ٦٤٢ م) عندما كانت اللغة البهلوية اللغة الرسمية فى الدولة الإيرانية .

(ب الصغدية) :

الصغدية إحدى اللغات الإيرانية الوسيطة ، وظلت معروفة عدة قرون فى الحضارة العربية الإسلامية . ترجع أقدم نصوص وصلت إلينا بالصغدية إلى القرن الرابع الميلادى ، وقد وجدت أكثر هذه النقوش فى منطقة بخارى وسمرقند . وعلى الرغم من تدمير منطقتهم أثناء غزو الاسكندر لها وتفرق جماعات منهم فان الرحالة المقدسى قد عرف الصغد ولاحظ أن منطقة « الصغد قصبتها سمرقند » ، وأن لغتهم تختلف عن لغة جيرانهم فكان للصغد « لسان على حدة » ، وقد وصلت إلينا النقوش الصغدية المتأخرة من القرن الحادى عشر الميلادى .

الكتابة المانوية وتدوين اللغات الايرانية الوسيطة :

كان تبسيط مانى (٢١٦ — ٢٧٤ م) لطريقة التدوين بداية كان من الممكن أن تؤدى إلى تحول حضارى كبير ، ولكن هذه المحاولة ظلت ذات أثر محدود . لقد أفاد مانى من نظام الكتابة الأبجدية كما كان متبعا عند الآراميين ، وكان مانى نفسه من أبناء إحدى اللهجات الآرامية الشرقية . وعندما أراد مانى أن يقدم للملك نسخة من تعاليمه مدونة فى كتاب أفاد من هذه الكتابة المبسطة ، فى تدوين الفارسية الوسيطة ، وبهذا دونت الفارسية الوسيطة لأول مرة بكتابة محدودة العناصر سهلة التعلم . ولما كانت دعوته تهديدا لرجال الدين الزرادشت فقد ظلت كتابته موضع هجومهم ، وهكذا اقتصر استخدام الكتابة المانوية على

الجماعات المانوية، وبها دونوا الصغدية والبارثية ـــ وهى أيضا إحدى اللغات الايرانية الوسيطة ـــ بل ودونوا بها نصوصا من الفارسية الحديثة ومن لغات غير إيرانية ، مثل لغة الاويغور التركية .

(ج) اللغة الخوارزمية :

ظلت اللغة الخوارزمية محتفظة بالخصائص اللغوية للايرانية الوسيطة قرونا طويلة فى الحضارة العربية الاسلامية . وقد دون الخوارزميون لغتهم بالخط العربى، وهناك مخطوطات خوارزمية مدونة بالخط العربى دون تلك النقط الثلاث التى أضافها الفرس إلى حروف فى الخط العربى لتكوين حروف جديدة . وثمة مخطوطات أخرى يقوم تدوينها على الخط العربى مع الاضافات الفارسية . وبهذا يعد تدوين تلك اللغة الايرانية الوسيطة بالخط العربى مهما فى وضوحه لا يقارن بذلك النظام المعقد للفارسية الوسيطة وبالنظام غير المتداول للكتابة الصغدية ، ولذا تعد دراسة تلك النصوص الخوارزمية المدونة بالخط العربى مفتاح فهم الكتابات الكثيرة باللغات الايرانية الوسيطة المدونة بالخطوط المختلفة .

٣ ـ الأيرانية الحديثة:

تطلق هذه التسمية على عدة مستويات لغوية ، وليست هناك لغة واحدة تحمل اسم الايرانية الحديثة ، بل هى مجموعة لغات ومستويات لغوية ، وأهم هذه اللغات:

(ا) اللغة الفارسية :

اللغة الفارسية هى الفارسية الحديثة التى تستخدم فى إيران فى عهدها الاسلامى وعصرها الحديث ، وتسمى هذه اللغة « فارسى » أو « دارى » . وترجع بداية تميز الفارسية الحديثة عن الفارسية الوسيطة إلى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى. وتعد الفارسية الحديثة امتدادا متطورا للغة الفارسية الوسيطة كما كانت مستخدمة فى الجنوب الغربى من إيران ، وقد كانت هذه اللغة لغة البلاط الساسانى قبل

الاسلام ولغة المراسلات الرسمية فى العهد الساسانى كما كانت لغة الطبقة العليا ، وقد حدث التحول من الفارسية الوسيطة إلى الفارسية الحديثة فى أواخر العهد الساسانى ، فالتغيرات الصوتية التى تميز الفارسية الحديثة فى أقدم صورها عن الفارسية الوسيطة كانت قد حدثت فى القرن السابع الميلادى .

وعندما دخلت إيران الدولة الاسلامية بعد الفتح هاجرت إليها جماعات عربية كثيرة ، ودخل الايرانيون فى الاسلام ، وحاول كثير منهم العمل فى الدولة الاسلامية، وأراد بعضهم الاسهام فى الحضارة الاسلامية بتأليف الكتب العربية، فكان على كل هؤلاء الطامحين تعلم اللغة العربية . وهنا بدأ الايرانيون عصر ازدواج لغوى العربية لغة التأليف ولغة الدولة ولغة الدين وهى أيضا لغة الحياة ، والفارسية بلهجاتها المختلفة يقتصر استخدامها على الحياة اليومية المحلية . وهكذا كانت العربية — وحدها — لغة الثقافة ، فلم يؤلف الايرانيون بغيرها حوالى ثلاثة قرون . لقد عرف القرن الثالث الهجرى محاولة لجعل الفارسية لغة كتابة ، ثم أصبح التأليف بالفارسية ظاهرة واضحة الملامح فى القرن الرابع الهجرى فى إطار دولة البويهيين .

لقد تكونت الفارسية الحديثة فى إطار الحضارة العربية الاسلامية ، وظلت اللغة العربية عند العلماء الفرس المصدر الذى يستمدون منه مصطلحاتهم العلمية . لقد دون الفرس لغتهم بالخط العربى ، وكان استخدامهم للخط العربى تعبيرا عن ارتباطهم بالإسلام فى وقت مبكر ، بينما كان الزرادشتية والمانوية واليهود والمسيحيون يدونون الفارسية بخطوط أخرى . وربما يرجع تدوين الفارسية بحروف عربية إلى منتصف القرن الثالث الهجرى ، ولكن تطوير نظام الكتابة العربية بإضافة النقط الاضافية لتكوين حروف مثلثة يرجع فيما يبدو إلى منتصف القرن الخامس الهجرى .

وقد استقرت اللغة الفارسية لغة وطنية ورسمية فى ايران منذ ذلك التاريخ ، ودخلت بعد ذلك إلى شبه القارة الهندية لغة للآداب والثقافة ، فكانت من أهم المواد الدراسية فى معاهد التعليم الاسلامية فى شبه القارة الهندية ، واتخذت مكانها فى فى هذه المعاهد إلى جانب اللغة العربية .

وعندما دخل الترك الدولة الاسلامية كانت الفارسية رافدا لغويا مهما قدم للغة التركية كثيرا من ألفاظ الحضارة والمعرفة . وبذلك ارتبطت الفارسية الحديثة بلغات كثيرة فى العالم الاسلامى .

(ب) اللغة التاجيكية :

تنتمى اللغة التاجيكية إلى لغات المجموعة الغربية من الفرع الايرانى من اللغات الهندية الأوربية . واللغة التاجيكية هى اللغة الرسمية فى جمهورية التاجيك فى الاتحاد السوفيتى . ويتحدث بها هناك حوالى ثلاثة ملايين . واللغة التاجيكية أيضا إحدى لغات جمهورية ازبكستان فى الاتحاد السوفيتى . وتقوم السياسة اللغوية للاتحاد السوفيتى فى جمهورياته الجنوبية على تحويل كتابة لغات هذه الجمهوريات إلى الخط الكيريلى الذى تدون به اللغة الروسية ، ولذا تكتب اللغة التاجيكية بالخط الكيريلى الروسى .

(ج) اللغة الكردية :

تنتمى اللغة الكردية إلى المجموعة الغربية من الفرع الايرانى من اللغات الهندية الاوربية ، وتتحدث بها جماعات الاكراد فى العراق وتركيا وايران . وهى احدى اللغات الوطنية المعترف بها — اليوم — فى العراق . ويقدر عدد المتحدثين باللغة الكردية بحوالى سبعة ملايين موزعين فى شمال العراق وشمال غرب ايران وشرق تركيا ، ولذا دخلت ألفاظ كثيرة من التركية والفارسية والعربية اللغة الكردية .

(د) اللغة البلوشية

اللغة البلوشية احدى لغات المجموعة الغربية من الفرع الايرانى من اللغات الهندية الاوربية . وهى اللغة السائدة فى اقليم بلوشستان فى جمهورية الباكستان ، وتوجد جماعات بلوشية كبيرة العدد فى أقاليم الباكستان الأخرى خصوصا فى اقليمى البنجاب والسند . وهناك جماعات بلوشية فى ايران وأفغانستان . وهناك تفاوت كبير فى تقدير عدد البلوش فى هذه المناطق ، إلا أن دراسة حديثة عن البلوش تقدر عددهم بعشرة ملايين فى الباكستان وستة ملايين فى ايران وأفغانستان ، وذلك بالاضافة إلى عدة آلاف من البلوش هاجروا منذ حوالى قرنين إلى الخليج العربى والكويت . والبلوشيون لايدونون لغتهم إلى الآن ، ويكتبون باللغات الأخرى التى يعيشون فى اطارها الحضارى .

(هـ) لغة الباشتو :

لغة الباشتو هى اللغة الوطنية واللغة الرسمية فى دولة أفغانستان منذ ١٩٣٦ ، وهى لغة اقليم سرحد فى دولة الباكستان وعاصمته بشاور ، وهى بذلك لغة أكثر من خمسة عشر مليونا ، وتكتب لغة الباشتو بالخط العربى .

رابعا : الفرع السلافى :

اللغات السلافية فرع من الأسرة الهندية الأوربية ، وترجع كل لغات الفرع السلافى إلى أصل واحد مشترك . وقد افترض الباحثون أن هذه اللغة السلافية الأولى كانت قبيل بداية التاريخ الميلادى لغة موحدة أو تكاد تكون موحدة ، ولم تصل الينا نصوص هذه اللغة السلافية الأولى ، ومع هذا فمن الضرورى افتراض وجود هذه اللغة تفسيرا لنشوء اللغات المختلفة التى نجمت عن هذا الأصل المشترك .

وقد وصلت الينا أقدم لغة سلافية مدونة فى نصوص من القرن العاشر الميلادى ،

ويطلق على هذه اللغة اسم اللغة السلافية الكنسية القديمة أو اللغة البلغارية القديمة . وقد نسب هذا المستوى اللغوى للكنيسة ، وذلك لأنها كانت اللغة التى استخدمها الاخوان المسيحيان كيريل Kyrll وميثود Method فى التبشير بالمسيحية بين الجماعات السلافية فى القرن التاسع الميلادى وظلت هذه اللغة مستخدمة فى الكنيسة الارثوذكسية عند الجماعات السلافية زمنا طويلا ، ولا تزال تستخدم بشكل متطور فى الطقوس الدينية لدى الكنائس الارثوذكسية الروسية .

وقد دونت هذه اللغة السلافية الكنسية القديمة بخط يقوم على الخط اليونانى فى شكله المتداول فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، وكان هذا التدوين على يد كيريل ، فنسب اليه « الخط الكيريلى » . وأدى ارتباط هذا الخط بالكنيسة الارثوذكسية إلى انتشار هذا الخط عند الجماعات السلافية التى اعتنقت المسيحية الارثوذكسية ، ولذا كتبت به اللغات الروسية الكبرى والبيلوروسية والاكرانية والبلغارية والمقدونية والصربية . أما الجماعات السلافية الاخرى فقد عرفت المسيحية على يد المبشرين الكاثوليك ، فكتبوا لغاتهم بخط يقوم على الخط اللاتينى ، ولذا تكتب اللغات البولندية والتشيكية والسلوفينية والكرواتية بخطوط تقوم على الخط اللاتينى .

وقد أخذت اللغات الوطنية للشعوب السلافية فى التكون على نحو تدريجى ، وبدأت هذه اللغات تاخذ طابعها المتميز بعد القرن الحادى عشر الميلادى . ويمكن توزيع هذه اللغات على النحو التالى .

(١) اللغه الروسية :

اللغة الروسية أهم اللغات السلافية وأكثرها انتشارا . يبلغ عدد أبنائها حوالى المائة مليون فى الاتحاد السوفيتى ، وهى اللغة الثانية فى كل جمهوريات الاتحاد السوفيتى التى لها لغات وطنية محلية وفى كل دول أوربا الشرقية . وتقوم اللغة الروسية المشتركة على أساس لهجة المنطقة التى تقع فيها العاصمة موسكو .

ويرجع التاريخ اللغوى المتميز للغة الروسية إلى القرن الحادى عشر الميلادى . ولكن عصر ازدهارها بدأ فى القرن الخامس عشر فى موسكو ، التى كانت أول الأمر مركزا دينيا . وكانت للغة الروسية مكانة ثقافية مرموقة فى النصف الثانى من القرن السابع عشر عندما أصبحت لغة الثقافة والادب والادارة فى كل انحاء الدولة القيصرية ، فأخذ التأليف يتجه إلى موضوعات الحياة ويقترب بشكل مترابط من الأدب الأوربى الغربى ، ولذا دخلت ألفاظ حضارية كثيرة من اللغات الأوربية الأخرى وخصوصا من اللغة الألمانية ومن اللغة الفرنسية .

وقد عرفت اللغة الروسية فى هذه الفترة عدة مستويات فى لغة التأليف ، فكان المستوى الرفيع يحاكى اللغة السلافية الكنسية بما فيها من تأثيرات بيزنطية يونانية ، وفى هذا المستوى اللغوى المتفاصح كانت تؤلف المأساة . أما المستوى الثانى وهو المستوى المتوسط فكان يتمثل فى لغة الادارة والمطبوعات العلمية ، وكان المستوى الثالث هو العامية الراقية وبها كانت تؤلف الملهاة . وكان الفضل الكبير فى الدعوة إلى اللغة الروسية المشتركة للغوى روسى مرموق هو لومونوسوف (١٧١١ — ١٧٦٥) Lomonossow ، واليه تنسب جامعة موسكو . ولقد أوضح لومونوسوف العناصر المشتركة بين هذه المستويات ، وجعلها أساس اللغة المشتركة . وقطع الاهتمام باللغة المشتركة عدة مراحل إلى أن وجد التطبيق الحى عند بوشكين ، وعنده زالت الحدود الفاصلة لتصبح اللغة المشتركة هى اللغة القومية .

(ب) اللغة الاكرانية :

تسمى اللغة الأكرانية أحيانا باسم اللغة الروسية الصغرى ، وهى لغة يتحدث بها اليوم أكثر من ثلاثين مليونا فى الاتحاد السوفيتى . وقد عرفت اللغة الاكرانية فى فجر تدوينها عدة مؤلفات من القرن الحادى عشر إلى الثالث عشر ، وكانت هى اللغة السائدة فى دولة كييف ، وعندما حطم التتار دولة كييف ١٢٤٠ م انهار الكيان الثقافى للغة الاكرانية ، واستمر هذا الانهيار أكثر من خمسة قرون كاملة . ولم

تحدث النهضة الحضارية واللغوية بعد ذلك — إلا فى فترة محدودة (١٧٩٨ — ١٨٦٣) ، وانتهت هذه الفترة بأن فرضت السلطات القيصرية على أبناء الاكرانية اللغة الروسية ، ولم تنته هذه السياسة إلا بانتهاء القيصرية سنة ١٩١٨ . واليوم تعد الاكرانية لغة وطنية معترفا بها كل مجالات الحياة والثقافة فى جمهورية أكرانيا ، وإلى جانبها توجد اللغة الروسية باعتبارها اللغة الثانية .

(ح) اللغة البيلوروسية :

تسمى هذه اللغة أيضا باسم لغة الروس البيض ، ويتحدث بها حوالى ثمانية ملايين فى الشمال الغربى للاتحاد السوفيتى . وقد ازدهرت اللغة البيلوروسية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

(د) اللغة البولندية :

اللغة البولندية هى اللغة الوطنية لحوالى ثلاثين مليونا فى جمهورية بولندا ولغة جماعات بولندية فى الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة الامريكية. يبدأ تاريخ اللغة البولندية بنصوصها منذ القرن الرابع عشر الميلادى . وتقوم الكتابة البولندية على أساس الخط اللاتينى ، لأن البولنديين عرفوا المسيحية على يد المبشرين الكاثوليك ،وكانت بولندا لذلك فى إطار الثقافة اللاتينية حتى أن هناك عدة مؤلفات ألفها بولنديون حتى القرن السابع عشر باللغة اللاتينية ، وحلت اللغة الفرنسية فى الثامن عشر محل اللغة اللاتينية ، فأصبحت الفرنسية لغة المثقفين . وكان لهذا الموقف أثره فى أهمال اللغة البولندية ، ولم يحدث الازدهار الحقيقى لللغة البولندية إلا فى إطار الحركة القومية فى القرن التاسع عشر فكانت اللغة رمزا للوحدة القومية .

(هـ) التشيكوسلوفاكية :

التشيك والسلوفاك شعبان سلافيان يكونان جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، ويبلغ عدد مواطنيها حوالى ثلاثة عشر مليونا . وتوجد فى إطار التشيكوسلوفاكية عدة مستويات لغوية لكل منها تاريخ مستقل ، فالتشيكية دونت منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، وعاشت مراحل متتابعة من الازدهار الحضارى ثم الانكماش بالإقتصار على التعبير عن الحياة اليومية الريفية ، ولم تحدث النهضة اللغوية للتشيكيين إلا فى أواخر القرن الثامن عشر . أما السلوفاكية فقد انتظمت الكتابة بها فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى . واليوم تعد اللغتان فى إطار الوحـــدة الوطنية فى تشيكوسلوفاكيا مستويين اثنين للغة واحدة .

(ز) البلغارية :

عرف البلغار — أى سكان بلغاريا — تحولا لغويا فى القرن السابع والثامن والتاسع للميلاد ، فبعد أن كانت بلغاريا بيئة لغوية لاحدى اللغات الالتائية أخذ الطابع السلافى يسود هـذه البيئة ، وأصبحت اللغة السائدة فى بلغاريا منذ القرن التاسع الميلادى إحدى اللغات السلافية ، وبها دونت أقدم النصوص التى نعرفها باللغة السلافية الكنسية القديمة ، ولذا تسمى هـــذه اللغة أيضاً باسم اللغة البلغارية القديمة .

وقد مر التاريخ اللغوى للبلغارية بمراحل متعاقبة ، أطولها تلك القرون الخمسة التى كانت بلغاريا أثناءها تابعة للدولة العثمانية (١٣٩٣ — ١٨٧٨) . وقد بدأ الازدهار الجديد للغة البلغارية فى المائة عام الأخيرة من الحكم العثمانى ، غير أن ملامحها الجديدة لم تتضح إلا بعد الاستقلال . والبلغارية — اليوم — هى اللغة الوطنية لسبعة ملايين فى جمهورية بلغاريا .

(ح) الصربية الكرواسية :

كانت المنطقة التى تشغلها اليوم جمهورية يوغوسلافيا وجمهورية بلغاريا بيئة لغوية واحدة للغة السلافية الكنسية أى البلغارية القديمة ، ومع انهيار الدولة البلغارية على يد العثمانيين سنة ١٢٩٣م دخلت منطقة اللهجات الصربية والكرواسية فى الدوله العثمانية . كان الصرب قد تحولوا إلى المسيحية الأرثوذكية فكانوا يكتبون لهجتهم بالخط الكيريلى ، أما الكروات فكانوا مسيحيين كاثوليك يكتبون لهجتهم بالخط اللاتينى . وقد حدثت فى إطار الحركات الوطنية منذ القرن الثامن عشر محاولات كثيرة لتقنين الاستخدام اللغوى للغة الصربية الكرواسية ، إلى أن أصبحت اللغة الرسمية الأولى مع قيام جمهورية يوغسلافيا، ويتحدث بها أكثر من أربعة عشر مليونا .

(ط) اللغة السلوفينية :

هى لغة مليونين فى منطقة الحدود اليوغسلافية النمساوية والنمساوية الايطالية . وقد بدأ تدوينها فى القرن السادس عشر ، فترجمت إليها نصوص العهد الجديد . ولكن التأليف بها لم يصبح اتجاها واضحاً إلا فى منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى .

(ى) لغات البلطيق :

يضم بعض الباحثين لغات البلطيق مع اللغات السلافية فى مجموعة واحدة بينما يجعلها البعض فرعاً مستقلا عن الفرع السلافى . وتوجد اليوم مجموعة من لغات البلطيق ، أهمها اللغة الليتوانية واللغة اللتية ، وقد عرفت منطقة شمال أوربا لغة أخرى — من لغات البلطيق — بادت منذ القرن السابع عشر ، وهى اللغه البروسيه القديمة . أهم لغات البلطيق الحيه هى اللغه الليتوانيه . التى اهتم بها الباحثون فى علم اللغه المقارن لخصائصها المغرقة فى القدم ، وكان أبناء اللغه اللتوانيه قد حافظوا

فى عزلتهم فى الشمال فى نفس المنطقة التى ربما عاشت فيها جماعة من الجماعات التى تحدثت باللغه الهنديه الأوربيه الاولى — على كثير من الخصائص اللغوية القديمة . أما اللغه اللتيه فهى حوالى مليون ونصف مليون فى منطقه تنسب إليهم وتقع على البلطيق

خامسا : الفرع الكلتى

الكلتية من أقدم اللغات الهندية الأوربية فى أوربا ، انتشرت بعد هجرة مجموعة من أبناء اللغة الهندية الأوربية الأولى من مهدها المفترض فى جنوب روسيا إلى جنوب ووسط أوربا . كانت الكلتية لغة بلاد الغال القديمة (فرنسا) قبل انتشار اللاتينية ، كما كانت لغة بريطانيا وإيرلندا قبل هجرة الانجلوساكسون إليهما . وكانت أيضاً لغة شمال إيطاليا وجنوب ألمانيا . وكانت الكلتية أيضاً لغة شبه جزيرة أيبيريا . وقد انكمشت الكلتية فى القرون الأولى بعد الميلاد ، وكان هذا الانكماش اللغوى الكلتى فى القارة الأوربية أكثر منه فى أيرلندا واسكوتلندا ، فقد بقيت الكلتية فيهما إلى حد بعيد ، ولم تنحسر على نحو ما حدث فى وسط وجنوب غرب أوربا .

ولا تزال الكلتية حية إلى اليوم فى عدة أشكال لغوية أهمها اللغة الأيرلندية واللغة الاسكوتلندية الغالية واللغة البريتونية . ترجع أقدم نصوص اللغة الأيرلندية إلى القرن الثامن الميلادى ، ولها تراث أدبى كبير . ولاتزال اللغة الأيرلندية ثرية بالأدب الشعبى وهى اللغة الأم لجماهير عريضة فى أيرلندا . أما اللغة الاسكوتلندية الغالية فهى لغة المهاجرين الكلتيين إلى اسكوتلندا فى القرن الرابع الميلادى ، ولا تزال اللغة الكلتية فى منطقة لغوية صغيرة فى القارة الأوربية ، فاللغة البريتونية امتداد حديث للكلتية . والبريتونية لغة حوالى مليون ونصف مليون مواطن فرنسى فى منطقة بريتانى وبعض الجزر القريبة منها . وفى كل المناطق التى تعيش فيها

الكلتية فى أشكالها الحديثة نجـــد محاولات شعبية للمحافظة عليها وجعلها لغة التعليم هناك .

سادسا : الفرع الجرمانى

يضم الفرع الجرمانى من اللغات الهندية الأوربية مجموعة من اللغات الأوربية التى ترجع إلى أصل واحد . وتشترك لغات الفرع الجرمانى فى عدة خصائص لغوية، مما جعل الباحثين يرجعونها إلى أصل واحد هو اللغة الجرمانية الأولى . وقد تميزت هذه اللغة عن اللغة الهندية الأوربية الأولى فى الفترة بين سنة ٨٠٠ قم و ٦٥٠ قم . وظلت الجماعات الجرمانية تتحدث بالجرمانية فترة طويلة من الزمن ، وعلى مدى أجيال متعاقبة هاجر بعضها فى اتجاه مخالف لهجرات البعض الآخر ، وبذلك أخذت الخصائص اللغوية تختلف باختلاف الجماعات ، وتميزت لهجتان أساسيتان ، هما اللهجة القوطية النوردية ، واللهجة الجرمانية الغربية . ولم يقف تيار الانقسام عند هذه الدرجة ، فقد نشأت بالتالى عدة لهجات جديدة عن القوطية النوردية ولهجات أخرى عن الجرمانية الغربية ، وبذلك تنوعت اللهجات الجرمانية تنوعاً بعيداً .

(ا) اللغة القوطية :

تضم المجموعة القوطية النوردية عدة لغات ، أهمها اللغة القوطيه واللغةالنوردية القديمة . كانت اللغة القوطية قد انفصلت وتميزت بخصائص جديدة قبل المسيحية ببضع مئات من السنين . وقد تطورت عن القوطية لغتان قوطيتان ، تسمى إحداهما باسم القوطية الغربية ، والثانية باسم القوطية الشرقية .

وتختلف مستويات الاستخدام اللغوى للقوطية الغربية عن القوطية الشرقية ، فقد كان أهم ما دون بالقوطيه الغربيه تلك النصوص الدينية المترجمة إليها ، ولذا

ارتبط استخدامها بالمجال الديني المسيحي . فقد ترجم العهد القديم إلى القوطية الغربية وكذلك العهد الجديد ، ولم تقم هذه الترجمة على النقل المباشر عن النصوص الأصلية فالعهد القديم مثلا لم يترجم عن نصوصه العبرية والآرامية بل ترجم عن الترجمة اليونانية المعروفة باسم الترجمة السبعينية وترجم العهد الجديد عن النص اليوناني أيضا. وقد أدى ارتباط اللغة القوطية الغربية بهذه الترجمات عن اليونانية إلى أن تأثرت القوطية الغربية باللغة اليونانية من ناحية بناء الجملة ، كما دخلت إليها ألفاظ يونانية كثيرة خاصة بالمجال الديني .

أما اللغة القوطية الشرقية فقد كانت لغة كثير من النصوص الأدبية ، أهمها ما يدور حول البطولات والأمجاد ، ولهذا امتد تأثيرها في ملاحم العصور الوسطى الألمانية .

(ب) النوردية القديمة :

الفرع الثاني من المجموعة القوطية النوردية فيعرف باسم اللغة النوردية القديمة . وتعد هذه اللغة النوردية لغة واحدة ، هي الأصل التاريخي الذي خرجت عنه اللغات السويدية والدانيمركية والنرويجية . ولذا كانت تذكر أيضاً باعتبارها السويدية القديمة والدانيمركية القديمة والنرويجية القديمة ، وقد ظلت هذه اللغة موحدة حتى حوالي سنة ٧٠٠ م ، ثم أخذت في الانقسام بعد تلك .

(حـ) الايسلندية :

تعد الأيسلندية ثمرة انفصال مبكر عن النوردية القديمة فقد هاجرت جماعات من النرويجيين — وكانت لغتهم هي النوردية القديمة — إلى جزيرة أيسلندا (٨٧٤ — ٩٣٠ م) . وبذلك اتخذت هذه الجماعة البعيدة طابعاً خاصاً بها ، كانت أوضح سماته المحافظة على الخصائص اللغوية القديمة . وقد وصلت إلينا أناشيد شعبية كثيرة مدونة بهذه اللغة المحافظة ، أهمها مجموعة الادا Die Edda .

(د) اللغات السويدية والدانية والنرويجية :

وقد تكونت فى القرون التالية عدة لغات وطنية فى المناطق التى كانت من قبل تكون البيئة اللغوية النوردية القديمة . وأهم هذه اللغات الدانيمركية أو الدانية ، والسويدية والنرويجية ، وقد أخذت هذه اللغات تاخذطابعها المتميز باعتبارهالغات وطنية منذ بداية القرن التاسع عشر ، وقبل ذلك التاريخ كان تنوع اللهجات يسود الحياة اللغوية هناك .

إن دولة واحدة كانت تضم الدانمرك والنرويج حتى استقلال النرويج سنة ١٨١٤م وكان السيادة اللغوية فيها للغة واحده هى لغة الدولة (الدانمركية) Riksmaal ، وبعد انفصال النرويج سياسيا ظهر عندهم اتجاه للانفصال اللغوى يقوم على الافاده من لهجة البلاد لتكوين لغة وطنية تختلف عن لغة الدولة التى سادت أيام الوحده، وبذلك قامت سنة ١٨٤٧م الدعوه إلى لغة البلاد Landsmaal ، وهى اللغة التى تعرف أحيانا باسم اللغة النرويجية . ومنذ سنه ١٨٩٧ اعترفت دولة النرويج بكلتا اللغتين فى التعامل الرسمى .

(هـ) الفرع الالمانى :

يضم الفرع الالمانى Deutsch عددا من المستويات اللغويه المتتابعة زمنا المتنوعة مكانا . وكانت هذه اللهجات تسود الحياة اللغويه فى فتره كانت اللغه اللاتينيه لغه الثقافه الرفيعه والعلم ، وزاد الاهتمام باللغة الالمانية شيئا فشيئا إلى أصبحت لغة العلم والثقافة والحياة اليومية .

أن بدايه التدوين باللغة الالمانية ترجع إلى القرن الثامن الميلادى ، ودخلت الالمانية مجال الاستخدام الرسمى للدولة فى القرن الثالث عشر (١٢٣٨) بينما ظلت اللغة اللاتينية لغه العلم والثقافة ، وبدأ استخدام اللغة الالمانية فى التعليم الجامعى

سنة ١٦٨٧ وصدرت بها أول مجلة شهرية ١٦٨٨ ، ولكن اللاتينية ظلت منافسا قويا فى الجامعات، حتى أن بعض الرسائل الجامعية كانت حتى أوائل القرن العشرين تدون باللاتينية .

وهناك عوامل حاسمة أدت إلى التوحيد اللغوى فى هذه المنطقة التى سادتها اللهجات الألمانية ، فقد حاولت الوحدات الادارية استخدام مستوى لغوى موحد، وما أن انتهى القرن الخامس عشر حتى كانت الدواوين تتعامل بلغة ألمانية موحدة. وكان اختراع الطباعة حوالى ١٤٥٠ م ، ورغبة الناشرين فى رواج مطبوعاتهم عاملا حاسما فى إصرارهم على أن تكون الكتب بتلك اللغة المشتركة - لا باللهجات المحلية. وأدت ترجمة مارتين لوتر للكتاب المقدس إلى هذه اللغة المشتركة إلى أن أصبحت هذه اللغة رمزا لحركة الاصلاح الدينى ، وزادت مجالات استخدام هذه اللغة المشتركة جيلا بعد جيل ، ورغب المؤلفون عن التدوين بالمستويات اللغوية المحلية، وفى منتصف القرن السابع عشر انتهى التأليف بالسويسرية وبلهجات ألمانية أخرى كثيرة ، وأصبحت السيادة فى التأليف للغة الألمانية المشتركة .

أما استخدام اللغة الألمانية فى التعامل الشفوى فقد زاد بانتشار التعليم وبالوعى اللغوى القومى ، فأصبحت وسيلة التدريس والشرح والحوار والنقاش فى كل المدارس والمعاهد العلمية ، وكذلك لغة المسرح ولغة الاذاعة ، إلى جانب كونها لغة الكتاب والصحيفة والادارة . وهكذا قلت مجالات استخدام اللهجات المحلية بصورة متزايدة، وانحسرت اللغة اللاتينية، لتصبح اللغة الألمانية لغة الحياة والعلم والفن عند ثمانين مليونا من الأوربيين فى ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية وبرلين والنمسا وسويسرا .

(و) اللغة الهولندية :

تقترب الهولندية فى بنيتها اللغوية من اللغة الألمانية . فقد كانت إحدى اللهجات الألمانية الكثيرة التى سادت هذه المنطقة ، ثم دونت بها بعض النصوص الأدبية فى

القرن الرابع عشر . وأدى النزوع السياسي نحو الاستقلال عن باقي المناطق الألمانية ثم إعلان الاستقلال سنة ١٦٤٨ م إلى الانفصال النهائي ، وبذلك اتخذت الهولندية اتجاهها الخاص متميزة عن الألمانية .

وفي فترة تالية خرجت جماعات من المهاجرين الهولنديين إلى جنوب افريقيا ، ودونوا لهجتهم الهولندية، وأطلقوا عليها اسم Afrikaans تميزا لها عن الهولندية - الأم - ولغة الافريكانز إحدى اللغات الرسمية في اتحاد جنوب أفريقيا .

(ز) اللغة الفريزية

تكون الانجليزية والفريزية فرعا داخل المجموعة الجرمانية . وقد انفصل هذا الفرع واختلفت خصائصه منذ منتصف القرن الخامس الميلادي ، وتنوعت اللهجات بعد ذلك وزاد الانقسام في إطارها فنشأت لهجات أخرى ، ودونت عدة لهجات منها ، وقد دونت الفريزية منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وبعد ذلك تكونت الهولندية وأخذت تسود الحياة اللغوية في تلك المنطقة وبذلك انحسر استخدام الفريزية منذ القرن الخمس عشر الميلادي عن المجالات الحضارية ، وظلت بعض المناطق الصغيرة تتعامل بها في الحياة اليومية .

(ح) اللغة الانجليزية :

أخذت اللغة الانجليزية في التكون بعد هجرات الانجليز والسكسون والجوت من القارة الأوربية في منتصف القرن الخامس الميلادي . وتأثرت هذه اللهجات في القرون التالية باللغة الدانمركية أثناء حكم الدانمرك للجزر البريطانية (١٠١٦-١٠٤٢م) وباللغة الفرنسية أثناء الحكم النورماندي الفرنسي منذ ١٠١٦ م ، بل لقد كانت اللغة الفرنسية في الفترة من القرن الحادي عشر الميلادي حتى منتصف القرن الرابع عشر لغة البلاط ولغة المثقفين وكانت لغة التعليم حتى ١٣٤٩ ولغة القضاء حتى ١٣٦٢.

وقد ساعدت عوامل كثيرة على نشوء اللغة الانجليزية لغة حضارية وعلى انتشارها خارج الجزر البريطانية إلى أن أصبحت اللغة الدولية الأولى في العالم

المعاصر . أن اللغة التى ألف بها تشوسر فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى كانت تقوم على لهجة لندن ، وأصبح استخدامها فى الأدب وعند رجال البلاط تدعيما لمكانتها . وكانت الطباعة منذ دخولها إلى انجلترا ١٤٧٥ م ذات أثر فعال فى انتشار الكتاب الانجليزى فى مناطق سادتها اللهجات المحلية . ولا شك أن أهم العوامل التى دفعت باللغة الانجليزية إلى أفريقيا وآسيا واستراليا وجنوب أفريقيا وأمريكا هى الاستعمار والهجرات . فقد دخلت الانجليزية شبه القارة الهندية ومناطق واسعة فى أفريقيا مع موجة المد الاستعمارى ، ثم كانت الهجرات إلى جنوب أفريقيا واستراليا ، ويعد إعلان اللغة الانجليزية لغة رسمية فى الولايات المتحدة الأمريكية أهم الأحداث الحاسمة فى التاريخ الحديث للغة الانجليزية . كانت الانجليزية فى بداية القرن التاسع عشر لغة ٢١ مليونا ، فأصبحت فى بداية القرن العشرين لغة ١٢٥ مليونا — أكثرهم فى الولايات المتحدة الأمريكية ، واليوم يقدر عدد أبناء اللغة الانجليزية بحوالى ٢٥٠ مليونا .

سابعا : الفرع الرومانى :

يضم الفرع الرومانى من اللغات الهندية الأوربية كل اللغات التى ترجع أصولها إلى اللاتينية بمستوياتها اللغوية المختلفة ، وأهم هذه اللغات هى : الفرنسية والأسبانية والبرتغالية ، والايطالية ، والرومانية — أى لغة رومانيا — وذلك إلى جانب عدة لغات ولهجات فى جنوب أوربا وجزر البحر المتوسط .

(١) اللغة اللاتينية :

نشأت اللغة اللاتينية فى منطقة روما ، وكانت القبائل المهاجرة إلى إيطاليا حوالى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد تتحدث بعدة لهجات ، وسادت بعد ذلك إحدى هذه اللهجات وهى لهجة مدينة روما وما حولها .

لقد انتشرت اللاتينية مع اتساع رقعه الدولة الرومانيه ، فكانت منذ ٢٦٦ ق م اللغه السائدة فى أكثر أنحاء إيطاليا . وقد عرفت اللاتينيه آنذاك مستويين لغويين،

واتضحت خصائصهما اللغوية بمضى الوقت ، هما اللاتينية الفصحى (الكلاسيكية) واللاتينية الشعبية . لقد اهتم الادباء والخطباء بصقل الاستخدام الفصيح للاتينية ، وكانت اليونانية مثلهم الاعلى لحاكوا التركيب اليونانية ، وأدخلوا فيها كثيرا من الالفاظ اليونانية . ولكن الفلاحين والمواطنين البسطاء كانوا بعيدين — إلى حد كبير — عن هذه المؤثرات الثقافية اليونانية ، فكانوا يتعاملون باللاتينية الشعبية فى حياتهم اليومية . وهكذا نشأت الثنائية اللغوية ، وزادت الفروق بين المستويين بمحاولة المثقفين تجنب تلك الالفاظ الشعبية من جانب وبالتغير المطرد فى اللهجات اللاتينية الشعبية من الجانب الآخر .

ولكن اتساع رقعة الامبراطورية الرومانية — بغزو أسبانيا فى القرن الثانى قبل الميلاد ثم بلاد الغال ثم مناطق الالب — جعل اللغة اللاتينية منتشرة فى منطقة واسعة. ثم كان اختلاف لهجات الجماعات التى هاجرت إلى المناطق المفتوحة وتأثيرات اللغات الاقدم فى هذه المناطق سببا فى نشوء لهجات لاتينية شعبية جديدة

وعندما انتشرت الثقافة بين طبقات شعبية كثيرة ودخلت جماهير غفيرة فى المسيحية تأثرت اللغة الفصيحة باللاتينية الشعبية ، كما دخلت الفاظ فصيحة كثيرة — وبها ألفاظ يونانية — إلى لغة المستويات الشعبية . ولكن اللاتينية الشعبيه فى كل أقاليم الدولة كانت تنمو نموها الطبيعى وتختلف من اقليم لآخر ، ومهد هذا لنشوء اللغات الرومانية المختلفة عن اللغة اللاتينية الشعبية .

(ب) اللغة الفرنسية :

تقوم اللغة الفرنسية على اللاتينية الشعبية فى لهجاتها التى وجدت فى بلاد الغال. وكانت اللغة الفرنسية لغة الثقافة الرفيعة والدبلوماسية فى أنحاء مختلفة من القارة الاوربية عدة قرون ، فكانت الطبقات العليا فى وسط أوربا من القرن الثانى عشر

إلى القرن التاسع عشر تلتقى حول اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية ، وقد قلت مكانة اللغة الفرنسية فى وسط أوربا بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت اللغة الفرنسية أيضا اللغة الرسمية ولغة الادارة والتعليم فى المستعمرات الفرنسية فى افريقيا وفى منطقة الهندالصينية ويقدر عدد أبناء اللغة الفرنسية بحوالى ستين مليونا فى فرنسا وبلجيكا وسويسرا وكندا ، واللغة الفرنسيه احدى لغات العمل فى المنظمات الدولية ، وهى اللغة الرسمية فى عدد من الدول الافريقية .

(جـ) اللغة الاسبانية :

الاسبانية نتيجه تطور اللاتينيه الشعبية فى لهجاتها التى كانت موجودة فى شبه جزيرة أيبيريا ، وقد كان لوجود اللغة العربية فى هذه المنطقة عدة قرون آثارها الكبيرة فى اللغة الاسبانية . وتعد اللغة الاسبانية أكثر اللغات الرومانية انتشارا فى العالم المعاصر ، فهى أيضا لغة أمريكا الجنوبية والوسطى ، أو بعبارة أخرى أمريكا اللاتينية كلها باستثناء البرازيل . ويبلغ عدد أبناء اللغة الاسبانية أكثر من مائة مليون . وهى أيضا احدى لغات العمل فى المنظمات الدولية .

(د) اللغة البرتغالية :

تعد البرتغالية أيضا ثمرة تطور اللاتينية الشعبية فى شبه جزيرة ايبريا ، وتأثرت أيضا بالوجود العربى فى المنطقة . والبرتغالية هى لغة البرتغال والبرازيل ولغة اقليم غاليسيا فى أسبانيا ، وقد فرضها الحكم البرتغالى لغة رسمية فى المستعمرات الافريقية للبرتغال قبل استقلالها .

(هـ) اللغة الكتلانية واللغات الرومانية الغربية الأخرى

اللغة الكتلانية لغة ستة ملايين فى كتالانيا وفى البليار ، وتشكل بهذا اللغة الثانية بعد الاسبانية فى دولة أسبانيا .

وبالاضافة إلى اللغات الفرنسية والاسبانية والبرتغالية والكتلانية هناك لغات ولهجات أخرى تنتمى إلى الجناح الغربى من اللغات الرومانية . كانت البروفنسالية

فى جنوب فرنسا ، وعرفت ازدهار كبيرا فى القرون الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر عندما نظم بها شعراء التروبادور غزلهم الشبيه بالغزل العربى الاندلسى.
واللغة الريتورومانيـة هى اللغة الرسمية الرابعـة فى سويسرا ، على الرغم من أن المتحدثين بها لا يزيدون عن خمسين الفا ، وتوجد لهجات كثيرة فى شمال ايطاليا تنتمى إلى هذا الجناح اللغوى وفى ايطاليا أيضا اللغة الفرياولية ويقدر عدد أبنائها بحوالى نصف مليون .

(و) اللغة الايطالية :

واللغة الايطالية هى اللغة الأم فى أكثر انحاء ايطاليا — باستثناء الشمال حيث يسود ازدواج لغوى بين الالمانية والايطالية . ويقدر عدد أبناء الايطالية بأكثر من خمسين مليونا . وكان لها انتشار محدود كلغة ثانية فى الحبشة والصومال وليبيا ، وبعد انحسار موجة الاستعمار قل استخدام الايطالية .

(ز) لغة رومانيا ومولداڤيا :

واللغة الرومانية لغة جمهورية رومانيا ، وتنتمى مع الايطالية إلى الجناح الشرقى من اللغات الرومانية ، وهى اللغة الام عند حوالى خمسة عشر مليونا فى رومانيا . أما سكان جمهورية مولداڤيا السوڤيتية الاشتراكية فلغتهم فى الواقع هى اللغة الرومانية ولكنهم يدونونها بالحروف الكيرلية الروسية . ويقدر عدد أبناء المولداڤية بحوالى مليونين .

الفصل التاسع

اللغات الأورالية الألتائية

تتكون مجموعة اللغات الأورالية الالتائية من فرعين أساسين ، هما الفرع الأورالى والفرع الالتائى . وينتسب كلا الفرعين إلى سلاسل جبلية ، الأول منسوب إلى جبال الاورال التى تفصل أوربا عن آسيا ، والثانى إلى جبال الالتآى فى وسط آسيا . وأهم اللغات التى تدخل فى هذه الأسرة اللغات المجرية والفنلندية والتركية والمغولية .

وتعد هذه اللغات فى رأى كثير من الباحثين أسرة لغوية واحدة ، وتقوم وحدة هذه الأسرة على أساس اشتراك لغاتها فى عدد من الخصائص البنيوية . وأهم الخصائص المشتركة فى هذه اللغات من الناحية الصوتية وجود التوافق الحركى ، ومعناه أن الحركة الأساسية فى الكلمة تتحكم فى باقى حركات اللواحق فتجعلها متوافقة معها، ويظهر التوافق الحركى Vocalic Harmony فى كل اللغات الأورالية الالتائية بدرجات متفاوتة أقلها فى اللغة الفلندية وأوضحها فى اللغات التركية ، وتتفق اللغات الاورالية الالتائية فى نظام البنية اللغوية ، فكل هذه اللغات لغات لصاقية. فهناك كلمات أساسية ولواحق كثيرة تؤدى عددا كبيرا من الوظائف النحوية ، فاذا كانت اللغات الهندية الاوربية والافروآسيوية تعرف حروف الجر فان اللغات الاورالية الالتائية تعبر عن ذلك باللواحق فاذا أردنا أن نقول ما معناه « فى المنزل » قلنا بالمجرية hazba وبالتركية ev'e ، وفى المجرية كلمة haz وفى التركية كلمة ev تعنيان المنزل ، أما تلك اللاحقة ba فى المجرية de, فى التركية فقد عبرنا عما عنه فى اللغات السامية بحروف الجر . وهكذا نلاحظ أن اللواحق تعبر فى

اللغات الاورالية الالتائية عن الوظائف النحوية المختلفة. ومن المعانى التى تؤديها هذه اللواحق معنى الوجود ومعنى العدم ومعنى الجمع وغير ذلك . وهذا الشبه البنيوى بين هذه اللغات جعل بعض الباحثين يجعلونها أسرة لغوية واحدة . ولكن الكلمة المعبرة عن البيت — وهى من الكلمات الأساسية فى كل اللغات — تختلف فى المجرية عنها فى التركية ، واللاحقة المعبرة عن المكان تختلف فى اللغتين أيضا . وهذا الاختلاف المعجمى بين المجرية — وهى من اللغات الاورالية ، والتركية — وهى اللغات الالتائية ، جعل بعض الباحثين يتحفظون فى قبول الرأى القائل بأن اللغات الاورالية واللغات الالتائية تشكل أسرة لغوية واحدة .

أولا : اللغات الاورالية :

تشكل اللغات الاورالية الجناح الأورى من اللغات الاورالية الالتائية ، وأهم لغات هذه المجموعة : الفنلندية المجرية ، فهى الأكثر انتشارا والارقى حضاريا والأكثر أهمية فى التاريخ والحياة المعاصرة . أما اللغات الصموديدية فتتحدث بها جماعات تعيش فى الاتحاد السوفيتى فى المنطقة الساحلية للبحر المتجمد الشمالى ، ويزيد عدد أبنائها عن خمسة وعشرين ألفا ، وقد ثبت ببحث هذه اللغات أنها تمت بصلة القرابة إلى اللغات الفنلندية المجرية .

١ — اللغة الفنلندية :

ويبلغ عدد أبناء اللغة الفنلندية حوالى أربعة ملايين . وهى أهم اللغات فى جمهورية فنلندا التى تضم أيضا عدة أقليات لغوية تتحدث باللغة السويدية ولغة اللاب. ويرجع التاريخ الحضارى للغة الفنلندية إلى منتصف القرن السادس عشر ، ففى سنة ١٥٤٨ م تمت ترجمة الأناجيل إلى اللغة الفنلندية ، فأصبح لدى الفنلنديين كتاب مقدس مدون بلغتهم . واعتمد أداء الترجمة على الاستخدام اللغوى فى منطقة توركو، وبذلك ارتبطت اللغة الفنلندية فى تاريخها المبكر بلهجة هذه المنطقة التى نشأت اللغة الفنلندية فى إطارها . وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان استخدام اللغة

الفنلندية يكاد يكون مقصورا على كتب الثقافة الدينية ، وكانت تكتب باعتبارها اللغة المحلية التى يفهمها المواطنون . أما باقى المجالات فقد كانت تسودها اللغة السويدية ، التى ظلت لغة الثقافة واللغة الرسمية عدة قرون . ولم تنته السيادة اللغوية السويدية إلا مع انفصال فنلندا واستقلالها عن السويد سنة ١٨٠٩ م . وهنا بدأت اللغة الفنلندية تصبح اللغة الوطنية فى دولة فنلندا ، ولذا أخذ المؤلفون يتركون السويدية ليؤلفوا فى العلم والثقافة باللغة الفنلندية . وبذلك ازدهرت اللغة الفنلندية فى القرن التاسع عشر فى إطار الحركة القومية ، ولم تستطع فترة الاحتلال الروسى (١٨٥٠ — ١٨٦٠) أن تقضى على القومية الفنلندية ، بل لقد كان الاحتلال عاملا دفع الفنلنديين إلى مزيد من الاهتمام بلغتهم القومية . وكان للعالم اللغوى الفولكورى Lönnrot (١٨٠٢ — ١٨٨٤) جهد كبير فى جمع الأناشيد الشعبية وكون منها ملحمة الكاليفالا (١٨٣٥) وله أيضا فضل تأليف أول معجم للغة الفنلندية (١٨٨٠). وبذلك أخذت اللغة الفنلندية مكانتها لغة قومية ولغة للثقافة والعلم فى دولة فنلندا .

وهناك لغة وثيقة الصلة باللغة الفنلندية ، وهى اللغة الكاريلية . ويتحدث بهذه اللغة حوالى نصف مليون فى الجمهورية الكاريلية المتمتعة بالحكم الذاتى فى الاتحاد السوفيتى ، وليس للغة الكاريلية تراث مدون ، ولا تستخدم فى مجالات الثقافة والتعليم.

وتعد اللغة الاستونية أهم اللغات التى تمت بصلة القرابة اللغوية للغة الفنلندية ويرجع تدوينها أيضا إلى القرن السادس عشر الميلادى . واللغة الاستونية هى اللغة الوطنية فى جمهورية استونيا الاشتراكية السوفيتية ، ويتحدث بها حوالى مليون مواطن فى استونيا ونصف مليون فى روسيا وسيبريا وليتلاند .

وإلى جانب الفنلندية (والكاريلية) والاستونية ، هناك عدة لغات تنتمى إلى الفرع الفنلندى ، وهى لغة اللاب والموردفينية وغيرهما . ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغات المختلفة حوالى المليونين يشكلون أقليات لغوية فى الدول الاسكندنافية المختلفة والاتحاد السوفيتى .

اللغة المجرية :

يضم الفرع المجرى Ugrian عدة لغات أهمها وأكثرها انتشارا اللغة المجرية Hungarian . وتعد اللغة المجرية أقدم اللغات الفنلندية المجرية التى دونت ، فقد تم ذلك فى القرن الثالث عشر الميلاد ، فهناك نص مجرى وصل إلينا مدونا سنة ١٢٢٠ م . وقد ظهرت بشائر النهضة اللغوية المجرية فى القرن السادس عشر عندما ألفت بها بعض الكتب الدينية فى إطار حركة الاصلاح الدينى ، وكان شأنها فى هذا الصدد شأن اللغات المحلية ، وأصبحت اللغة المجرية منذ القرن السابع عشر لغة تأليف وثقافة وطنية ، ولكن اللغات الكثيرة نازعتها مكانتها فى بلاد المجر . فكان المجريون فى القرن السابع عشر يتعاملون باللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الرسمية ولغة القضاء ولغة العلم ، وكان بعضهم يتوسل فى مجال العلم باللغة الألمانية أيضا ، فى حين كانت اللغة الفرنسية لغة الارستقراطية فى وسط أوربا . ولهذا تأثرت اللغة المجرية فى مجال العلم والثقافة باللاتينية وبالألمانية وفى ألفاظ الحياة الراقية باللغة الفرنسية : وقد زاد الاهتمام باللغة المجرية فى أواخر القرن الثامن عشر مع ظهور الحركة القومية المجرية ، فأصبح المجريون يؤلفون بها فى مجالات العلم ويهتمون بها رمزا لقوميتهم ووجودهم .

ثانيا : اللغات الالتائية :

اللغات الالتائية هى الجناح الاسيوى من اللغات الاورالية الالتائية ،وتشترك اللغات الالتائية فى الخصائص التالية :

(ا) الأصوات :

١ ــ يوجد فى اللغات الالتائية عدد كبير من الحركات ، تصل فى كثير من هذه اللغات إلى سبع حركات ، وفى اللغة التركية إلى إثنتى عشرة حركة .

٢ ــ يسود فى اللغات الالتائية نظام التوافق الحركى ،وهو نوع من المماثلة بين الحركات ، فالحركات التى توجدفى الكلمة الأساسية تتحكم فى حركات اللواحق

التى تلصق بهذه الكلمة ، فمثلا تتخذ الوحدة الصرفية الدالة على الملكية أو التبعية الصور الآتية (in,ün,ın,un) وتتحدد الصورة الصوتية المستخدمة فى كل حالة على حدة وفق الحركة الخاصة بالكلمة الأساسية ، ويتضح هذا من الأمثلة التالية :

ev — in = of the house
otobüs — ün = of the bos
orman — ın = of the forest
vapur — un = of the steamer

وعلى هذا تحددت حركة اللاحقة وفق حركة الكلمة الأساسية :

الحركة الأساسية : u a ü e
حركة اللاحقة : u ı ü i

وهناك عدة قوانين للتوافق الحركى فى كل لغة من اللغات الالتائية ، ولكن وجود هذه الظاهرة — بصفة عامة — يعد من السمات المميزة لهذه اللغات .

٣ — لا تظهر بعض الصوامت فى أول الكلمة ، أو يكون وجودها نادرا ، ومن هذه الصوامت الراء والزاى ، فلا تكاد الكلمات الأصيلة فى اللغات الالتائية تبدأ بالراء أو بالزاى .

٤ — أنواع المقاطع فى اللغات الالتائية محدودة ، والمقطع فى هذه اللغات يتكون من (حركة) فقط ، أو من (حركة + صامت) أو من (صامت + حركة + صامت) أو من صامت + حركة + صامت + صامت) . وعلى هذا فلا يوجد مقطع يبدأ بصامتين أو أكثر .

(ب) بناء الكلمة :

١ — اللغات الالتائية لغات الصاقية ، تتكون بنية الكلمة فيها من كلمة أساسية تلحق بها لواحق كثيرة .

مثال من اللغة التركية :

الكلمة الأساسية : خاف qorq تكون باضافة اللواحق الكلمات الآتية :

خوف qorqut جبان qorqaq مخيف qorqunc[٧]

٢ ــ تؤدى هذه اللواحق وظائف لغوية مختلفة ، للتعبير عن زمن الفعل وعن النفي وعن الجمع وعن المكان ، وغير ذلك من المعانى التى تؤدى فى اللغات الأخرى بوسائل لغوية مختلفة . ولاتعرف هذه اللغات حروف جر سابقة على الاسم ، بل تؤدى هذه معانى عن طريق لواحق تأتى بعد الكلمة ، أى أنها ليست prepositions بل postpositions . ويتضح هذا من الامثلة التركية التالية :

فى المنزل evde ، منزل ev ، هو (يكون) فى المنزل evdedir

٣ ــ لاتعرف اللغات الالتائية تصنيف الصيغ من ناحية التذكير والتأنيث ، وينطبق هذا على كل أنواع الكلمات من أسماء وأفعال وغير ذلك .

هـ ــ المفردات

١ ــ هناك مجموعات من المفردات الاساسية المشتركة فى اللغات الالتائية ، ويمكن ايضاح الفروق بين هذه المفردات وفق قواعد واضحة إلى حد كبير .

المعنى	الكلمة فى اللغات المغولية	الكلمة فى اللغات التركية
قوة	erke	aerk
قص	kirya	qirq
صيد	ada	ab
جفف	qata	qat
حلب	saya	aay
فهم	uqa	uq
دافع	saki	saq

ويلاحظ فى الأمثلة السابقة ، وكلها من الكلمات الأساسية ، أنها من أصل اشتقاقى واحد . وأهم الفروق بين الصيغ المغولية والصيغ التركية يتعلق بآخر الكلمة فقد حذفت الحركة الأخير فى الصيغ التركية ، وهذا الحذف ملاحظ فى كل الأمثلة التركية السابقة .

٢ — يضم المعجم المشترك فى فى اللغات الالتائية ألفاظا أساسية فى كل الأفرع التركية والمغولية والتوتغوزية .

اللغات المغولية	اللغات التركية	اللغات التوتغوزية
aqa = أخ كبير	aya = أخ كبير	age = السيد
boroyan = مطر	buran = عاصفة جليدية	buran = عاصفة

وعلى الرغم من اختلاف نسبى فى الدلالة فإن الاختلاف يمكن تفسيره فى اطار التغير الدلالى .

٣ — يشمل المعجم المشترك الالفاظ الخاصة بالموضوعات التالية :

(ا) جسم الانسان ، وذلك مثل الالفاظ الدالة على : ركبة ، رأس ، شعر ، فم ، اذن ، وجه ، صدر ، قدم .

(ب) علاقات القرابة ، وذلك مثل الألفاظ الدالة على : أب ، أخ كبير ، أخت كبيرة ، عم ، جد ، أقارب الأب .

(ج) أسماء الحيوان ، وذلك مثل الالفاظ الدالة على : خروف ، فار ، جمل ، حية سمك ، ثور ، حمار ، دب .

(د) أسماء الظواهر الطبيعية ، وذلك مثل الالفاظ الدالة على : يوم ، ليل ، ضوء ، زمن ، مطر ، جليد .

وهذه المجموعات تعد أمثلة من الالفاظ الاساسية المشتركة فى اللغات الالتائية .

وهذه الخصائص الصوتية والصرفية والمعجمية المشتركة تؤكد أن اللغات التركية والمغولية والتونغوزية من أصل واحد مفترض . ويطلق على هذا الأصل المُقترض اسم اللغه الالتائية ، وذلك على نحو اللغة الهندية الأوربية الاقدم واللغات السامية الاقدم ولم تصل الينا هذه اللغات الاقدم ، ولكن افتراض وجودها قبل عصور التدوين ضروري حتى يمكن تفسير أوجه الشبه بين اللغات التي اتضح أنها من أصل واحد .

اللغات التركية :

يطلق مصطلح « اللغات التركية » أو « لغات الترك » على عدد من اللغات التي تنتمي إلى أصل واحد مفترض . وتوجد اللغات التركية في منطقة واسعة تمتد من وسط آسيا حتى غربها وشرقي أوربا . وقد انتشرت القبائل التركية بعد تحرك هذه الجماعات من موطنها الاقدم في وسط آسيا وعلى حدود الصين مهاجرة في اتجاه الغرب ، وتكونت من لهجات هذه الجماعات لغات تميزت شيئا فشيئا عن بعضها البعض . وأهم هذه الجماعات التركية المهاجرة جماعات الاوغوز وجماعات القبجاق . تحرك الاوغوز إلى غرب آسيا بينما هاجر القبجاق إلى المناطق الشرقية من أوربا . وهكذا تكونت عدة لغات تركية في المنطقة الغربية من آسيا ، وأهمها التركمانية والتركية، وتكونت لغات أخرى في المنطقة الشرقية من أوربا ، وأهمها اللغة التتارية ولغة القازاق . وقد بقيت جماعات تركية كثيرة في وسط آسيا وكانت هجرات جماعات منها محدودة ، وهكذا تنوعت اللغات التركية وبدأت كل منها تاريخها المتميز .

وعلى الرغم من هذا التنوع فان لغات الترك متقاربة تقاربا بعيدا ، وتتفق هذه اللغات في بنيتها النحوية وفي المعجم الاساسي المشترك بصورة تسمح في حالات كثيرة ان يتفاهم أبناء بعض هذه اللغات وكأنهم أبناء لهجات مختلفة للغة واحدة . ومع هذا كله ، فانه من الممكن تصنيف اللغات التركية على أساس درجة تقارب كل

لغة مع الاخرى إلى عدة مستويات لغوية وأفرع لغوية . ويعتمد هذا التصنيف على الخصائص اللغوية الحديثة المتاحة لاكثر اللغات التركية ، أما النصوص القديمة التى تمثل مستويات لغوية قديمة فهى قليلة ، لاتقدم للباحث إلا صورة شاحبة عن الحياة اللغوية القديمة .

النقوش التركية القديمة :

١ — ترجع أقدم النقوش التى وصلت الينا بالتركية إلى منطقة نهر أورخون فى بلاد المغول، ولذا تسمى هذه النقوش نسبة إلى المكان باسم« النقوش الاورخونية» وقد دونت هذه النقوش فى الفترة من القرن السادس أو السابع الميلادى على وجه التقريب إلى القرن الحادى عشر الميلادى . وقد دونت هذه النقوش بخط قديم يسمى باسم الابجدية الاورخونية ويقوم هذا الخط على أساس الابجدية الصغدية القديمة التى تقوم بدورها على الابجدية الآرامية القديمة وتضم الابجدية الاورخونية عدة حروف ذات أصل تركى محلى ، أخذوها لترمز بشكلها إلى كلمات كاملة .

٢ — تسمى المجموعة الثانية من النقوش التركية باسم النقوش الاويغورية ، نسبة إلى جماعات الاويغور التركية . وقد دونت هذه النقوش بخط أبجدى يقوم أيضا على الخط الصغدى القديم . وقد توازى استخدام الخط الاورخونى مع الخط الاويغورى أكثر من قرن ، وسادت الكتابة الاويغورية شيئا فشيئا فانتهى استخدام الخط الاورخونى بصفة نهائية فى القرن الحادى عشر الميلادى . وظل الخط الاويغورى سائدا عند قبائل الترك بصفة عامة ، ثم تخلت عنه تلك القبائل التركية التى دخلت مجال الحضارة الاسلامية وكتبت بالخط العربى . وهكذا توازى الخط الاويغورى مع الخط العربى عدة قرون ، وقد كتبت به القبائل التركية غير المسلمة فى الصين حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى . وهكذا ظل الخط الاويغورى مرتبطا فى تاريخ جماعات الترك بالتاريخ القديم لها .

٣ ـ النقوش البلغارية التركية هي المجموعة الثالثة من النقوش التركية القديمة، وقد دونت هذه النقوش في أرض أوربية على عكس المجموعتين الاورخونية والاوغورية فقد دونتا في وسط آسيا . وقد دونت النقوش البلغارية التركية في الفترة من القرن الثامن الميلادى إلى القرن الرابع عشر الميلادى ، ولذا هناك توازٍ تاريخى بين النقوش التركية القديمة في كل مجموعاتها ،واستمر هذا التوازى عدة قرون. ولقد عرفت منطقة بلغاريا من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر للميلاد ازدواجا لغويا ، كان الشعب يتحدث بلغة سلافية ، ووقع هؤلاء السلاف تحت حكم الترك الوافدين من آسيا وجنوب روسيا . وظل الازدواج اللغوى في بلغاريا انعكاسا لتقسيم السكان إلى ترك حاكمين وسلاف محكومين . وقد وجدت عدة لهجات تركية في بلغاريا ، وبادت أكثر هذه اللهجات التركية بسيادة اللغة البلغارية السلافية .

اللغات التركية ذات التراث :

(ا) اللغة التركية

اللغة التركية هي لغة الدولة العثمانية وأهم اللغات التركية في التعبير عن الحضارة الاسلامية ، وهي لغة الجمهورية التركية ، وأهم اللغات التركية في العصر الحديث . يرجع تاريخ اللغة التركية إلى القرن الخامس عشر الميلادى . وقد ازدهرت اللغة التركية في إطار الدولة العثمانية ، ولذا تأثرت كثيرا بالعربية والفارسية ، وكانت اللغات العربية والفارسية والتركية، تستوعب مجالات التعبير الحضارى في الجناحين الغربى والأوسط من العالم الاسلامى . وتسمى اللغة التركية في هذه الفترة باسم التركية العثمانية ، وكانت تدون بالخط العربى . وقد عاشت التركية العثمانية في اطار الحضارة الاسلامية ، وكانت المثل الثقافية في اطار الدولة العثمانية تجعل اللغتين العربية والفارسية أهم أدوات الثقافة الرفيعة . وأدى هذا الاهتمام بالعربية والفارسية إلى

دخول عدد كبير من الالفاظ العربية والفارسية الى التركية ، ويتضح هذا التأثير بصفة خاصة فى المجالين الدينى والثقافى .

وقد دخلت اللغة التركية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلى مجالات التعبير عن الحضارة الحديثة ، فتأثرت باللغة الايطالية وباللغة الفرنسية فى ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية ، وأخذ بعض الكتاب يطرحون قضية التجديد اللغوى باعتباره الطريق نحو التقدم والحضارة . ونادى كثيرون بالاقلال من الالفاظ الدخيلة من العربية والفارسية التى كان الفصحاء يتبارون فى حشدها ، وطالب البعض بمحاولة الاقتراب من لغة الشعب فى التعبير الادبى . وظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين محاولات لإصلاح نظام الكتابة بابتكار علامات اضافية تجعل الكتابة التركية أصدق تعبيرا عن الصوامت والحركات التركية. وعندما الغيت الخلافة سنة ١٩٢٤ ، وأعلنت الجمهورية التركية دولة علمانية كانت تركيا أول دولة تنفصل بارادة حكامها عن الاطار الاسلامى الحضارى وتولى وجهها شطر الغرب . وفى ذلك العام أيضا كانت المحاولات الروسية الجنوبية لفصل الاقاليم الجنوبية عن الارتباط الحضارى بباقى أنحاء العالم الاسلامى قد اتخذت شكلا رسميا ، وذلك بتعديل نظام كتابة اللغات التركية فى جنوب الاتحاد السوفيتى من الخط العربى إلى الخط اللاتينى، ولذلك كان اعلان التحول إلى الخط اللاتينى فى تدوين اللغة التركية سنة ١٩٢٨ نقطة تحول فى التاريخ اللغوى والحضارى التركى ، فكان اعلانا بالتحول عن الارتباط بالعربية والفارسية ودعوة إلى التغريب فى اللغة التركية. وقد حاولت الحكومات التركية بقرارات رسمية التخلص من كلمات عربية وفارسية كثيرة كانت قد دخلت التركية واحلال كلمات تركية بديلة. وعلى الرغم من كل هذه المحاولات فقد ظلت نسبة عالية من الالفاظ العربية والفارسية مستقرة فى اللغة التركية، ولا تزال الدولة تسمى نفسها رسميا باسم Türkiye Cumhuriyeti دون رفض كلمة « الجمهورية » وهى كلمة عربية. ولكن

تحول نظام الكتابة عن الخط العربى إلى الخط اللاتينى-أوقف دخول كلمات عربية جديدة وفتح الباب لدخول الفاظ كثيرة من اللغات الاوربية .

٢ — اللغة الاذرية :

اللغة الآذرية هى لغة آذربيجان ، وتسمى هذه اللغة باسم « آذرى » . وتعد اللغة الاذريه أقرب اللغات - من جانبى البنية النحوية والمعجم الاساسى - من اللغة التركية ، ومن الممكن أن يتفاهم آذرى بلغته مع تركى أناضولى بلغته فى موضوعات كثيرة دون أن يكون أحدهما قد تعلم لغة الآخر ، وكأن اللغتين لهجتان للغة واحدة. واللغة الاذرية هى اللغة السائدة فى جمهوريه آذربيجان السوفيتيه الاشتراكية وعاصمتها باكو ، وتوجد جماعات آذريه فى إيران . ويقدر عدد ابناء اللغة الاذرية بحوالى ثلاثه ملايين ونصف (١٩٥٩) ، ثلاثة أرباعهم فى جمهوريه آذربيجان .

وكانت اللغة الاذرية فى اطار الحضارة الاسلامية احدى اللغات التى صنفت بها المؤلفات الادبية . وهناك تراث أدبى آذرى منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، وبهذا تكون الآذرية أقدم فى الاستخدام الادبى المدون من اللغه التركيه وكان الادباء الاذريون يجيدون العربيه والفارسيه ، ولذا ظهرت ألفاظ عربيه وفارسية كثيرة فى اشعارهم وكتاباتهم. وظهرت محاولات عند بعض الادباء بعد ذلك للاقتراب من لغة الشعب والاقلال من التفاصح بالعربية والفارسيه . وكانت الصحافه الاذريه فى أواخر القرن التاسع عشر عاملا مبلورا للوعى الوطنى الاذرى فى إطار النهضة الاسلامية . ولكن اعلان جمهوريه آذربيجان السوفيتيه (١٩١٨) ، ثم تحويل نظام تدوين اللغه الاذريه من الخط العربى إلى الخط اللاتينى (١٩٢٤) ثم إلى الخط الكيريلى الروسى (١٩٣٩) كانت عوامل حددت الوجهه الحضاريه إلى داخل الاتحاد السوفييتى ،أما فى ايران فتكتب اللغة الاذرية إلى اليوم بالخط العربى، وبذلك بدأت مرحلة جديدة فى آذرية جمهورية آذربيجان ، وتكونت مفردات جديدة

فى الاطار الحضارى السوفيتى ، فاذاكانت الترك فى جمهورية تركيا أحلوا محل محل كلمة « انقلاب » كلمه تركيه الاصل هى devirme فان اللغات التركيه فى الاتحاد السوفيتى — ومنها الاذرية — تستخدم فى هذا الصدد كلمة أوربية مأخوذة عن اللغه الروسيه ، وهى : revolyutsiya

٣ ـ اللغة الجغتائية :

اللغه الجغتائيه احدى اللغات التركية ذات التاريخ الادبى والثقافى ، وقد دون الادب الجغتانى منذ القرن الثالث عشر الميلادى بالخط العربى . وكانت اللغه الجغتائيه زاخرة بالالفاظ الفارسيه والعربية ، وكان تراثها محاكاة للتراث الفارسى والعربى . وظلت اللغه الجغتائيه اهم لغات شرقى دوله التتار ، إلى أن قام الاوزبك بطرد التتار من وسط آسيا وشرقى ايران فى القرن السابع عشر ، فأخذت لهجتهم الأزبكيه فى السيادة . واليوم يتحدث باللغه الازبكيه حوالى ستة ملايين ، أكثرهم فى جمهوريه ازبكستان السوفيتيه ومنهم جماعات فى جمهوريات التاجيك والقرغيز والقازاق .

اللغات الوطنية للشعوب التركية فى الاتحاد السوفيتى :

هنالك مستويات لغويه كثير توسلت بها الجماعات التركية فى جنوب أوربا ووسط اسيا ، وكان استخدامها مقصورا على الحياة اليومية عند هذه الجماعات . أما فى مجالات الثقافة فقد كانوا — عند الضرورة — يتعاملون بغير لغاتهم المحلية . ولكن السياسة اللغوية للاتحاد السوفيتى جعلت هذه المستويات اللغوية المحلية لغات وطنيه ، وهذه اللغات متقاربه فى البنية والمعجم حتى أن بعضها يكاد يكون بمثابه لهجات من اللغه التركيه ، ولكن أبناءها يعدونها اليوم لغات وطنيه .

اهم اللغات الوطنية للشعوب التركية فى الاتحاد السوفيتى

(١) اللغةالاوزبكية . وهى اهم اللغات التركيه فى الاتحاد السوفيتى . ويتحدث

بها أكثر من سته ملايين ، أكثرهم فى جمهورية ازبكستان ، وتوجد جماعات أزبكية فى جمهورية التاجيك وجمهورية القرغيز وجمهورية القازاق . وتعد اللغة الاوزبكية أهم اللغات فى جمهوريةازبكستان ،إذ يشكل أبناؤها أكثرمن ٦٠٪ من مواطنى هذه الجمهورية .

٢ — اللغة التتارية :

تعد اللغة التركية الثانية فى الاتحاد السوفيتى ، ويتحدث بها حوالى خمسة ملايين أكثرهم فى جمهوريتى التتار والباشكير ، وكلتاهما من جمهوريات الاتحاد الروسى الذى يكون مع جمهوريات أخرى الاتحاد السوفيتى . ولكن التتار يشكلون فى جمهورية التتار حوالى نصف السكان فقط ، والباقون من الروس والشوباش .

٣ — اللغة القازاقية :

تعد لغة القازاق اللغة التركية الثالثة فىالاتحاد السوفيتى ، يبلغ عدد أبنائها أقل من أربعة ملايين ، أكثرهم فى جمهورية كازاخستان أى جمهورية القازاق ، وتوجد جماعات قازقية فى الاتحاد الروسى وأزبكستان .

٤ — اللغة الاذرية :

هى اللغة التركية الرابعة فى الاتحاد السوفيتى ، يتحدث بها حوالى ثلاثة ملايين أكثرهم فى جمهورية آذربيجان ، وهناك أقليات فى جمهوريتى جورجيا وآرمينيا . وذلك بالاضافة إلى وجود الاذرية خارج الاتحاد السوفيتى فى ايران . وقد دونت الاذرية منذ القرن الثالث عشر الميلادى بالخط العربى ، وتدون إلى اليوم خارج الاتحاد السوفيتى بالخط العربى ، ولكنها تدون فى الاتحاد السوفيتى بالخط الكيريلى الروسى .

٥ — اللغة الشوباشية :

هى اللغة التركية الخامسة فى الاتحاد السوفيتى ، يبلغ عدد أبنائها حوالى المليون

ونصف ، يعيش حوالى نصفهم فى جمهورية الشوباش ، أما الباقون فهم فى جمهوريات أخرى داخل الاتحاد الروسى .

٦ — اللغة التركمانية :

هى اللغة التركية السادسة فى الاتحاد السوفيتى ، يتحدث بها حوالى مليون أكثرهم فى جمهورية التركمان ، وهناك جماعات تركمانية خارج الاتحاد السوفيتى فى شمال العراق وتركيا وايران وشمال غرب افغانستان والقوقاز . وكانت تدون بصورة منتظمة منذ القرن السابع عشر بالخط العربى، إلى أن عدل الاتحاد السوفيتى نظام التدوين إلى الخط اللاتينى ثم إلى الخط الروسى ، وبذلك تدون التركمانية داخل الاتحاد السوفيتى بالخط السكيريلى الروسى وخارج الاتحاد السوفيتى بالخط العربى .

٧ — اللغة الباشكيرية

هى اللغة التركية السابعة فى الاتحاد السوفيتى ، يتحدث بها حوالى مليون، أكثرهم فى جمهورية الباشكير ، وتوجد جماعات قليلة من الباشكير فى جمهوريات أخرى داخل الاتحاد الروسى .

٨ — اللغة القرغيزية :

هى اللغة التركية الثامنة فى الاتحاد السوفيتى ، يتحدث بها حوالى المليون ، أكثرهم فى جمهورية القرغيز .

وهناك لغات وطنية أخرى داخل الاتحاد السوفيتى ، منها لغة الياقوت (٢٥٠,٠٠٠) ، ولغة القاراقلباق (٢٥٠,٠٠٠)، واللغة الكوميكية (١٣٥,٠٠٠) ولغة الجوجوز (١٢٥,٠٠٠) ، ولغة الاويغور (١٠٠,٠٠٠) فضلا عن أقليات لغوية أخرى يقل عددها عن مائة ألف .

وقد كان تعديل نظام التدوين إلى الخط الروسي بالنسبة للاذرية والتركمانية ، وتدوين باقي المستويات اللغوية المحلية واعلانها لغات وطنية تنفيذاً للسياسة اللغوية في الاتحاد السوفيتي . ويتضح ملامح هذه السياسة اللغوية مما يأتي :

١ — تكوين أبجديات جديدة للشعوب التي لم تكن لها لغات وطنية مكتوبة خاصة بها واللغات التي كانت تتخذ الحرف العربي أساسا لتدوينها . وشكلت لهذا بعد ثورة ١٩١٧ « لجنة مركزية للابجدية الجديدة » . وقد وضعت اللجنة في أواخر العقد الثالث أبجديات جديدة تقوم على الاساس اللاتيني . وبذلك قطعت الصلة مع الخط العربي رمز الحضارة الاسلامية .

٢ — أثبت الطبيق أن اتخاذ الحروف اللاتينية عند الجماعات التركية يجعل علاقاتها مع اللغة الروسية محدودة . ولذا قرر المؤتمر الأول لكل روسيا ١٩٣٢ الموافقة على مشروع تعديل نظام التدوين إلى الخط الروسي . وبذلك أصبحت هذه اللغات التركية تدور في الاطار الحضاري الروسي ، ودخلت اللغة الروسية برامج التعليم باعتبارها اللغة الأجنبية العالمية ، فأصبحت اللغة الثانية عند الشعوب التركية داخل الاتحاد السوفيتي .

٣ — أصبحت اللغة الروسية مصدر الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية ، وقد أوضحت دراسة مفردات الصحف الاوزبكية أنه في سنة ١٩٢٣ كان ٢٨ ٪ من الكلمات من أصل عربي وفارسي و٢ ٪ من أصل أوربي ، وفي سنة ١٩٤٠ قلت الالفاظ ذات الأصل العربي إلى ٢٥ ٪ وزادت الالفاظ الروسية والأوربية إلى ١٥ ٪ . وقد زاد معدل التغير في كلا الاتجاهين: تناقص الالفاظ العربية الفارسية من جانب وزيادة الألفاظ الروسية من الجانب الآخر . أما في مجالات العلوم فان اللغة الروسية هي المصدر الوحيد بلا منافس ، ويتضح هذا من دراسة المصطلحات الاساسية للكيمياء في لغة الباشكير ، نجد ١٣٢٠ اصطلاحا أوربيا بصيغته الروسية ونجد ١٤٩ كلمة باشكيرية ، وفي مصطلحات علوم الطبيعة نجد ٣٤٤ كلمة باشكيرية

و ١٤٢٠ اصطلاحا أوربيا بصيغته الروسية . وهكذا نلاحظ أن الاتجاه العام فى تكوين ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية فى اللغات التركية داخــــل الاتحاد السوفيتى يتلخص فى العبارة الاتية: « تؤخذ مفردات الاصطلاحات كاملة تقريبا من اللغة الروسية بدون تغير فى الهجاء ، ويسفر هذا أيضا عن تقريب جميع اللغات الوطنية بعضها البعض الآخر وكذلك من اللغة الروسية » .

اللغات المغولية :

تضم أسرة اللغات المغولية ست لغات حديثة تطورت عن لغة واحدة هى اللغة المغولية القديمة ، وقد تكونت هذه اللغات المغولية الحديثة فى القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر للميلاد عن اللهجات المغولية المختلفة . وقبل نشوء هذه اللغات المغولية الحديثة كانت اللغة الواحدة الأم ، وهى اللغة المغولية القديمة ذات شأن كبير ، ففى القرنين الثالث عشر والرابع استطاع أبناء هذه اللغة بقيادة جنكيز خان وخلفائه من بعده أن يجتاحوا منطقة كبيرة ويقيموا امبراطوريتهم المترامية الأطراف . واليوم وبعد أن تطورت اللهجات المغولية وتكونت عدة لغات متقاربة يمكن القول بأن أهم اللغات المغولية ، وهى : اللغة المغولية ، ولغة مغول البريات ، واللغات الاويراتية ، واللغة المنغورية ، واللغة الدشورية ، ولغة اقليم المغول فى أفغانستان .

اللغة المغولية هى اللغة الرسمية لجمهورية منغوليا الشعبية يتحدث بها اليوم حوالى المليون . ويرجع تاريخها إلى إلى القرن الخامس عشر الميلادى عندما اتضحت ملامح اللغة المغولية الكلاسيكية متميزة بذلك عن اللغة المغولية القديمة ، وقد ظلت اللغة المغولية الكلاسيكية منذ ذلك الوقت لغة ثقافة ودين ؛ فترجمت اليها مؤلفات بوذية كثيرة من اللغة التبتية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد . وعلى

مدى هذه القرون كانت اللغة المغولية — القديمة ثم الكلاسيكية — تدون بالخط المغولي القديم، وهو خط أبجدي يقوم على الخط الاويغوري الذي كتبت به عدة قبائل تركية ، فتعلمه المغول منهم في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، أما الخط المغولي المربع المأخوذ عن الخط التبتي فقد دونت به بعض النصوص في أواخر القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر ، ولكنه لم يستقر بعد ذلك ، وظل الخط الاويغوري مستعملا حوالي سبعة قرون . أما الخط المغولي الحالي فيقوم على أساس الخط الكيريلي الروسي ، وقد بدأ التدوين به سنة ١٩٤١ وتقرر استخدامه والالتزام به سنه ١٩٤٦ .

الفصل العاشر

اللغات الأفريقية الأخرى

أولا : التصنيف النمطى

يقوم تصنيف اللغات ذات النصوص القديمة على أساس البحث التاريخى للتوصل إلى خصائصها الأقدم ، ومن ثم للتعرف على سمات اللغة المشتركة التى خرجت عنها لغات المجموعة قيد الدراسة . هذا المنهج فى التصنيف يقوم على أساس تاريخى تطورى ، وقد طبق فى وضوح وموضوعية فى بحث الأسرات اللغوية التى دونت لغاتها المفردة منذ قرون ، ولذا فقد تطور هـذا المنهج فى بحث اللغات الهندية الأوربية واللغات السامية واتضحت ملامحه وظهرت نتائجه ، وبذلك تحددت اللغات التى تدخل فى إطار كل أسرة منهما بشكل يقينى وقاطع . ولكن هذا المنهج فى التصنيف على الأساس التاريخى لم يكن ممكن التطبيق فى بحث اللغات الكثيرة التى لم تصل إلينا منها نصوص قديمة مدونة على النحو الذى يتيح لنا التعرف على أصولها القديمة .

ويمكن إيضاح المشكلة مثلا بتصور باحث يود مقارنة اللغات الفرنسية والروسية والأردية فى مستوياتها الحالية بحثاً عن الأصل المشترك الذى خرجت عنه كل هذه اللغات ، إن هذا الباحث لا يستطيع — فى مثل هذه الحال — أن يصل إلى ذلك الأصل المشترك ، والوصول إلى ذلك الأصل ممكن فقط بالرجوع إلى المستويات الأقدم أى إلى اللاتينية والسلافية والسنسكريتية ، وعندئذ يتضح التشابه وتتحدد ملامح التغير اللغوى الذى حدث ، فكلما كثرت النصوص المدونة فى عصور مختلفة من اللغات أمكن رسم ملامحها القديمة وأصبح إدراك القرابة بينها

وتصنيفها أمراً ممكناً على نحو يقيني ولكن عدم وجود هذه النصوص القديمة المدونة يعني عدم امكان التصنيف على الأساس التاريخي .

ويعتمد تصنيف اللغات الأفريقية وغيرها من اللغات ، التي لم تصل إلينا منها نصوص مدونة قديمة ،على أساس الخصائص اللغوية المشتركة ، ويسمى هذا المنهج باسم : « التصنيف النمطي » . وقد أوضح الباحث الأمريكي جرينبرج في كتابه : لغات أفريقيا J. Greenberg, Languages of Africa ، الأسس التالية التي اتبعها في تصنيف تلك اللغات :

ا ـــ التشابه بين المكونات الصوتية والمعنى الذي تحمله فلا يكفي مثلا أن يكون تصنيف الأسماء في لغة من اللغات إلى مذكر ومؤنث أساساً وحيداً لجعل هذه اللغة من اللغات الأفرو أسيوية ، بل لابد أن تكون علامات التأنيث أيضا هي العلامات المعروفة في تلك اللغات . ويدخل في هذا أيضا وجود ألفاظ أساسية على قدر من التشابه في المكونات الصوتية والمعنى .

ب ـــ عمل المقارنة بين مجموعة لغات مرة واحدة ، فلا تتم مقارنة لغة بلغة أخرى فهذه المقارنة الثنائية توضح أشياء محددة وتخفي أشياء أخرى ، ولكن مقارنة المجموعة كاملة توضح انتماءها إلى أسرة واحدة .

جـ ـــ الاعتماد على الأدلة اللغوية وحدها ، وعدم اعتبار الآراء السائدة حول تصنيف القبائل أو علاقاتها أو قراباتها . فقد كانت هذه الآراء مصدراً لكثير من الأحكام الخاطئة .

وتعد هذه المعايير مقبولة عند جمهور الباحثين في اللغات الأفريقية واللغات الأخرى التي لا يمكن بحثها وفق الأساس التاريخي .

قدر اللغوي الأمريكي جرينبرج عدد لغات افريقيا بحوالي ٧٣٠ لغة، تنتمي إلى عدة أسرات لغوية . هناك لغات أفريقية كثيرة تنتمي إلى الأفرع المختلفة للأسرة

الافرو أسيوية ، وإلى جانب هذه الأسرة توزع اللغات الأفريقية الأخرى فى رأى جرينبرج وغيره من المتخصصين فى تصنيف اللغات الأفريقية على عدد من الأسرات اللغوية ، وأهمها :

١ — لغات البانتو

٢ — لغات النيجر الكونغو

٣ — اللغات النيلية الصحراوية

وهذه الاسرات تستوعب مع الاسرة الافرو أسيوية أكثر اللغات الافريقية .

ثانيا — لغات البانتو :

تضم أسرة البانتو بضع مئات من اللغات الافريقية ، وأكثرها في القسم الجنوبي من القارة . وقد ذكر الباحثون خمس عشرة لغة تعامل من بين اللغات المنتمية إلى أسرة البانتو ، ومعنى هذا أن حوالي ثلث لغات التعامل في القارة الافريقية تدخل في إطار هذه الأسرة وأهم هذه اللغات هي اللغة السواحلية ، ثم تأتي بعد ذلك لغات أخرى منها الفانجالو ، تسوانا ، لوزى ، نيانجا ، دوالا ، وغيرها من اللغات .

(١) اللغة السواحلية :

تعد اللغة السواحلية أهم لغات أسرة البانتو على الإطلاق ، وأهم اللغات السائدة في شرقي أفريقيا . وفي هذه المنطقة تعد اللغات السواحلية وغاندا والأمهرية أهم لغات التعامل ، أما الأمهرية فهي من الفرع السامي للأسرة الأفرو أسيوية . وتدخل اللغتان الأخريان ، وهما السواحلية وغاندا ضمن لغات البانتو .

هناك عدة آراء حول نشوء اللغة السواحلية وانتشارها والعوامل المؤثرة في ذلك . لا شك أن السواحلية من أسرة البانتو ، ومعنى هذا أن بنيتها اللغوية تحمل السمات المميزة لهذه الأسرة منها مثلا تصنيف الأسماء وفق السوابق ، فهناك مجموعة تبدأ بالمقطع — في ki في المفرد وتبدا بالمقطع vi في الجمع . وهي سمة تجعلها بعيدة كل البعد عن اللغات الأفروأسيوية ولكن اللغة السواحلية زاخرة بألفاظ عربية بشكل يجعل الألفاظ العربيه فيها عناصر حاسمة لا يمكن تصور اللغة السواحليه دونها ، وعلى هذا فاللغة السواحليه ذات بنية بانتوية ؛ ولكن مفرداتها بها نسبة عالية من العربية ، وهي لغة أفرو أسيوية .

وقد أدت هذه الحقيقة إلى عدة فروض حول نشوء اللغة السواحلية ، فمن قائل بأنها خليط « بين لغة با نتوية واللغة العربية ، وهناك من يراها ثمرة اختلاط عرب اليمن والخليج بالسكان الأصليين في شرقي أفريقيا ، وهناك من يرى فيها لغة نشأت من مجموعة لهجات بانتوية توحدت أثناء الاتصال بالعرب والاحتكاك التجاري بهم . وهكذا تدور هذه الآراء في إطار كون السواحلية لغة بانتوية بها مفردات عربية كثيرة .

يبدأ التاريخ اللغوي للغة السواحلية في الاسلام ، فالحركة التجارية على الساحل الشرقي للقارة الافريقية جذبت عدداً من التجار العرب والفرس إلى منطقة بالقرب من مصب نهر تانا . واختلط الوافدون المسلمون مع الافريقيين الذين دخلوا في الاسلام فنشأ عن هذا الاختلاط نمط حضاري جديد ، وتكونت بيئة لغوية ظهرت في اطارها اللغة السواحلية .

وعندما قامت دولة الزنج وكان التعامل فيها باللغة السواحلية انتشرت هذه اللغة مع نمو الدولة . وبذلك أصبحت اللغة السواحلية لغة تعامل زادت منطقتها بمضي القرون فأصبحت لغة المنطقة الساحلية بين مقديشو وسوفالا ، ولغة الجزر مثل زنجبار وكلوة ، بل وتكونت جماعات لغوية سواحلية في جزر القمر وعلى الساحل الشمالي لمدغشقر .

ويعد القرن التاسع عشر مرحلة هامة في التاريخ اللغوي السواحلية ، فقد دخلت إلى أعماق القارة الافريقية من الساحل الشرقي ، وكان النشاط التجاري للعرب في هذه المناطق وتعاملهم بها من عوامل نشر هذه اللغة إلى منطقة البحيرات في وسط أفريقيا والكونغو . فقد انتشرت السواحلية على طرق القوافل وفي المحطات التجارية ، وبهذا دخلت إلى بمناطق سادتها لغات أخرى من قبل . وكانت القرابة اللغوية بين هذه اللغات في اطار أسرة البانتو واللغة السواحلية من العوامل

التى يسرت تعلم أبناء هذه اللغات للغة السواحلية . وكانت اللغة الوحيدة المنافسة اللغة السواحلية فى تلك المناطق هى لغة الماساى من رعاة البقر ، وما أن حصد الطاعون أكثر من ثلثى الماساى سنة ١٨٩٠ / ١٨٩١ ، حتى قلت مكانة هذه اللغة، وبذلك انعدمت المنافسة وفتح الباب أمام أمام مزيد من الانتشار .

وأتاح انتشار السواحلية نشوء عدة مستويات لغوية وعدة لهجات . وحاولت البعثات التبشيرية الافادة من السواحلية الواسعة الانتشار، ولكن الخلاف فى اختيار لهجة معينة تكون وسيلة تقريب المسيحية إلى أبناء السواحلية كان قائما. اختار الكاثوليك السواحلية المستخدمة فى زنجبار التى كانت تعد فصحى ، أفاد البروتستانت من المستوى اللغوى للسواحلية المستخدمة فى الكونغو والمعروف باسم نجوانا ، وعدوها لغة مغايرة متميزه عن السواحلية ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح وظلت المكانة قائمة فى الكونغو للغة السواحلية الفصيحة .

لقد كتبت اللغة السواحلية عدة قرون بالحروف العربية ، وكانت محاولات الأوربيين لتغيير نظام الكتابة هادفة إلى قطع الصلة الحضارية بين اللغة السواحلية والحضارة العربية الاسلامية ، وفى سنة ٩٠٧: أعلنت الحكومة الألمانية الغـــاء استخدام الحروف العربية فى كتابه السواحلية فى المنطقة التى احتلتها فى شرقى افريقية .

وتستخدم اللغة السواحلية فى مجالات مختلفة فى دول شرقى أفريقيا، وخصوصا تنزانيا وكينيا وأوغندا على الترتيب . وقد أسست سنة ١٩٣٠ هيئة لغوية تعنى بقضية تطوير اللغة السواحلية وجعلها معبرة عن الحياة الحديثة ، وقد عدت هذه الهيئة اللغوية لهجة زنجبار المستوى اللغوى المنشود .واليوم تتفاوت مجالات استخدام اللغة السواحلية فى دول شرقى أفريقيا ، بينما نجدها فى تنزانيا لغة الصحافة والثقافة والتعليم العام والادارة والنقابات والسياسة فإن السياسة اللغوية فى أوغندا كانت

تهدف إلى جعل التعامل بين أبناء الجماعات اللغوية فيها يتم بالانجليزية لا باللغة السواحلية . وبين المكانة الرفيعة للغة السواحلية فى تنزانيا ومحاولة إزاحتها عن مكانتها فى أوغندا نجد السواحلية فى كينيا فى مركز وسط ، فالسياسة اللغوية لا تهدف إلى تدعيم السواحلية وحدها بل إلى استخدام تسع عشرة لغة محلية فى التعليم العام وجعل الانجليزية لغة التعامل المشتركة إلى جانب السواحلية ، ولكن الانجليزية تمثل الطموح نحو الثقافة الحديثة والرقى الاجتماعى ، وبذلك تقل مكانة السواحلية عن الانجليزية فى إطار السياسة اللغوية فى كينيا . وعلى الرغم من هذه المشكلات التى تواجه السواحلية على المستوى الرسمى فانها على المستوى الشعبى ذات انتشار كبير ، وتعد من أهم اللغات الكبرى فى القارة الأفريقية .

(ب) لغة غندا :

لغة هى أهم اللغات المحلية فى دولة أوغندا ، وكانت قبل لغة التعامل فى مملكة بوغندا ، ويتضح من هذه الكلمات : غندا ، أوغندا ، بوغندا — أن السوابق لها دور كبير فى بنية الكلمة وتصنيفها ، وهذه هى الحال فى لغات البانتو . كانت مملكة بوغندا أول منطقة يحكمها الانجليز فيما سمى فيما بعد باسم أوغندا ، وأفاد الانجليز من أبناء لغة بوغندا فأخذوا منهم على العمال والموظفين للعمل فى منطقتهم ثم خارج منطقتهم ، وبذلك أصبحت هى اللغة المشتركة بين موظفى الادارة والعمال . وتقوم مكانة لغة غندا على كونها لغة الادارة ولغة التعليم العام ، وهى بهذا أكثر اللغات المحلية انتشاراً فى أوغندا . وهى مكانة محدودة على أية حال ، فالمنافسة مع السواحلية ومع الانجليزية تجعل من لغة غندا مجرد لغة محلية ، لها انتشارها فى جنوب أوغندا ، ويتعامل بها حوالى مليونين .

(حـ) لغة الفانجالو :

هناك مجموعة من اللغات المنتمية إلى أسرة البانتو تستخدم باعتبارها لغات

تعامل فى القسم الجنوبى من القارة الأفريقية ، وأهم هذه اللغات لغة الفانجالو .
ترجع لغة الفانجالو فى تاريخها المعروف إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، أفاد منها المستوطنون البيض فى التعامل مع الزنوج الأفريقيين ، إن بنية هـذه اللغة تجعلها - بصفة عـامة - من لغات البانتو ، ومعجمها كذلك ، ثم دخلت إليها ألفاظ كثيرة من الانجليزية ومن لغة الأفريكانز .
وتعد لغة الفانجالوا فى مناجم اتحاد جنوب أفريقيا لغة العمل ، بها تصدر الأوامر إلى عمال تنحدر أصولهم من أنجولا وروديسيا وزامبيا ومالاوى وتنزانيا ، لهم لغاتهم الأولى فى تجمعاتهم خارج مجال العمل ، ولـكنهم يتعاملون بها فى مجال العمل ، وقد أدى تحرك العمال وتهجيرهم من منطقة لأخرى إلى أن أصبحت لغـة الفانجالو متداولة فى مواقع عمل كثيرة فى اتحاد جنوب أفريقيا وروديسيا وزامبيا واقليم كاتانجا ، وهى دائما لغة عمل ولغة التعامل بين الزنوج والبيض الذين يرفضون أن يحدثهم السود بالانجليزية ، ولذا تعد لغة الفانجالو رمزا للسياسة العنصرية .

(د) لغة تسوانا :

هى لغة تنتمى إلى مجموعة البانتو ، وتعد هى والانجليزية اللغتين الرسميتين فى منطقة بوتسوانا فى جنوب أفريقيا . وفى تلك المنطقة توجد أكثر من عشر لغات ، غير أن سياسة الحـكم غير المباشر جعلت لها مكانة أفضل من غيرها .

(و) لغة مدينة بمبا :

تنتمى هذه اللغة فى كلا المستويين لغة بمبا ولغة مدينة بمبا إلى أسرة البانتو . انتشرت هذه اللغة بين العاملين فى صناعة النحاس فى زامبيا وجنوب كاتانجا من أبناء القبائل المختلفة ، تجنبوا فى حياتهم الاجتماعية لغة الفانجالو ، وأقبلوا على التعامل بلغة بمبا التى كانت منذ أوائل القرن العشرين العشرين لغة جماعة كبيرة من

من العمال الزنوج . وتعد هذه اللغة اليوم لغة واسعة الانتشار فى هـذه المناطق ، لايقتصر استخدامها على العمال بل يعرفها الموظفون والمدرسون السود ، وهى محببة إلى نفوسهم جميعاً .

(ز) لغة نيانجا :

هى اللغة السائدة فى دولة ملاوى (نياسالاند : سابقاً) فى وسط افريقيا ، ولهذه اللغة مكانة نسبية بين لغات المنطقة لأنها كانت لغة قبيلة اتيح لأبنائها قدر من التعليم العام والحرفى ، فأصبح كثيرون منهم موظفين وعمالا فنيين ، وبانتشارهم فى المناطق المجاورة انتشرت لغتهم حتى مناطق المناجم ، ولهذه اللغة مكانتها فى دولة ملاوى بوصفها أيضا لغة الشرطة والجيش ، ولها كذلك مكانتها فى شرقى زامبيا والمناطق المتاخمة لملاوى فى موزمبيق ، ولها انتشارها أيضا فى منطقة م ، روديسيا . ويقدر عدد أبنائها والمتعاملين بها بحوالى المليونين .

(ح) لغة لوبا :

تضم اللغات المستخدمة فى حوض الكونغو عدة لغات يدخل بعضها فى لغات البانتو ، وأهم هـذه اللغات لغه لوبا . توجد هـذه اللغة فى عـدة لهجات فى منطقة جنوبى شرقى الكونغو ، وقد كان تعاون قبيلة لوبا فى المشروعات فى كاساى وكاتانجا سببا فى انتشار العمال المتحدثين بهذه اللغة فى مناطق لم تكن تعرف هذه اللغة من قبل .

(ط) لغة كيتوبا

هذه اللغة تنتمى إلى أسرة البانتو ، أفاد منها الأوربيون فى تعاملهم مع قبائل الكونغو ، وأصبحت بمضى الوقت لغه التعامل التجارى وأجهزة الادارة والاعلام ، وهى اللغة المشتركة بين أبناء اللغات المحلية الأخرى ، ويقدر عدد المتحدثين بحوالى ثلاثة ملايين .

(ى) لغة اللينجالا (لغة النهر)

تنتمى هذه اللغة إلى أسرة البانتو، انتشرت فى المناطق الموجودة على نهر الكونغو فسميت بهذا الاسم لينجالا، أى: لغة النهر. وقد تطورت لغة اللينجالا منذ القرن التاسع عشر، وانتشرت فأصبحت من أهم اللغات المحلية فى غربى الكونغو. وكان استخدامها عند الجنود عاملا فى نشرها حتى شرقى الكونغو، أى إلى حدود منطقة انتشار السواحلية.

(ك) لغات البانتو فى غربى وسط افريقيا

. تعد اللغتان ياوندا ودوالا أهم لغات البانتو. أما لغة ياوندا فهى لغة محلية فى جنوبى الكاميرون يتعامل بها أبناؤها وغير أبنائها من القبائل ذات اللغات المختلفة.

ولكن منطقة الساحل الشمالى للكاميرون تسودها لغة تعامل أخرى هى لغة دوالا التى تنتمى أيضا إلى أسرة البانتو، قد استخدمت هذه اللغة وسيلة للتبشير البروتستانتى وأصبحت لغة معترفاً بها فى التعليم العام إلى جانب كونها لغة تعامل ولغة الكنيسة، ولكن مكانتها لاتزال محدودة، فالانجليزية منافس قوى لها فى كل هذه المجالات.

ثالثا : لغات النيجر — الكونغو

تعد هذه الأسرة اللغوية من أكثر الأسرات اللغوية أهمية فى القارة الافريقية، فهى تضم لغات كثيرة لها شأن فى الدول الافريقية الجديدة، منها لغة اليوروبا ولغة زاندى، ولغة ايفه، بل ويرى بعض الباحثين أن اللغة الفولانية تدخل فى إطار هذه الأسرة.

(ا) لغة اليوروبا

تعد لغة اليوروبا — على أرجح الآراء — لغة تنتمى إلى أسرة النيجر —

الكونغو . ويبدو أن لغة اليوروبا كانت ـ من قبل ـ ذات مكانة أكبر ، ولاسيما فى داهومى وتوجو وبعض الاجزاء الشمالية الشرقية من غانا ، وهى على كل حال من أهم اللغات الافريقية ، فعدد المتحدثين بها حوالى خمسة عشر مليوناً أكثرهم جنوبى غرب نيجيريا ،وهناك جماعات من أبناء لغة اليوروبا فىداهومى،وتوجد عدةمستويات لهذه اللغة،فهناك لغةفصيحة تحترم من الجميع وتستخدم فى التعليم و فى الاداب ،ويتعامل بها أبناء اللهجات المختلفةإذا ماحدث تعامل بينهم، وتقوم هذه اللغة الفصيحة على احدى لهجات اليوروبا ، ولاتستخدم لغة اليوروبا عند غير أبنائها إلا بصورة محدودة .

(ب) لغة الولوف

لغة الولوف من أهم لغات أسرة النيجر الكونغو ، وهى أكثر اللغات المحلية انتشاراً فى جمهورية السنغال،وترجع أهمية لغة الولوف إلى أنأبنائها يمثلون ٣٥٪ من أبناء السنغال ، أما الباقون فيتوزعون على جماعات لغوية كثيرة ،ويعد أبناء لغة الولوف بفضل انتشار التعليم الحديث بينهم أصحاب مكانة اجتماعية رفيعة ، وقد جعل هذا لغتهم منذ عدة قرون نوعا من الانتشار على الساحل الغربى الافريقى ، وقد كان البرتغاليون فى رحلاتهم البحرية فى القرن السادس عشر يستعينون بمترجم للغة الولوف إلى جانب لغات افريقية أخرى ، واليوم تعد لغة الولوف أهم لغات السنغال ، ولها انتشار أيضا فى جامبيا . ويقدر عدد المتحدثين بها من أبنائها ثم من المتعاملين بها بحوالى ا المليونين .

(ح) لغة سانجو :

لغة سانجو من اللغات المهمة فى أسرة النيجر الكونغو ، وهى أهم اللغات المحلية

فى جمهورية أفريقيا الوسطى . وقد بدأت لغة سانجو تبرز بين اللغات الكثيرة المتقاربة بنية ومعجماً فى هذه المنطقة منذ أواخر القرن التاسع عشر . وقد دخل كثير من أبنائها فى الفرقة العسكرية الفرنسية العاملة هناك ، ومن ثم تسمى هذه اللغة أحياناً باسم sango ki tologu (أى سانجو الخاصة بالجنود = سانجو لغة الجنود) . وقد انتشرت لغة سانجو بسرعة كبيرة ، وأصبح كثيرون من أبناء تلك المنطقة ولغاتها يقبلون على تعلمها ويتعاملون بها ، بل لقد أصبحت لغة الطبقة الرفيعة وشرطا للرقى الاجتماعى .

واليوم يتحدث بلغة سانجو حوالى مليون من أبنائها وحوالى مليون اخر من المتعاملين بها فى داخل الدولة ، وأكثرهم يستخدمونها باعتبارها لغة تعامل فى سن العمل ، فالأطفال من أبناء اللغات الأخرى لا يعرفونها ، وانما يكتسبونها بعد ذلك فى المدارس أو فى العمل فى السوق . وعندما قامت جمهورية أفريقيا الوسطى كان قادتها ومثقفوها يتعاملون بلغة سانجو ، فأصبحت لها مكانة اللغة الوطنية إلى أن أعلنت سنة ١٩٦٥ لغة رسمية لجمهورية أفريقيا الوسطى .

(د) اللغة الفولانية :

اللغة الفولانية (= لغة الفول ≡ لغة Peul) من أهم لغات أسرة النيجر الكونغو فى غربى أفريقية ، يتحدث بها حوالى خمسة ملايين فى المنطقة الممتدة من السنغال حتى جمهورية تشاد .

وهى لغة التعامل السائدة فى المنطقة الشمالية من الكاميرون ، ولا يزال المتحدثون بها يعدون من طبقة السادة ، وهذا الموقف امتداد لأحداث التاريخ القريب عندما كان الفولانيون أصحاب دولة كبرى قبل دخول الفرنسيين المنطقة . وقد حاولت السلطات الفرنسية الاقلال من مكانة الفول ومن انتشار لغتهم بتشجيع اللغات المحلية الأخرى فى غربى أفريقيا .

(هـ) لغة ايفة :

لغة أيفه من لغات أسرة النيجر الكونغو ،ولها انتشار نسبي في داهومي وتوجو. كان انتشارها قبل دخول المنطقة تحت الاستعمار الألماني ، وأفادت منها الكنيسة في التبشير بالمسيحية ، ولها اليوم عدد كبير من اللهجات ، وتستخدم بعض مستوياتها في تأليف الكتب وتدوين المطبوعات .

(و) لغة الزاندى :

تعد لغة الزاندى — فى رأى كثير من الباحثين — من لغات النيجر الكونغو. وهى لغة منطقة كبيرة حكمتها قبائل الزاندى منذ بداية القرن التاسع عشر، فتعلمتها قبائل كثيرة . ولما قسمت هذه المنطقة بين القوى الاستعمارية البلجيكية والفرنسية والبريطانية قلت مكانة قبائل الزاندى ولغة الزاندى بشكل ما . ويتحدث بلغات الزاندى — اليوم حوالى المليون تقريبا .

رابعا اللغات النيلية الصحراوية

تضم هذه المجموعة الصغيرة — فى تصنيف جرينبرج — عدة لغات ، أهمها: صنغاى ، كنورى ، بالاضافة إلى عـــدد من اللغات تعرف باسم اللغات الشارية النيلية .

(ا) لغة صنغاى

يعد انتماء لغة صنغاى إلى الأسرة النيلية الصحراوية أمرا أقرب إلى الترجيح منه إلى اليقين . وهى اليوم أهم اللغات فى منطقة النيجر الوسطى ، وترجع مكانتها إلى كونها لغة دولة كبيرة عرفت أوج ازدهارها فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وضمت منطقة واسعة امتدت فى غرب أفريقيا تقابل اليوم السنغال ومالى وبعض مناطق نيجيريا الشمالية . وكانت هذه الدولة الكبيرة عاملا جعل لغة صنغاى

أهم لغات التعامل فى غربى د بلاد السودان ، وفى بداية القرن العشرين كانت لغة صنغاى واسعة الانتشار بين أبناء لغات البمبرة والفولانية والطوارق فى غربى افريقية . ويعد عدد المتحدثين بها باعتبارها اللغة الأولى حوالى المليون وباعتبارها لغة التعامل حوالى نصف مليون ، بعضهم فى جمهورية السودان .

(ب) لغة كنورى

ارتبط تاريخ لغة كنورى بدولة كانم وبورنو ، التى كان لها فى التاريخ الافريقى دور كبير ، فقد امتدت رقعتها من واداى شرقا إلى النيجر غربا وفزان شمالا . واستخدمت باعتبارها لغة تعامل بين أبناء كل القبائل فى هذه المنطقة ، إلى جانب كونها اللغة الأولى عند قبائل كثيرة ، وكانت لغـــة كنورى ذات انتشار كبير ، غير أن لغات تعامل أخرى زاحمتها فى رقعتها ، وأهم هذه اللغات : الهاوسا فى الغرب والفولانية فى الجنوب والعربية فى الشرق .

خامسا : اسرات لغوية اخرى :

١ ــ وهناك مجموعة لغات صنفها جرينبرج ضمن اللغات الشارية النيلية ، وتضم فرعين كبيرين :

(ا) الأسرة السودانية الشرقية ، وأهم لغاتها النوبية بمستوياتها اللغوية المختلفة ، ولغة داجو فى دارفور وغربى كردفان ، ولغة الشلوك والدنكا والنوير فى السودان أيضا .

(ب) لغات وسط السودان ، ومنها : بونجو ، باكا ، بنجا ، مورو ، لومبى ، مانجو بوتو ، ليندو .

٢ ــ وهناك أخرى تسمى بلغات النيجر كردفان ، وتضم هذه المجموعة تلك اللغات السودانية الشرقية التى لا تدخل ضمن الأسرة الشارية النيلية ، وأهم هذه اللغات : كولايب ، تالودى ، تمتم ، كتلا .

٣ ـ يضاف إلى ماسبق تلك اللغات المعروفة بمجموعه لغات خويسان ، هى اللغات التى سميت من قبل عند الأوروبيين بلغات الهوتنتوت والبوشمان ، والتسميه الجديدة مأخوذة عن كلمتين (خوى = هوتنتوت) + (سان = بوشمان) فى لغتين محليتين . ومن أهم هذه اللغات لغات ساندادى ولغات هاتسا فى تنزانيا .

الفصل الحادي عشر

الاسرات اللغوية الاخرى فى آسيا والمحيطات والعالم الجديد

تضم قارات العالم القديم لغات كثيرة صنف الباحثون كثيرا منها ضمن الأسرات الأفروآسيوية والهندية الأوروبية والأورالية الالتائية. تبقى بعد هذا لغات كثيرة لا تمت بصلة القرابة إلى الأسرات الثلاثة المذكورة ، وتضم القارة الأمريكية وجزر المحيطات لغات كثيرة ليس لها بالأسرات المذكورة صلة . ففى منطقة من أسبانيا وجنوب فرنسا نجد جماعة الباسك تكون أقلية لغوية ثائرة . ولغة الباسك ليست لها أية علاقة بالاسرة الهندية الاوربية أو بأية أسرة لغوية أخرى . وهناك فروض كثيره غير مقنعة تحاول ربط لغة الباسك بلغات أخرى مجهولة الانتماء . أما أكبر قارات العالم وأكثرها سكانا ففيها عدد من اللغات واللهجات لا تنتمى إلى الأسرة الافر آسيوية أو الهندية الاوربية أو الاورالية الالتائية . وقد أمكن تصنيف بعض هذه اللغات فى أسرات مثل الاسرة الدراڤيدية فى جنوبى الهند ،وبعضها لا يزال مجهول الانتماء مثل اللغة السومرية التى كانت أقدم لغات الحضارة فى أرض النهرين .وفوق هذا فالقارة الافريقية والقارة الامريكية وجزر المحيطات تضم لغات كثيرة ليس لها بالاسرات اللغوية — المذكورة فى الفصول السابقة — علاقة قرابة ، ولذا نعرض لها بايجاز فى هذا الفصل .

أولا — الاسرات اللغوية فى اسيا

(١) لغات حضارية قديمة :

هناك عدد من اللغات التى وصلت إلينا مدونة فى نقوش قديمة أظهرتها الحفريات فى العصر الحديث ، ولم تكن هناك أية معلومات عن اللغات البائدة قبل اكتشاف هذه النقوش وفك رموز كتابتها وتحليل بنيتها اللغوية . إن أقدم لغة دونها الانسان هى اللغة السومرية فى أرض العراق القديم . وكان ذلك بخط صورى تطور إلى خط يعتمد على تدوين نطق الكلمة برموز تشبه المسامير ، ومن ثم يطلق على هذه الكتابة اسم الخط المسمارى . ولقد اتضح للباحثين أن اللغة السومرية قد دونت فى منتصف الالف الرابع قبل الميلاد ، وهى بذلك أقدم من اللغات السامية التى سادت أرض النهرين بعد ذلك . وقد ثبت أن اللغة السومرية — التى كان لها أثر كبير فى مفردات اللغة الاكادية ، — لا تمت إلى الاكادية بصلة قرابة ، فالاكادية لغة سامية ولكن السومرية ليست من اللغات السامية ، ولا يعرف إلى أية مجموعة تنتمى هذه اللغة ، ولذا فهناك فروض كثير فى هذا الموضوع ، وهى فروض ضعيفة تؤكد — أولا وقبل كل شىء — أن اللغة السومرية بعيدة عن اللغات السامية وعن اللغات الهندية الاوربية وعن اللغات التركية والمغولية والقوقازية.

وهناك لغات أخرى عرفها الشرق القديم ، ولا يزال انتماؤها موضع نظر ، وهى اللغات العيلامية والكاسية والحطية والاورارتية والمتانية ، وكلها وصلت إلينا فى نقوش قديمة وبادت من آلاف السنين . أما العيلامية فقد دونت نقوشها منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، وكانت هذه اللغة وسيلة التعبير فى مملكة عيلام القديمة ، بعاصمتها سوسه . ولكن اللغة الكاسية التى كانت فى منطقة جبال زاجروس فلا نعرفها إلا من خلال إشارات فى النقوش الأكادية بين القرنين السادس عشر والعاشر قبل الميلاد . وأما اللغة الحطية فقد وصلت إلينا منها نقوش فى منطقة بوغازكوى بالأناضول ، ويتضح منها أن هذه اللغة سبقت دخول اللغة

الحيثية إلى المنطقة . وكانت اللغة الاوراتية في منطقة أرمينيا في القرون من التاسع إلى السابع قبل الميلاد ، وقد سبقت بذلك اللغة الارمينية . وأخيرا لابد من الاشارة إلى اللغة الميتانية (= الحورية) التي وصلت منها نقوش من الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد في دولهم الصغيرة التي كانت في أرمينيا آسيا الصغرى والشام وفلسطين .

ويلاحظ في هذه اللغات ـ كلها ـ أنها سبقت الأسرات اللغوية الافرو أسيوية في مناطق والهندية الأوربية في مناطق أخرى . فأرض ما بين النهرين عرفت السومرية وهي غير سامية ، ثم الأكادية وهي لغة سامية . والحطية والاوراتية وهما لغتان غير هنديتين أوربيتين سبقتا الحيثية والآرمينية وهما لغتان هنديتان أوربيتان .

٢ – اللغات القوقازية :

المقصود باللغات القوقازية تلك اللغات التي توجد في القوقاز ولم يثبت انتماؤها إلى اللغات الهندية الاوربية أو إلى التركية أو إلى اللغات المغولية أو إلى أية أسرة لغوية أخرى ، فهذه اللغات الباقية يجمعها المكان ، ولذا فهي لغات القوقاز أو اللغات القوقازية . وعلى هذا الأساس الجغرافي تضم هذه اللغات في مجموعة لغوية ، و ليس من الممكن أن توصف بأنها أسرة ، لأن كلمة أسرة تعني علاقة القرابة ، وليس هذا حال هذه اللغات . وأهم اللغات القوقازية : الشركسية واللغات الداغستانية والجورجية والمنجريلية ولغة اللاظ .

(ا) الشركسية :

اللغات الشركسية الثلاث ، وهي الشركسية العليا والشركسية السفلى والكبردينية ، أهم لغات القوقاز الشمالية . وعلى الرغم من أن المتحدثين بهذه اللغات لا يزيد عددهم عن ربع مليون فان هذه اللغات أصبحت لغات مدونة داخل الاتحاد السوفيتي ، وتؤلف بها الكتب المدرسية في أقاليم شمال القوقاز .

اللغات الداغستانية :

وهناك عدد كبير من اللغات فى منطقة شمال القوقاز ، ويزيد عدد هذه اللغات عن خمسين لغة يتحدث بها حوالى مليون ونصف . ومن أهم هذه المجموعة ما يسمى باسم اللغات الداغستانية ، عددها ٢٧ لغة ، ويتحدث بها حوالى ٩٠٠ ألف نسمة، وأشهر هذه اللغات الداغستانية لغة الأفار ، ويتحدث بها ١٧٠ ألف نسمة. وكانت هذه اللغة تدون بالخط العربى ، وعدل نظام كتابتها سنة ١٩٢٤ إلى الخط اللاتينى، ثم أخذت تدون منذ ١٩٣٨ بالخط الروسى . وإلى جانب هذه اللغات الداغستانية يوجد بالقوقاز الشمالى أكثر من عشرين لغة أخرى تتحدث بها جماعات لغوية قليلة العدد

(جـ) اللغة الجورجية :

- تضم مجموعة اللغات القوقازية الجنوبية عددا من اللغات ، أهمها اللغةالجورجية ويتحدث باللغة الجورجية أكثر من مليونين ونصف فى جمهورية جورجيا وفى مناطق فى شمال اذربيجان والمناطق المتاخمة لها فى شمالى شرقى تركيـــا . واللغة الجورجية ذات تاريخ حضارى على مدى عدة قرون ، يرجع خطها الحالى إلى القرن الثالث الميلادى ، ونظام كتابتها أبجدى أتاح وجود تراث مدون باللغة الجورجية ، وهى اللغة القوقازية الجنوبية الوحيدة التى تستخدم فى المستوى الثقافى وفى التأليف ، وهى لغة التدريس فى مدارس جورجيا وجامعتها فى تفليس .

(د) المنجريلية ولغة اللاظ :

هما لغتان من اللغات القوقازية الجنوبية ، أما اللغة المنجريلية فيتحدث بها ٢٠٠ الف ، ولغة اللاظ فى شمال شرق تركيا يتحدث بها حوالى ٥٠ ألفا ، وليست لهما كتابة متعارف عليها عند أبنائها ، وليس لهما تراث حضارى . فأبناء المنجريلية يتعاملون فى مجالات الثقافة باللغة الجورجية ، أما أبناء لغة اللاظ فى لاظستان فى جمهورية تركيا فيتعاملون باللغة التركية فى أمور الثقافة والادارة .

وهناك لغات كثيرة أخرى تتحدث بها جماعات قليلة العدد فى منطقة القوقاز، ومع هذا فبعضها يدون ويستخدم فى التعليم مثل اللغة الأباسينية والابخازية والدارغينية واللاكية .

٣ – اللغات الدرافيدية :

تعرف شبه القارة الهندية مجموعة كبيرة من اللغات الهندية الأوربية كما تضم لغات أخرى لاتنتمى إلى هذه الأسرة ، فاللغات الدرافيدية يتحدث بها اليوم أكثر من مائة مليون من الهنود وسكان سرى لانكا (سيلان) ، وهى لغات كثيرة متقاربة فى البنية والمعجم ، ولذا فهى تكون أسرة لغوية واحدة ، وأهم لغات هذه الاسرة تيلوجو وتاميل والملايالام ، وغير ذلك من اللغات الدرافيدية ، وعددها ٥٣؛ لغة .

أما لغة التيلوجو فهى أكثر اللغات الدرافيدية انتشارا ، ويتحدث بها ثمانية وثلاثون مليونا من الهنود فى الجنوب الشرقى (١٩٦١) ولها تراث متواضع يبدأ تاريخه فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ولكنها ليست ذات شأن فى الحضارة الحديثة . ومع هذا فتعد لغة التيلوجو اللغة الوطنية الثانية فى الهند بعد اللغة المسماة باسم اللغة الهندية .

لغة التاميل هى اللغة الدرافيدية الثانية فى الهند ، وهى اللغة الوطنية الخامسة فى الهند بعد الهندية والتيلوجو والبنغالية والمراثى ، يتحدث بلغة التاميل ٣٠٫٥ مليون (١٩٦١) فى جنوبى شرقى الهند وشمالى سيلان . وللغة التاميل مكانتها أيضا بفضل تراثها القديم الثرى، فهى اللغة التراثية الأولى من اللغات الدرافيدية ومن هذا الجانب يأتى ترتيبها بين لغات الهند بعد السنسكريتية. وتقترب لغة الملايالام ويتحدث بها ١٧ مليونا (١٩٦١) فى خصائصها اللغوية من لغة التاميل. وأخيرا تأتى لغة كانادا ويتحدث بها ١٧٫٥ مليونا (١٩٦١) . وهناك لغات درافيدية كثيرة أخرى فى جنوب الهند، ويمتد بعضها فى جزر لغوية فى الباكستان ، كما تعد لغة التاميل من أهم لغات سرى لانكا

٤ – الفيتنامية ولغات المون – خمير :

اللغة الفيتنامية (= اللغة الانامية) هى أكثر اللغات انتشارا فى فيتنام ، يتحدث بها حوالى ٣٥ مليونا . وهى لغة ذات تراث، مدون منذ القرن السابع عشر عشر ،ويقوم الخط الفيتنامى على الخط اللاتينى مع علامات اضافية، وكان المبشرون البرتغال قد أخذوا فى تدوين اللغة الفيتنامية معتمدين على القيم الصوتية للحروف فى نطقها البرتغالى ، ولذا يستخدم مثـــلا حرف (d) فى تدوين صوت الذال الفيتنامية .وذلك لأن حرف الدال يعبر كثيرا فى اللغة البرتغالية عن صوت قريب من الذال .وكانت اللغة الانامية قد دونت قبل ذلك بكتابة تقوم على الخط الصينى ، وظلت كلتا الكتابتين مستخدمتين فترة من الزمن .

ويعد تحديد انتماء اللغة الفيتنامية من القضايا التى لم تتضح بعد ، فثمة سمات مشتركة بينها وبين لغات المون — خمير ، ولذا جعلها باحثون من لغات المون خمير .أما الرأى المقابل فيجعل اللغة الفيتنامية احدى لغات التاى ، ويرد أوجه الشبه مع لغات المون خمير إلى تأثير الفيتنامية بهذه اللغات ، وتدخل لغات التاى فى المجموعة اللغوية الصينية — التبتية .

وتعد لغات المون خمير أسرة لغوية توجد لغاتها فى مناطق من الهند وبورما والهند الصينية وبلاد جنوبى شرقى آسيا . وأهم لغات هذه المجموعة لغة الخمير أو الكمبودية ويتحدث بها حوالى ٤ ملايين ،ولغة المون ويتحدث بها نصف مليون جنوبى شرقى بورما . وكلتا اللغتين لهما تاريخ حضارى قبل العصر الحديث . وقد دونتا بخط يقوم على الخط الهندى .

٥ - مجموعة اللغات الصينية التبتية :

تضم مجموعة اللغات الصينية التبتية عدداً من اللغات الواسعة الانتشار فى جنوب شرق آسيا ، وأهم هذه اللغات اللغة الصينية التى تعد من ناحية عدد الناطقين بها اللغة الأولى فى العالم . وتضم مجموعة اللغات الصينية التبتية أيضا أسرة لغات التاى والمجموعة اللغوية التبتية البرمانية .

اللغة الصينية :

اللغة الصينية لغة أكثر من ٥٧٠ مليونا فى الصين الشعبية وفورموزا ، وهناك آلاف الصينيين فى مناطق أخرى من جنوب شرق آسيا . وهى بهذا أكثر اللغات انتشارا فى هذه المنطقة من العالم المعاصر . وقد أدى استخدام اللغة الصينية فى هذه الرقعة الواسعة من العالم على مدى عدة قرون إلى تغيرات محلية فى اتجاهات مختلفة ، وبذلك نشأت الاشكال اللغوية المختلفة التى تعرف باسم الماندرين والكانتونية وغير ذلك . ثمة سؤال يطرح نفسه فى هذا الصدد ، وهذا السؤال هو : إلى أى حد يمكن وصف هذه الاشكال اللغوية بأنها لغات مستقلة أو لهجات مختلفة للغة واحدة ؟

إن القضية اللغوية فى الصين هى قضية التوحيد اللغوى مع تبسيط نظام الكتابة ، والجانبان مختلفان ولكنهما متكاملان متداخلان . فقد أدى انتشار اللغة الصينية إلى تغيرها فى الاقاليم المختلفة ، وظلت الكتابة موحدة . وأهم الاشكال اللغوية الصينية هى : الماندرين (٣٨٧ مليون) والكانتونية (٥٠ مليونا) ، ثم وو Wu (٥٠ مليونا) ولغة هكا (٢٥ مليونا) . وإذا التقى ابن الماندرين مع ابن الكانتونية أو ابن وو أو هكا لما أمكن التفاهم اللغوى المباشر ، ولو بعد حين . وهذا شبيه بلقاء الانجليزى مع الالمانى أو الفرنسى مع الاسبانى ، فلا بد أن يتحدثا بلغة واحدة حتى يتم التفاهم الشفوى ، ولكن الكتابة قد تكون وسيلة التفاهم بينهما . فاذا كتب الانجليزى للاسبانى 8 = 6 + 2 لترجم الملتقى ذلك الرمز المكتوب

إلى لغته وفهم المراد . شبيه بهذا أمر الصينيين فى المناطق المختلفة ، النطق مختلف ، والكتابة واحدة . ويرجع هذا إلى أن الكتابة الصينية بغض النظر عن الاصوات الصينية تقوم على أساس الدلالة، لا على أساس الصوت فالبيت له رمز فى الخط بغض النظر عن الأصوات المكونة للكلمة واختلافها من منطقة لأخرى. وتتضح هذه الحقيقة إذا علمنا أن الكتابة الصينية يزيد عمرها عن ثلاث آلاف وخمسمائة عام وظلت ثابتة الملامح لا تكاد تتغير ، بينما حدثت تغيرات لغوية على ومدى القرن .

لقد اتضح للصينيين أن الكتابة الصينية برموزها التى تزيد عن أربعة آلاف رمز صعبة التعلم ، وصعبة فى الطباعة ومتعذرة فى الالة الكاتبة، ولذا وضعت الثورات الصينية المتتابعة برنامجا للاصلاح اللغوى يهدف إلى توحيد اللغة مع تبسيط الكتابة . ويقوم التوحيد اللغوى على أساس تعليم كل أبناء الصين لغة الماندرين وجعلهم يستطيعون التحدث بها بوصفها اللغة الصينية المشتركة ، وتطوير نظام كتابة هذه اللغة الصينية المشتركة ، ليصبح بسيطا يسهل تعلمه .

(ب) لغات التاى :

تضم مجموعة لغات التاى عددا من اللغات المنتشرة فى الدول الصغيرة فى جنوبى شرقى أسيا وأهمها اللغة السيامية وتسمى أيضاً لغة التاى ، وهى لغة أحد عشر مليونا فى تايلاند ، واللاوسية فى تايلاند وفى لاوس ، وهى اللغة الرسمية فى لاوس ، بالاضافة إلى عدد من اللغات فى هذه المنطقة .

(ج) المجموعة التبتية البرمانية :

تتكون هذه المجموعة من فرعين ، أحداهما الفرع التبتى . واللغة التبتية أم لغات الفرع التبتى ، وهى لغة أربعة ملايين فى دولة التبت . ولهذه اللغة تاريخ

حضارى يرتبط بترجمة التراث السنسكريتى ، وتدون منذ القرن الثامن الميلادى بخط يقوم على الخط الهندى .

والفرع البرمانى تمثله لغة بورما ، ويتحدث بها ١٧ مليونا فى دولة بورما .

٦ — اللغات الملايوية البولينوية :

تشمل اللغات الملايوية البولينيزية عددا من اللغات التى تتحدث بها قبائل وشعوب كثيرة فى جزر أندونيسيا والاقيانوسية من مدغشقر غربا إلى جزر المحيط الهادى شرقا ، وفى هذه المنطقة الواسعة من العالم توجد آلاف الجزر وآلاف اللغات واللهجات وعشرات المجموعات اللغوية ، وأهم هذه المجموعات :

(أ) المجموعة الاندونيسية :

تضم المجموعة الاندونيسية عدة لغات فى الجزر الكثيرة من الفيليبين فى المحيط الهادى ثم فورموزا وأندونيسيا وشبه جزر الملايو إلى مدغشقر فى المحيط الهندى بالقرب من الساحل الشرقى للقارة الأفريقية . ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغات حوالى ١٩٠ مليونا فى دول مختلفة فى هذه المنطقة . وأهم لغات هذه المجموعة اللغة الاندونيسية ولغة جاوة ، وأخيرا لغة مدغشقر .

واللغة الاندونيسية هى لغة الملايو فى شكلها المتعارف عليه فى دولة أندونيسيا ، والاصل التاريخى أن هذه اللغة كانت لغة ساحل سومطره ثم انتشرت بعد ذلك فى الملايو وبورنيو . وقد دونت هذه اللغة التى كانت تعرف باسم لغة الملايو فى القرن الثالث عشر بخط محلى ، وعدل نظام الكتابة فى القرن الخامس عشر إلى الخط العربى، ثم حول بعد ذلك إلى الخط اللاتينى، وعندما أعلن قيام دولة أندونيسيا سنة ١٩٤٧ أعلنت معها لغة الملايو لغة رسمية البلاد ، ثم عدل اسمها إلى اللغة الاندونيسية تمييزا لها عن الاشكال اللغوية الأخرى — القديمة والحديثة — للغة الملايو .

(ب) المجموعة البولينيزية :

وتشمل لغات الجزر مثل لغة هاواى تاهيتى ، ولغة ساموا وفيجى .

٧ – اللغة الكورية :

اللغة الكورية لغة غير معروفة الانتماء ، لاحظ البعض أنها لغة الصاقية مثل اليابانية، ولكن أوجه الشبه بينهما لا تكفى لجعلهما أسرة واحدة. اللغة الكورية لغة أربعين مليونا فى كوريا الجنوبية . ودونت اللغه الكورية فى القرن الخامس عشر باربعين حرفا بسيطا ومركبا تكون ٢٣٠ مقطعا ، ولا يزال هذا الخط مستخدما بصورة مبسطة . واللغة الكورية زاخرة بالفاظ دخيلة من اللغة الصينية ، فقد كانت الصينية لغة الثقافة عدة قرون .

٨ – اللغة اليابانية :

اللغة اليابانية لغة الصاقية ، تشبه من هذا الجانب اللغة الكورية ، ولكن ثمة غموضا فى تحديد انتماء اللغة اليابانية بعيدة فى بنيتها عن اللغة الصينية لغة عازلة لاتعتمد بنيتها اللغوية على نظام اللواصق ، كما هى الحال فى اليابانية . وعندها كانت اليابان فى اطار الحضارة الصينية أخذت مجموعة من الرموز الصينية ذات الدلالة المباشرة وأضيفت اليها رموز أخرى لتدون اللواحق التى تضاف إلى الاصل المدون بالرمز الصينى ذى الدلالة ، وبذلك بسطت بعض الرموز الصينية ذات الدلالة المباشرة وأصبحت ذات قيمه صوتية . وعلى هذا فالكتابة اليابانية تقوم على رموز من الكتابة الصينية بمعناها ورموز أخرى مكملة ترمز إلى الاصوات المنطوقة . واللغة اليابانية لغة دولة اليابان ، وكثيرا ما يكتبها غير اليابانين فى تعاملهم مع اليابانيين بالحروف اللاتينية .

ثانيا : لغات الهنود الحمر

تستوعب الاسرات اللغوية المذكورة أكثر سكان العالم وهي أسرات قليلة العدد نسبيا بالقياس إلى الاسرات اللغوية الكثيرة الاخرى التي تصنف بداخلها لغات الملايا ولغات استراليا الاصلية ولغات الهنود الحمر في أمريكا واللغات الافريقية ، فهذه اللغات كثيرة جدا ، يزيد عددها عن عدد لغات الاسرات اللغوية الكبرى . لقد صنف اللغوى الامريكى سابير Sapir لغات الهنود الحمر في أمريكا الشمالية إلى ست مجموعات أساسية ، وصنف اللغويان الفرنسي ريفية P. Rivot والتشيكي لوبوتكا G. Loobotka لغات الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية الوسطى إلى ١٠٨ أسرة لغوية . وعلى الرغم من أن هذا التصنيف غير نهائي إلا أنه يشهد بالتنوع اللغوى على نحو لا يعرفه العالم القديم . وترجع صعوبة تصنيف هذه اللغات إلى عدم وجود نصوص قديمة مدونة بها . لقد نجح الباحثون في تصنيف اللغات الهندية ــ الأوربية ببحث الخصائص اللغوية لاقدم اللغات التي وصلت مدونة منها واستعانوا على ذلك بمعرفة المراحل اللغوية المختلفة كما اثبتها النصوص . ولو تصورنا اليوم باحثا يحاول بمقارنه السويدية المعاصرة بالاردية أن يتبين وجه شبه بين هذه اللغات لما استطاع التوصل إلى شيء . ولما أدرك أن هذه اللغات جاءت من أصل واحد مفترض ، لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق بحث خصائص اللغات الاقدم التي خرجت عنها اللغات المعاصرة . أما الباحث في لغات أفريقيا والهنود الحمر . . . الخ فعليه أن يقنع في تصنيفه بالنظر في اللغات المعاصرة ، ولذا لا يقوم تصنيف هذه اللغات على أساس القوانين التاريخية بل يقوم على أساس التشابه في البنية والمفردات .

واهم لغات الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية والوسطى هي لغة كيتشوا Quechua وكانت هذه اللغة ذات شأن عظيم قبل دخول الاوربيين إلى أمريكا لأنها كانت لغة دولة الانكا . ولا تزال لغة كيتشوا تستخدم إلى الآن عند حوالي

سبعة ملايين نسمة في بيرو وأكوادور وبوليفيا ، وهؤلاء يتعاملون مع بعضهم البعض بهذه اللغة وكثير منهم يتعامل مع العالم الخارجي باللغة الاسبانية .

وهناك لغات كثيرة تستخدم في أمريكا اللاتينية الوسطى في التعامل بين الهنود ومن أهم هذه اللغات في رأى الباحث الأمريكي جليسون H.Gleason اللغات التالية: جوارانى Guarani وايمارا Aymora وتوبى جوارنى Tupi Guarani ولغة جواراني هى لغة الهنود الاساسية هى قسم كبير من باراجواى وفى عدة أجزاء من جنوب غرب البرازيل وأكثر أبناء هذه اللغة يعرفون الاسبانية أو البرتغالية ويتعاملون باحداهما مع الاخرين . أما لغة ايمارا Aymara فهى لغة كثير من الهنود فى جنوب بيرو وبوليفيا . أما لغة توبى جوارانى فقد كانت لغة التعامل فى منطقة الامازون بالبرازيل وأخذت البرتغالية تحل محلها شيئا . وقد ذكر جليسون أيضا عددا من اللغات التى يزيد عدد أبناء كل منها عن مائة الف فى أمريكا الوسطى ومنها لغة ناهواتل Nahuatl ويتحدث بها حوالى مليون نسمة . ولهذه اللغة أهمية تاريخية لأنها كانت لغة دولة الازتك Aztec وهى احدى اللغات القليلة التى دونها أبناؤها قبل دخول الاوربيين إلى أمريكا .

مراجع مختارة فى علوم اللغة

اولا : باللغة العربية :

١ — إبراهيم انيس : الأصوات اللغة ، القاهرة ١٩٥٠ — .

٢ — إبراهيم السامرائى : التطور اللغوى التاريخى ، القاهرة ١٩٦٦ .

٣ — ابن جنى : الخصائص، القاهرة ١٩٥٢ — ١٩٥٧ .

٤ — ابن سيده : المخصص فى اللغة ، القاهرة ١٣١٦/١٣٢١ (وأعيد طبعه بالتصوير فى بيروت) .

٥ — ابن منظور : لسان العرب ، القاهرة ١٣٠٠ — ١٣٠٧ هـ ، وأعيد ترتيبه بعنوان : لسان العرب المحيط، بيروت ١٩٦٢ .

٦ — برجشتراسر ، التطور النحوى للغة العربية ، القاهرة ١٩٢٩

٧ — تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، القاهرة ١٩٧٣ .

٨ — حسين نصار : المعجم العربى نشأته وتطوره ، القاهرة ١٩٥٦ .

٩ — رمضان عبد التواب : لحن العامة والتطور اللغوى ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٠ — سيبويه : كتاب سيبويه ، ١ — ٥ ، القاهرة ١٩٦٥ — ١٩٧٧ .

١١ — عبد الصبور شاهين ، القراءات القرآنية ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٢ — عبد العزيز مطر ، لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، القاهرة ١٩٦٦ .

١٣ ـــ عبد الراجحى : الدرس النحوى ، الاسكندرية ١٩٧٧ .
١٤ ـــ محمود السعران : علم اللغة ، الاسكندرية ١٩٦٤ .
١٥ ـــ محمود فهمى حجازى : اللغة العربية عبر القرون ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ .
: علم الأصوات المقارن فى اللغات السامية ، القاهرة ١٩٧٨ .
: علم اللغة العربية ، الكويت ١٩٧٣ .

ثانيا : بلغات أجنبية

(16) Al—Ani, Arabic Phonology, The Hague 1970.

(17) Bloomfield, Language, Allen & unwin 1935.

(18) C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908—1913.

(19) N. Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, MIT 1966.

(20) S. P. Corder, Introductory Applied Linguistics, Penguin Modern Linguisic Texts 1973.

(21) D. Crystal, Lingnistics, Penguin Books 1975.

(22) J. A. Fodor, J. Katz, The, Structure of Language, Prentice-Hall 1964.

(23) H. A. Gleason. An Introduction to Descriptive Linguistics, Holt, Rinehart and Winston, New york 1961.

(42) J. Greenberg, Languages of Africa, Indiana University 1966.

(25) C. F. Hockett, A Course in Modern Linguistcs, New york 1958.

(26) D. Hymes (ed.) Language in Culture and Society, Harper & Row.

(27) J. Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, Cambridge 1968.

(28) E. Nida, The Componential Analysis of Meaning, The Hague 1975.

(29) E. Nida Marphology, The Descriptive Analysis of Words, Ann Arbor 1974.

(30) F. Palmer Grammar, Penguin Books 1975.

(31) F. Palmer, Semantics, Cambridge 1976.

(32) S. Saporta, Psycholinguistics, Holt, Rinehart Winston 1966.

(33) T. A. Sebeok: Current Trends in Linguistics 1–6, The Hague 1970.

(34) Spuler, Handbuch der Orientalistik, Leiden 1964.

مصطلحات أساسية فى علم اللغة

Acoustic	صوتى فيزيائى
Acoustic Phonetics	علم الأصوات الفيزيائى
Acoustics	علم الصوت
Acquired	مكتسب
Acquisition	اكتساب
Active	مبنى للمعلوم
Adjective	صفة
Adverb	ظرف
Affix	زائد
Affixation	زيادة
Africate	مركب احتكاكى
Agglutinative	إلصاقى
Alphabet	أبجدية
Allomorph	صورة صرفية
Allophone	صورة صوتية
Alveolar	لثوى
Alveoli	لثة = مقدم الحنك
Ambiguity	غموض
Analogy	قياس
Analysis	تحليل

Analytic	تحليلى
Anatomy	علم التشريح
Anthropology	علم الانثروبولوجى
Anthropological Linguistics	علم اللغة الانثربولوجى
Applied Linguistics	علم اللغة التطبيقى
Articulation	نطق
Articulator	عضو نطقى
Articulatory Phonetics	علم الأصوات النطقى
Assimilation	مماثلة
Auditory Phonetics	علم الأصوات السمعى
Behaviour	سلوك
Behaviourism	السلوكية
Bilabial	شفوى (من الشفتين)
Bilingualism	الازدواج اللغوى
Breath	نفس
Case	حالة اعرابية
Category	فصيلة
Cavity	تجويف
Classification	تصنيف
Closure	حبس
Cognate	قريب ، من أصل واحد
Colloquial	عامى
Communication Systems	نظم الاتصال
Communion	تشارك

Community	جماعة
Comparative	مقارن
Comparative Liguistics	علم اللغة المقارن
Comparative Philology	فقة اللغات القديمة المقارن (مصطلح بائد)
Competence	تمكن
Concept	مفهوم
Concord	مطابقة
Conjugation	تصريف الأفعال
Conscious	واع
Consciousness	وعى
Contrastive	تقابلى
Contrastive Linguistics	علم اللغة التقابلى
Convention	عرف
Conventional	عرفى
Convex	محدب
Consonant	صامت
Context	سياق
Context of Situation	سياق الموقف
Cord	وتر
Corpus	مجموع النصوص
Correct	صواب
Correspondence	تطابق
Data	معطيات

Deep Structure	بنية الأعماق
Dental	أسنانى
Derivation	اشتقاق
Descriptive	وصفى
Descriptive Linguistics	علم اللغة الوصفى
Diachronic	تاريخى (عبر الزمن)
Dialect	لهجة، مستوى لغوى
Dialectology	علم اللهجات
Dictionary	معجم ، قاموس
Diphtong	صوت مزدوج
Dissimilation	مخالفة
Distinctive Features	سمات مميزة
Emphatic	مطبق
Ethnolinguistics	علم اللغة الاثنولوجى
Etymology	علم تأصيل المفردات
Experimental phonetics	علم الأصوات التجريبى
Family	أسرة
Field linguistics	علم اللغة الميدانى
Form	صيغة
Formal grammar	نحو شكلى
Fricative	احتكاكى
Function	وظيفة
Genealogical classification	تصنيف أسرى
Gender	جنس نحوى

Generation	توليد
Generative	توليدى
Generative Grammar	نحو توليدى
Glottis	ثغر الوترين (الصوتيين)
Glottal stop	وقف حجرى
Grammar	نحو
Grammarian	(عالم) نحوى
Guttural	حلقى
Hard palate	الحنك الصلب
Historical linguistics	علم اللغة التاريخى
Hypothesis	فرض
Immediate Constituents	مكونات مباشرة
Infix	داخلة
Inflection	التصريف والاعراب
Inflectional	اعرابى
Informant	راوية
Interference	تداخل
Instrumental phonetics	علم الأصوات الآلى
Inscription	نقش
Interdental	بين أسنانى
International Language	لغة دولية
Intonation	تنغيم
Irrelevant	غير حاسم
Isolating	عازلة

Kernel Sentence	جملة نووية
Labial	شفوى
Labio-dental	شفوى أسنانى
Language	لغة (من اللغات)
Langage	اللغة (الانسانية ــ عموما)
Laryngal	حنجرى
Larynx	حنجرة
Lateral	(صوت) منحرف
Level	مستوى
Lexeme	وحدة معجمية
Lexical	معجمى
Lexical meaning	معنى معجمى
Lexicon	معجم
Lexicology	علم المعاجم
Linguist	لغوى
Linguistics	علم اللغة
Masculine	مذكر
Meaning	معنى
Morpheme	وحدة صرفية
Morphemic alterants	متغيرات صرفية
Morphology	بناء الكلمة = علم الصرف
Morphophonemics	علم التغيرات الصوتية الصرفية
Nasal	أنفى
Negation	نفى

Neuter	محايد
Normative	معيارى
Notation	تدوين
Noun	اسم
Number	عدد
Opposition	تقابل
Onomatopoeic	محاك للأصوات الطبيعية
Oral	فمى
Palatal	حنكى
Palate	الحنك
Paradigm	جدول تصريفات
Paradigmatic	جدولى
Parole	كلام
Passive	مبنى للمجهول
Performance	أداء
Person	شخص
Pharyngal	حلقى
Pharynx	التجويف الحلقى
Phenomenon, Phenomena	ظاهرة ، ظواهر
Philology	علم النصوص القديمة
Point of Articulation	مخرج
Phoneme	وحدة صوتية
Phonemics	علم الوحدات الصوتية
Phonetics	علم الأصوات

Phonetic Alphabet	الأبجدية الصوتية
Phonetic Law	قانون صوتي
Phonology	علم الفونولوجي
Plosive	انفجاري (= شديد)
Plural	جمع (= غير المفرد)
Polyglott	متحدث بعدة لغات
Postposition	لاحقة جر
Prefix	سابقة
Pronoun	ضمير
Psycholinguistics	علم اللغة النفسي
Reconstruction	اعادة تكوين
Regular	مطرد
Relationship	قرابة
Release	اطلاق
Relevant	حاسم
Resonance	رنين
Response	استجابه
Romance Languages	لغات رومانية
Rules	قواعد
Segmental	جزئي
Semantic field	مجال دلالي
Semantic Overlapping	تداخل دلالي
Semantics	علم الدلالة

Sentence	جملة
Sequence	تابع
Sign	علامة
Sociolinguistics	علم اللغة الاجتماعى
Soft Palate	الحنك اللين
Sound laws	قوانين صوتية
Speech	كلام
Speech Chain	سلسلة كلامية
Speech Organs	أعضاء الكلام
Standardisation	تنميط
Standard Language	لغة نمطية (مشتركة)
Stop	حبس ، إيقاف
Stratum	طبقة ، مستوى
Stress	نبر
Structure	بنية
Structural	بنيوى
Structuralism	البنيوية
Style	أسلوب
Stylistics	علم الأسلوب
Suffix	لاحقة
Supra-segmentel	فوق جزئى
Surface structure	بنة السطح
Syllable	مقطع

Synchronic	وصفي (تزامني)
Syntagmatic	جملي
Syntax	بناء الجملة
System	نظام
Taboo	ممنوع ، حرام
Teeth	أسنان
Transcription	تدوين
Typological	نمطي
Typological Classification	تصنيف نمطي
Universals	عموميات
Usage	استخدام
Utterance	قول منطوق
Uvula	اللهاة
Uvular	لهوي
Velarisation	تفخيم
Velar	حنكي قصي
Velum	الحنك القصي = الحنك اللين
Verbal	لفظي
Verbal behavieur	سلوك لغوي
Vocal cords	وتران صوتيان
Voice	جهر (= صوت الجهر)
Voiceless Sound	صوت مهموس
Voiced sound	صوت مجهور

Vowel	حركة
Vocalic harmony	توافق حركى
Vulgar latin	اللاتينية الشعبية
Wind-pipe	قصبة هوائية
Word	كلمة
Writing	كتابة

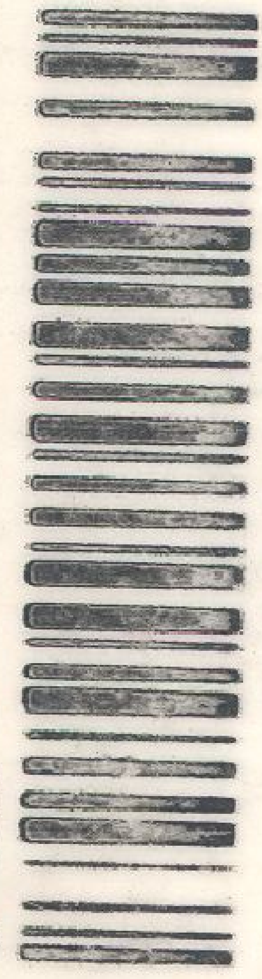
المحتويات

الفصل العاشر

الفصل الحادى عشر

رقم الايداع بدار الكتب
٢٢٢٦ / ١٩٧٨م
الترقيم الدولى ٨ — ٣٦ — ٧٢٥٧ — ٩٧٧




Bibliotheca Alexandrina
0438337